النساء الداعيات

الدكتور توفيق يوسف الواعي

الوفاء للطباعة والنشر

النساء الداعيات

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م
الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م
الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ش.م.م
الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت ٣٤٢٧٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠
المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ ص ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

٢١٣
د ت ن

الدكتور توفيق يوسف الواعي

النساء الداعيات

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونصلي ونسلم على خير خلقه وخاتم رسله محمد ﷺ.

وبعد. فلقد خطت الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر خطوات مباركة طيبة كان لها أكبر الأثر في المجتمعات الإسلامية، وكنا نتطلع مع هذه الصحوة المباركة إلى دور المرأة المسلمة في هذا العمل المبارك، وقد بدأ فعلا هذا الدور وكان يلزمه زاد يوضح معالم الطريق ويصل أوله بآخره وتطلعنا إلى هذا الزاد فوجدنا المكتبة العربية غنية بأخبار السلف من الصالحات المجاهدات الداعيات العاملات، ولكن هذا الغناء كان غير واصل إلى الفتاة المسلمة والمرأة المؤمنة لأنه كان حبيس المراجع وأمهات الكتب فأحببنا أن نوصله إلى أصحابه ونضعه بين يدي العاملين في حقله فكان لنا هذا الكتاب المتواضع الذي خطا خطوة على الطريق أرجو أن تتبعها خطوات.

على أن دور المرأة المسلمة في العصر الحاضر، لم يأخذ حقه المطلوب أو المراد ولم يلق الإلتفاتة المناسبة التي تستفيد من تلك المواهب التي حاول أصحابها إبرازها في مجالات أخرى لعدم وضوح الطريق والقدرة على استغلال الطاقات وتوجيه المواهب للمرأة المسلمة.

وقد استوعبت الدعوة الإسلامية في عصرها الزاهر كل الطاقات وكل المواهب للمرأة في مجالات شتى، الأمة اليوم أحوج ما تكون إليها، ووقف الجيل ا[illegible]ـر عاجزاً حتى عن فهم طبيعة هذا الدور فضلا عن إحسان

العمل فيه .

وكتابنا اليوم يضع النقاط على الحروف في هذا الميدان ، ويفتح ملف هذه الحقب ويبرز لبنات هذه الأدوار المهمة وبطلاتها حتى تفهم الفتاة المسلمة وتعلم المرأة العالمية أن المرأة المؤمنة كان لها دور في التاريخ الحضاري الإسلامي لا يقل أهمية عن دور الرجل ولكن في عفة وكرامة وتمايز للطبائع والأدوار وكلٌّ ميسر لما خلق له . وكتابنا هذا مهدى إلى فتيات الصحوة الإسلامية أولا وإلى كل امرأة ثانياً وإلى بناتي ثالثاً وإلى نساء العالم رابعاً ، والله نسأل أن ينفع به وأن يوفق العاملين لما يحب ويرضى ، آمين ، والحمد لله رب العالمين .

د . توفيق الواعي

الباب الأول

بدء الدعوة ومنزلتها ، وطريق الأنبياء في الدعوة ، و السنن العامة في دعوة الرسل

الفصل الأول
بدء الدعوة ومعناها ومنزلتها

المبحث الأول : بدء الدعوة :

بدأت الدعوة الإسلامية يوم نزلت الرسالة على رسول الله ﷺ ، فما أن جاءت الرسالة بقوله تعالى :

ـ ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ،

حتى خوطب الرسول بالاستعداد والتأهب للتبليغ في قوله تعالى :

ـ ﴿ **يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا** ﴾ المزمل : ١ - ٥ .

ثم أمر بالتبليغ والإنذار في قوله تعالى :

ـ ﴿ **يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر** ﴾ المدثر : ١ - ٧ .

المبحث الثاني : معنى الدعوة :

وظاهر هذه التوجيهات الدعوية هي إحراز الكمال النفسي والسمو الاجتماعي والطهارة في هذه الحياة الدنيا والصبر على ما فيها من عقبات .

ولهذا كان المعنى الذي تحمله الدعوة الإسلامية وتحاول تبليغه للناس ، هو : جمع الناس على الخير ودلالتهم على الرشد ، بتنفيذ منهج الله في الأرض قولا

وعملا وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإرشادهم إلى الطريق المستقيم والصبر والمصابرة على أعباء البلاغ مصداقاً لقوله تعالى :

ـ ﴿ **يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ لقمان : ١٧ .

فالدعوة الإسلامية بعث جديد للبشرية بمبادئ ومثل عالية طبقها المسلمون على أنفسهم وعاشوا في ظلالها ودعوا إليها وربوا عليها ، محققين ما ظنه الناس مثالية لا يمكن تحققها ، ووفروا للناس جميعاً أعز أمانيهم ، حيث وفروا لهم الأمن والرخاء والطمأنينة النفسية وهي أسمى ما يتمناه الناس في الحياة .

يقول الغزالي وهو داعية أديب في بيان ذلك :

(والواقع أن الإسلام إذا خالط أمة من هذه الأمم حولها إلى ميدان موّار بالحركة واليقظة ، مشغول بالبناء والإنشاء ، يخاصم العلل المفسدة ويشتبك معها في قتال دائم ، ويصادق أسباب النماء والعفة والتقى ، ويغرسها بأعماق الجماعة المسلمة) .

فالإسلام معرفة لله واستكانة لحكمه ، وانسجام مع الكون المسبح بحمده الهاتف بجلاله ومجده فلا مكان في أرض الإسلام ـ الصحيح ـ لعبودية دينية أو سياسية ، وإنما الشعار الذي يهيمن على النفوس والصفوف هو « الله أكبر » يُبدأ به الأذان ويُختم وتُساسُ به الجماهير وتشغل ، ويختلف الليل والنهار على الأمة الإسلامية وهي تعمل له أو تستجم لمتابعة العمل ، والدعوة الإسلامية دليل هذا كله وحاديه الأوحد .

وربما وصف بالدعوة بعض الوعاظ الذين يرققون القلوب ويذكرون بالخير ويعينون على العبادة . وهذا وصف يصح على ضرب من التجوز فإن النبي ﷺ كان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم ، ولكن شأن الدعوة

أوسع مكاناً وزماناً من هذا النصح المؤثر البليغ.

وربما منحت الدعوة أركاناً في برامج الإعلام تطول أو تقصر وقد يسمّى أولئك المتحدثون دعاة على اختلاف الموضوعات التي يطرقونها وهذا أيضاً وصف مجازي للدعوة الإسلامية، فإن التدريس والحوار بعض الجوانب العلمية للرسالة الإسلامية. أما الإسلام نفسه فدائرته أوسع وأضخم، إنه أجهزة دولة كاملة تشمل التعليم والتشريع والقضاء والجيش والتوجيه الداخلي، والتمثيل الخارجي، والهيمنة على كل نشاط مدني ليكون طاقة تتحرك بها دواليب الإسلام في أية ناحية، وإذا كانت الشيوعية في أرضها تأبى إلا وضع بصماتها على كل شيء فكيف ينتظر من الإسلام ــ وهو دين الأزل والأبد ــ أن يقبع في زاوية من زوايا المجتمع ضاقت أو اتسعت؟! كلا إنه يَصُبُّ كل شيء في قوالبه ليصوغه وفق مراد الله.

والدولة الإسلامية داخل حدودها، وخارج هذه الحدود، تمثل دينها وتعمل له، وترفع شعاره، وتوالي أو تخاصم من أجله، وكل جهد في الدولة يمثل عملا إسلامياً معيناً، ومن جملة هذه الأعمال تتكون شُعب الإيمان كلها...

وفي الشيوعية مثلا يعتبر عاملا لها من يغزو الفضاء، ومن يدرس فلسفة ماركس، كلا الرجلين يسعى في مجاله إلى غاية واحدة.. كذلك المنتسبون إلى الإسلام وإن اختلفت أعمالهم مادياً وعلمياً إنهم جميعاً يخدمون الدعوة في ميدانها العريض ويقومون بما ترشحهم له مواهبهم أو يقومون بما يكلفون به وفق مصلحة الدعوة العليا.

تلك هي رسالتنا الكبرى وأولئك هم رجالها الأصلاء.. والعمل المعجز الذي قام به محمد ﷺ، أنه كوَّن من عرب الجزيرة جيلا يفقه هذه الرسالة، ويحيا بها ويموت من أجلها. إنّه سهل على الفيلسوف الحالم بالإصلاح أن يؤلف كتاباً يودع فيه أفكاره، أما تكوين أجهزة نفسية وعقلية

واجتماعية تعمل لرسالة معينة كما تعمل النحل في خلاياها لإنتاج العسل فهذا شأن آخر ...

والرسالة الإسلامية التي بلغها محمد بن عبد الله ﷺ تمخضت لها جماهير منوعة الهمم والمواهب والملكات، وما كان يمكن أن تنجح لولا أن صاحب الرسالة سكب في أفئدتها من يقينه وتجرّده وإخلاصه ما جعلها خلقاً آخر.

قال المؤرخون: إن نحو مائة ألف أدوا المناسك مع الرسول ﷺ في حجة الوداع، واستمعوا إليه وهو يذكرهم بالإسلام في خلاصات نابضة، ويقول: اللهم قد بلغت اللهم اشهد .. إن هذه الألوف عرفت دينها وقررت فرضه على الزمن .. فلما ذهب رسولها إلى الرفيق الأعلى انطلقت وحدها بالرسالة وكأنه معها. إذا لم يكن معها بكيانه فقد كان معها بكتابه وسنته. ومن هنا مضى أصحاب محمد ﷺ من بعده ينشرون التوحيد، ويقيمون العدل، ويحاربون الأوهام والعوج وتنظر إليهم الشعوب فترى فيهم ناساً مُكّنوا في الأرض فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر.

إن تحويل المبادئ إلى حركة، والأفكار إلى واقع، والرسالة إلى رجال، والمنهج إلى جيل يعمل على صبغ الحياة بالمثالية والطهر والعزة والرجولة، هو من خصائص الدعوة الإسلامية، ومميزات الداعية إلى هذا المنهج الفريد. فالدعوة الإسلامية ليست شعاراً يرفع فقط، أو عبادة مبتورة الصلة بالحياة وإنما هي إحياءة نفسية واجتماعية وعلمية وعملية وإنسانية للإنسان في حياته الدنيا، وفي واقعه المعاش، كما أنها إجابة على استفساراته الحائرة، وتحقيق لأشواقه المكبوتة، التي قد تنفلت في عماية فتضل الطريق وترجع إلى صاحبها ومجتمعه بالدمار والخراب. وصدق الله:

ـــ ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ الأنفال: ٢٤.

نعم فالدعوة الإسلامية ليست شعاراً فقط يرفعه بعض الناس كالشعارات التي تطلق لتخدير الشعوب وستر النهم النفسي للظلم والتحكم والإثراء على حساب البائسين وسلب مقدرات الشعوب وحريتهم وشخصيتهم ، فكم يسمع الناس عن العدالة ، ولكنهم لا ينظرون إليها ولا حتى في أحلامهم ، وما هي إلا عدالة الذئاب والثعالب ، وكم يسمع الناس عن النزاهة والعفة ، وما هي في الحقيقة إلا أوهام تداعب نفوس الحيارى والمجهدين والمستغلين . وكم يسمع الناس عن الحرية ، ولكنها ليست إلا حرية الجلادين الذين لا يرعون في الناس إلّا ولا ذمة ، وحرية في مص دماء الكادحين وهتك حرماتهم وامتهانهم ، أما حرية الكلمة وحرية الفكر وحرية الاعتقاد وحرية التصرف الكريم للناس فهذه من المحرمات والكبائر والجرائم التي يعاقب عليها القانون .

فالدعوة قول وعمل ، وشعار وحقيقة ، وكلمة وفعل ، يطبق أول ما يطبق على قائله ومطلقه قبل أن يبرز إلى الناس ، أو يطالب به إنسان :

ـ **﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾** الصف : ٢ ، ٣ .

وكم تشعر الإنسانية بالمقت والغضب للمخادعين وكم يكون غضب الله ومقته الذي لا يقاس ولا يحد على هؤلاء الدجالين الذين فقدوا كل شيء من كرامة حتى عقولهم وصدق الله :

ـ **﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾** البقرة : ٤٤ .

ويوم أن كانت الكلمة هي العمل والعمل هو الكلمة كان التلاحم وكانت الثمرة التي سعد بها الجميع ، أما وقد انفصلت الكلمة عن العمل ، فقد انفصل بذلك السامع عن القائل والمجتمع عن الداعية أو المسؤول

ـ **﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾** هود : ٨ .

وكان عمر رضي الله عنه إذا أراد أن يأمر الناس بأمر دخل على أهله وقال لهم : إني سآمر الناس بكذا فائتمروا به أولا ، ثم يخرج على الناس فيأمرهم وينهاهم . والكذب على الناس خيانة للأمانة ، خاصة إذا كان كذباً من مسؤول يعتقد الناس صدقه وأمانته : عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدّق ، وأنت له كاذب »(١) . كما أن الدعوة الإسلامية ليست عبادة فقط ، مبتورة الصلة بالحياة وإنما هي إحياءة لها ، يغمر إشعاعها الفرد والجماعة فتنير كل الجوانب وتزود كل الملكات ، تعترف بحقوق الجسد وحقوق الروح .

بل إن المسلم لا يكون انتسابه إلى الإسلام صحيحاً حتى يعترف بهذا الشمول ويطوع نفسه له . يقرر هذا رسول الله ﷺ ويقرره في المجتمع المسلم : في حديث الثلاثة نفر الذين ذهبوا إلى بيوت رسول الله ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها ، قالوا : أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له . ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »(٢) .

فعمل المؤمن في دنياه موجه إلى أخراه ، وعمله لأخراه فيه صلاح دنياه ، والمؤمن مطالب مع هذا أن يعمل لدنياه ليصلحها ويعمل لأخراه ليفوز بها

---

(١) رواه أبو داود ، ورواه أحمد عن النواس بن سمعان ، قال العراقي في حديث النواس سنده جيد ، فيض القدير ٤ / ٤٦ .

(٢) البخاري ، باب فضل النكاح ج ٧ ص ٢ ومسلم ج ٩ ص ١٧٥ شرح النووي .

ويربحها . قال تعالى :

ـ ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** ﴾ القصص : ٧٧ . فلهذا الشمول والكمال والإحاطة جلال وجمال يدل على الإعجاز الذي أودعه الله في تلك الرسالة وهذه الدعوة التي تأخذ بالألباب .

يقول ليوبلد فايس « محمد أسد » في سبب إسلامه عندما سئل لم اعتنقت الإسلام؟ : (لا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي استهوتني أكثر من غيرها ، فإن الإسلام على ما يبدو إليَّ بناء تام الصنعة ، كل أجزائه قد صيغت ليتمّم بعضها بعضاً ، ويشد بعضها بعضاً ، فليس هناك شيء لا حاجة إليه ، وليس هناك نقص في شيء ، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص ، ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت موضعها هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي)(١) .

إذن فالمسلم يدعو إلى الإسلام ، ذلك النظام الشامل الكامل الذي يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقانون ، أو رحمة وعدالة . وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء . وهو مادة وثروة أو كسب وغنى وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة خاشعة .

المبحث الثالث : منزلة الدعوة :

دعوة ربانية :

يجب أن يعرف الناس ــ كل الناس ــ أن هذه الدعوة لم تصل إلينا عن طريق الحكماء والمفكرين ، ولا عن طريق الحقوقيين والمقننين والمشرعين ،

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص ١٥ ط دار العلم للملايين .

ولا عن طريق الأذكياء والفلاسفة والخياليين ولا عن طريق الزعماء والقادة السياسيين ، ولا عن طريق الاجتماعيين والنفسيين والمجربين ، ولا عن طريق الأعراف والعادات والتقاليد .

وإنما وصلت إلينا عن طريق الأنبياء والمرسلين الذين جاءوا بالوحي المبين ، وصدق الله :

ـ ﴿ **وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم** ﴾ النمل : ٦ .

ـ ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ الحجر : ٨٧ .

ـ ﴿ **تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين** ﴾ السجدة : ٢ .

ـ ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ النساء : ١١٣ .

فمنهج هذه الدعوة وكتابها ودستورها الذي يصرف حياة المدعوين ، هو إذن من عند الله سبحانه ، وينبثق من تصور رباني ، وليس هو من صُنع ملك أو رئيس ، أو أمير أو شعب أو برلمان أو حزب ، كما أن هذه الدعوة ليست تصوراً من التصورات الإنسانية العديدة ، ولا فلسفة من الفلسفات البشرية المتنوعة ولهذا فهي لا تعمل لمصلحة ملك أو حاكم أو أمة بعينها أو شعب بذاته وصدق الله :

ـ ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً** ﴾ النساء : ١٢٣ .

وإنما تعمل حسب عدالة إلهية ودستور رباني ، عطاءً وحساباً إكراماً وعقاباً ، تقدر النيات ، وتزن الجهد وتحترم العمل الصالح لا تلتفت إلى جنس أو لون أو نسب إلا بمقدار ميزانه في الصالحات والطيبات .

وما دامت هذه الدعوة ربانية ، إذن فهي خالية من الأحقاد والضغائن التي تضيع الاستقرار والأمن والحب ، وخالصة من الأخطاء والعثرات

والمعوقات التي تغلق النوافذ على الفطرة البشرية ، فلا تستطيع أن تستنشق عبير الصحة وحيوية الحياة ، وبعيدة عن متاهات وصحارى الجفاف العقلي والشطط الفكري الذي عصف بكثير من العقود والقرون الإنسانية البئيسة ، وبريئة من القصور والنقص الذي يلازم القاصرين المحدودين في الفكر والنظر والعلم ، والزمان والمكان ، ومنزهة عن الضعف الإنساني والنزق والغرور والظلم والبغي والتسلط الذي سحق الإنسانية وبطش بها ومنعها الاستقرار والهدوء ، وسلط عليها صلف الفراعنة ووحشيتهم :

ــ ﴿ **ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون * أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين * فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين * فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين** ﴾ الزخرف : ٥١ ـ ٥٤ .

فهذه الدعوة إذن تعمل لصالح البشرية جميعاً لأنها من خالقهم ومدبر أمرهم ، لا تدعو إلى عبادة فرد أو مبدأ أو فكر أو جنس أو لون ، كما أنها نظام فطري إنساني ، وميراث بشري عالمي وناموس كوني وحياتي ، يدافع عن كرامة الإنسانية وعزتها وسعادتها وكيانها وقيمها وأشواقها ، ولهذا يحق للإنسانية أن تبحث عنه وتدافع عن حماه ، وتجاهد في سبيله وتعض عليه بالنواجذ .

عالمية الدعوة :

هذه الدعوة وهذا المنهج الإسلامي المنبثق عنها ، ليس نظاماً تاريخياً أو دستوراً زمنياً جاء لفترة محدودة ، أو وقت معين ، أو نزل لحقبة من حقب التاريخ المتعاقبة الحلقات ، كما جاءت كثير من الملل ، أو ظهرت جمهرة من الدعوات التي كانت مرحلة من المراحل على طريق الإنسانية الطويل ، كما أنه

ليس حلقة من الحلقات التي اقتضاها التطور الإنساني أو التقدم الفكري والرشد العقلي ، ولا شريعة من الشرائع التي أراد الله لها أن تكون محدودة الأهداف والمراحل ، موقوتة الأزمان والأحوال ، حيث كانت الرحمة الإلهية قديماً تتخير بقاعاً من الأرض ، تنزل بها لتحيي مواتها ، وتسقي زرعها ، وتخرج ثمارها ، على تفاوت من الأزمان أو تقارب ، وتجاوز في المكان أو تباعد ، وصدق الله :

ـ ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ فاطر : ٢٤ .

ـ ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة** ﴾ النحل : ٣٦ .

فكان كل رسول أو نذير بمثابة السراج في وسط قومه يبدد ظلامهم ، ويهدي حائرهم ، ويرشد ضالهم ، إلى أن طلعت شمس الإسلام فأنارت الدنيا وسطعت في العالمين ، وأضاءت الدروب والوهاد والقفار ، والحواضر والبوادي ، وجمعت شتات الرسالات في رسالة واحدة وشتات الأمم في أمة واحدة ، تصدر عن المعين الأول وتسير على الطريق المضيء ، تجدد ما اندرس ، وتشيد عليه صرح الإيمان الباقي الثابت المكين الجامع الشامل ، وصدق الله :

ـ ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ الشورى : ١٣ .

وقضت رحمة الله أن تكون الرسالة عامة وغامرة وقوية وعارمة كما قضت رحمته أن تجتمع الإنسانية على إيمان ، وتلتقي على تقوى وهدف ، وتتعانق العبادة والسلوك ، وتتوحد الوجهة والقبلة وتلتقي الأشواق والغايات على كتاب ورسالة ، وقائد ورسول وينطلق الوحي بالكلمة الفاصلة ، ليؤكد

أخوة الإنسانية وعالمية الرسالة فيقول :

ـ ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ الأنبياء : ٩٢ .

وقد أكد القرآن ذلك في آيات كثيرة ووضح هذه المعاني حتى صارت فكرة عالمية الرسالة وعموم الدعوة جلية في التعاليم الإسلامية ، كفلق الصبح أو كالشمس في رائعة النهار ، ويحسن بنا أن نسوق بعضاً من هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية ليكون المسلم على بينة من هذا الأمر ، فمما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :

ـ ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ آل عمران : ٨٥ .

ـ ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ الأنبياء : ١٠٧ .

ـ ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾ سبأ : ٢٨ .

ـ ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً** ﴾ الفرقان : ١ .

ـ ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾ الفتح : ٢٨ .

ـ ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض** ﴾ الأعراف : ١٥٨ .

ـ ﴿ **إن هو إلا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين** ﴾ يس : ٦٩ ، ٧٠ .

ـ ﴿ **وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ الأنعام : ١٩ .

ـ ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ الأنعام : ٩٠ .

من عند الله رسول ، وسيبقى كتاب محمد ﷺ وحده هو صوت السماء بين الناس ، وهو قانونهم وصراطهم إلى يوم الدين ، وستظل تلك التعاليم فيها من القوة والإشعاع والأصالة ما يكفي زاداً لتلك البشرية ونوراً لها إلى يوم الحساب .

والأصل في نزول الشرائع أنها تأتي لتسد نقصاً في تشريع سابق أو لإكماله بتشريع لاحق مناسب لمستوى البشرية ، وحيث إنّ الشريعة الإسلامية كاملة تامة سدت كل ما لم تأت به الشرائع السابقة ، وأكدت ما جاءت به هذه الشرائع المتقدمة مما يوافق حاجة البشرية فلا حاجة لمجيء شريعة أخرى مع هذا الكمال والتمام ، قال تعالى :

ـ ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ المائدة : ٣ .

وحيث لا شريعة فلا رسول آخر بعد محمد ﷺ .

وعموم الشريعة وبقاؤها وعدم قابليتها للنسخ والتبديل والتغيير أو الزيادة كل ذلك يستلزم عقلا وعدلا أن تكون قواعدها وأحكامها ومبادئها وجميع ما جاءت به على نحو يحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان ، ويوفي بحاجاتهم ولا يضيق بها ، ولا يتخلف عن أي مستوى تصل إليه البشرية من التقدم والريادة والعلم والمدنية وهذا لأنها من عند الله العزيز الحكيم الذي أراد لها ذلك ، وجعلها خاتمة لجميع الشرائع وجعل قواعدها وأحكامها صالحة لكل زمان ومكان ، ومهيئة للبقاء والاستمرار .

وعالمية الرسالة تدل وتشير إلى عالمية القائمين بها والحاملين لها والمجاهدين في سبيلها ، كما تدل على ريادة تلك الأمة وقدرتها للتصدر والقيادة ، وأنها حقيقة بذلك وأهل له إذا هي حملته بصدق وإخلاص ، وصدق الله :

ـ ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**

وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران : ١١٠ .

ولا عجب إذا رأينا القرآن الكريم يبين صفات هذه الأمة قبل أن توجد ويرسم معالم رجالها ويذكر مناهج حياتهم قبل أن يستقبلهم الزمان وتعانقهم الأيام ويبشر بهم ركب الأنبياء ومواكب المجاهدين السابقين احتفاء بمقدمهم وتقديراً لخطوهم ولفتاً لسيرتهم وهمتهم فيقول :

ـ ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ الفتح : ٢٩ .

هذه الآيات الكريمة كلها مكية وهي تقرر كما رأينا عالمية الرسالة منذ بدء الوحي وفي الأيام الأولى التي كانت الدعوة فيها على أول عتباتها تعاني ما تعاني، وكان أهل مكة يستكثرون على محمد ﷺ أن يكون رسولا لهم وحدهم، فضلا عن أن يكون رسولاً للعالمين، ولكنها إرادة الله سبحانه وأمره وسنته ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا.

ومكية تلك الآيات التي تدل من أول يوم على عالمية الرسالة وعمومها، وترد على الأقوال المتهافتة لمبشري الغرب الاستعماري التي تزعم أن محمداً ﷺ بدأ دعوته إقليمية فلما نجح في دعوته أغراه ذلك بجعلها عالمية. وكأن الدعوة من صنع محمد ﷺ والقرآن من إملائه يوجهه حيث يريد، ثم ما هو النجاح الذي صادف الدعوة في أولها كما يزعمون؟!! إن العرب ظلوا في حرب دائمة مع قائد الرسالة وجنده ولم تخضع مكة للرسول الذي طاردته إلا في الفتح المبين، ولم تكسر أصنام الجاهلية إلا عنوة في هذا اليوم المشهود، وقبل وفاة الرسول بعامين اثنين.

فأين النجاح المبكر الذي أغرى الرسول ﷺ والذي يزعمه السخف الاستشراقي الحاقد، ولكنه الغرب الموتور الذي لا يفتر عن اختلاق الشبهات وترويج الأوهام، لينال من الرسالة وصاحبها ولكنه لا يجد حفاوة من عاقل، أو التفاتة من سوي.

السنة وعالمية الدعوة:

روت لنا كتب السنة فيضاً من الأحاديث الدالة على عالمية الرسالة المقررة لعموم الدعوة، منها:

١ ـــ أخرج البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم

تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل حيث كان ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة » هذه رواية مسلم ، وجاء في رواية البخاري في باب التيمم « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » ، وفي رواية أخرى « وبعثت إلى الناس كافة » ، وفي رواية أخرى « وأرسلت إلى الخلق كافة »[1] .

٢ ــ روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار »[2] .

٣ ــ أخرج مسلم عن ثوبان عن النبي ﷺ « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها ، وإني أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وهما كنزا كسرى وقيصر »[3] .

٤ ــ أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله »[4] .

وختم النبوة تقرير لهذه العالمية كذلك . فإن القارات الخمس إلى قيام الساعة لن يطرقها طارق من السماء أو ينزل لها جبريل بوحي ، أو يبعث لها

(١) رواه البخاري ١ / ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، باب التيمم والمساجد ، وفي باب الجهاد ، ومسلم رقم ٥٢١ ، والنسائي ١ / ٢١٠ تيمم .

(٢) رواه مسلم برقم ٢٨٨٩ باب الفتن ، والترمذي رقم ٢١٧٧ ، وأبو داود رقم ٤٢٥٢ باب الفتن .

(٣) مسلم رقم ٢٨٨٩ باب هلاك الأمم .

(٤) رواه مسلم رقم ٢٩١٩ فتن ، والبخاري ٦/٤٦١ الأنبياء .

من عند الله رسول ، وسيبقى كتاب محمد ﷺ وحده هو صوت السماء بين الناس ، وهو قانونهم وصراطهم إلى يوم الدين ، وستظل تلك التعاليم فيها من القوة والإشعاع والأصالة ما يكفي زاداً لتلك البشرية ونوراً لها إلى يوم الحساب .

والأصل في نزول الشرائع أنها تأتي لتسد نقصاً في تشريع سابق أو لإكماله بتشريع لاحق مناسب لمستوى البشرية ، وحيث إنّ الشريعة الإسلامية كاملة تامة سدت كل ما لم تأت به الشرائع السابقة ، وأكدت ما جاءت به هذه الشرائع المتقدمة مما يوافق حاجة البشرية فلا حاجة لمجيء شريعة أخرى مع هذا الكمال والتمام ، قال تعالى :

ـ ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ المائدة : ٣ .

وحيث لا شريعة فلا رسول آخر بعد محمد ﷺ .

وعموم الشريعة وبقاؤها وعدم قابليتها للنسخ والتبديل والتغيير أو الزيادة كل ذلك يستلزم عقلا وعدلا أن تكون قواعدها وأحكامها ومبادئها وجميع ما جاءت به على نحو يحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان ، ويوفي بحاجاتهم ولا يضيق بها ، ولا يتخلف عن أي مستوى تصل إليه البشرية من التقدم والريادة والعلم والمدنية وهذا لأنها من عند الله العزيز الحكيم الذي أراد لها ذلك ، وجعلها خاتمة لجميع الشرائع وجعل قواعدها وأحكامها صالحة لكل زمان ومكان ، ومهيئة للبقاء والاستمرار .

وعالمية الرسالة تدل وتشير إلى عالمية القائمين بها والحاملين لها والمجاهدين في سبيلها ، كما تدل على ريادة تلك الأمة وقدرتها للتصدر والقيادة ، وأنها حقيقة بذلك وأهل له إذا هي حملته بصدق وإخلاص ، وصدق الله :

ـ ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**

وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران : ١١٠ .

ولا عجب إذا رأينا القرآن الكريم يبين صفات هذه الأمة قبل أن توجد ويرسم معالم رجالها ويذكر مناهج حياتهم قبل أن يستقبلهم الزمان وتعانقهم الأيام ويبشر بهم ركب الأنبياء ومواكب المجاهدين السابقين احتفاء بمقدمهم وتقديراً لخطوهم ولفتاً لسيرتهم وهمتهم فيقول :

ـ ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ الفتح : ٢٩ .

الفصل الثاني

طريق الأنبياء في الدعوة ، والسنن العامة في دعوة الرسل وخطة الرسول في نشر الدعوة

المبحث الأول : طريق الأنبياء في الدعوة إلى الله :

لم يترك الحق سبحانه وتعالى البشرية منذ خلقهم ، وإنما تولاهم بعنايته وأعلمهم بذلك من أول يوم ، قال سبحانه :

ـ ﴿ **قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ البقرة : ٣٨ .

ـ ﴿ **قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾ طه : ١٢٣ ـ ١٢٦ .

وجاءت هداية الله عن طريق رسله إلى الناس في كل زمان ومكان :

ـ ﴿ **ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاءت أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون** ﴾ المؤمنون : ٤٤ .

ـ ﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل**

معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ البقرة : ٢١٣ .

وقد أخبرنا الله سبحانه عن بعض تلك الكتب التي جاءت بالهداية للناس منها التوراة فقال :

ـ **﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾** المائدة : ٤٤ .

ثم أخبرنا عن إنجيل عيسى ، فقال سبحانه :

ـ **﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ﴾** المائدة : ٤٦ .

وأخبرنا سبحانه أنه أنزل على داود عليه السلام كتاباً فقال :

ـ **﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾** النساء : ١٦٣ .

وأخبرنا سبحانه عن صحف إبراهيم وموسى فقال :

ـ **﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى ﴾** الأعلى : ١٨ ، ١٩ .

وقد روي أن أبا ذر قال : أنزل الله سبحانه على رسله مائة وأربعة كتب (١) ! ولقد كان جهد الأنبياء الأول هو علاج الخلل الإنساني الذي طمس الفطرة ، وتقويم السلوك الإنساني الذي انحرف عن الطريق ، ومداواة

(١) فتح القدير ٥/٤٢٧ ط دار المعرفة .

تلك العلل التي تفتك بالكرامة وتنذر في العاجل والآجل بسوء المنقلب .

فهذه أمة شاع فيها الظلم وغمط الحق وبخس الكيل والميزان وأكل أموال الناس بالباطل ،

وهذه أمة أخرى شاع فيها الكبر والاستعباد وادعاء الألوهية ،

وهذه أمة ثالثة أسرفت في شهواتها وتعدت الفسق بالإناث إلى الذكور وانحرف طبعها وفسد خلقها وضاعت عفتها ، وهذه وهذه أمم كثيرة حادت عن الصراط المستقيم وأحاطت بها الأمراض وذهلت عن هدى ربها . فكان لزاماً على كل رسول أن يهدي الضال وينقذ الغريق ويشفي العليل من عواقب الكفر والفسوق والعصيان .

عدة الرسل :

بعث الأنبياء وليس معهم جيوش أو أسلحة أو عدة أو دروع ، وإنما بعثوا بالإيمان والحجة والحق والهداية والعلم ، بعثوا بمنهج الفطرة ونور البصيرة . وعلموا الحكمة والموعظة الحسنة وأمروا بالجهاد والصبر قال تعالى في بيان ذلك :

ـ ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكّر إلا أولو الألباب** ﴾ البقرة : ٢٦٩ .

ـ ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ البقرة : ١٢٩ .

ويقول عن عيسى عليه السلام :

ـ ﴿ **وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل** ﴾ المائدة : ١١ .

وعن لقمان :

ـ ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ لقمان : ١٢ .

وعن داود :

ـ ﴿ **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾ ص : ٢٠ .

وعن إبراهيم :

ـ ﴿ **فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً** ﴾ النساء : ٥٤ .

ـ ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم** ﴾ الأنعام : ٨٣ .

نعم ، فقد ضرب الأنبياء الأمثال في الدعوة إلى الله تعالى وكان لهم طريق واضح بين وصفات كريمة وكفاح عظيم وأساليب مؤثرة ومنهج موحد فعال في الدعوة والتربية .

تتلخص خطوات هذا المنهج فيما يلي :

١ ـ الدعوة إلى التوحيد ، وإقرار معنى الألوهية وحقيقة الربوبية في الناس ، وترجمة ذلك حقيقة واقعة في حس المؤمن وكيانه ، فيشعر أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت بيده الملك والأمر لا إله إلا هو فينبذ الأنداد ويترك الخرافة ولنقف مع لوحة معبرة عن هذا المعنى في حديث إبراهيم عليه السلام مع قومه :

ـ ﴿ **واتل عليهم نبأ إبراهيم * إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون * قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين * قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرون * قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون * قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين * الذي خلقني فهو يهدين * والذي**

هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ الشعراء : ٦٩ ـ ٨٢ .

نعم ، يقرأ الأنبياء ذلك في الكيان البشري وفي دنيا الناس وفي أرجاء المعمورة :

ـ **﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾** آل عمران : ٢٦ .

فهل هناك أقوى من إنسان استقر هذا في كيانه وعقله وروحه ؟ ثم ترجم هذا عملا وواقعاً في الحياة فلا يخشى إلا الله ولا يعمل إلا لله ولا ينظر إلا إلى ملك الله . ولهذا رأينا كل الأنبياء يبدأون بإقرار الدعوة إلى التوحيد أولا .

فنوح عليه السلام يرسل فيقر هذا :

ـ **﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا إلا الله ﴾** هود : ٢٥ ، ٢٦ .

ثم يأتي هود عليه السلام فيقول :

ـ **﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾** هود : ٥٠ .

ثم يأتي صالح فيقول :

ـ **﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾** هود : ٦١ .

وكذلك شعيب ، ثم يأتي يوسف فيقول :

ـ **﴿ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر**

الناس لا يعلمون ﴾ يوسف : ٣٩ ، ٤٠ .

ويقول موسى لقومه :

ـ ﴿ أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين ﴾ الأعراف : ١٤٠،

ثم يأتي عيسى فيقول :

ـ ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ المائدة : ١١٧ .

ويقول القرآن الكريم :

ـ ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض ﴾ البقرة : ٢٥٥ .

ويقول سبحانه :

ـ ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

ويقول سبحانه :

ـ ﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾ الأنعام : ٧٣ .

وعلى هذا فقد اتفقت الشرائع والأديان في الأصول وهي الدعوة إلى التوحيد ، فلا خلاف بين الرسل في العقيدة ولا في توجيه العبادة لله ، وإنما الخلاف في الوسائل التي تؤدي بها هذه العبادة وإن كانت كلها تؤدي إلى الله تعالى .

٢ ـ الدعوة إلى التكاليف الشرعية وأخذ الناس بها لمداواة عللهم وهي

مرحلة تفرض فيها الفرائض وتقنن الشرائع ويكلف الناس بها ويدينون لها ، قال تعالى :

ـ ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ المائدة : ٤٥ .

ـ ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾ المائدة : ٤٨ .

المبحث الثاني : السنن العامة في دعوة الرسل إلى الدين :

اشتركت الرسل في سنن عامة في دعوتهم إلى الله تعالى فصلها القرآن الكريم وتحدث عنها لتكون نبراساً لكل داعية بعدهم يسير على الطريق المستقيم ، منها :

١ ـ الوفاء للحق والجهاد في سبيله والقيام على أمره ، ومن هنا ظل كل رسول يكافح على دعوته حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا :

ـ ﴿ **فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم * وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون** ﴾ الزخرف : ٤٣ ، ٤٤ .

ـ ﴿ **فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أُنزِل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل** ﴾ هود : ١٢ .

٢ ــ عدم تهيب صاحب سلطان ما دام ذلك في مصلحة الدعوة ، قال تعالى :

ــ ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً ﴾ الأحزاب : ٣٩ .

فلم يتهيب إبراهيم النمروذ ، ولم يتهيب موسى فرعون ، وذلك بالأساليب المرغبة والحجج المفحمة والآيات الباهرة .

ــ ﴿ قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * قال لمن حوله ألا تستمعون * قال ربكم ورب آبائكم الأولين * قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون * قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون * قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين * قال أو لو جئتك بشيء مبين * قال فأت به إن كنت من الصادقين ﴾ الشعراء : ٢٤ ، ٣١ .

ــ ﴿ ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ البقرة : ٢٥٨ .

ونلاحظ الحجة والبيان من جانب موسى وإبراهيم عليهما السلام لقوله تعالى :

ــ ﴿ فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ ، طه : ٤٤ .

وقوله تعالى :

ــ ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ النحل : ١٢٥ .

وهذا إذا كان الداعية لا تسنده قوة يملك بها التغيير ، فإن كانت تسنده قوة يغير مع الحسنى في القول والأسلوب الأمثل والنصح بالهداية والاستقامة ، فلا تنفي القوة التغيير بالحسنى والدعوة إلى الهداية.لأن الهداية هي المقصودة وما عداها سبب فلا يضيع السبب الغاية .

٣ ــ عدم التأثر بالأعراف الفاسدة أو تملق الناس بالحرام لأن الرسول ما جاء إلا ليغير تلك الأعراف الباطلة فكيف يتأثر بها

ــ ﴿ **فلا تطع المكذبين * ودوا لو تدهن فيدهنون** ﴾ القلم : ٨ ، ٩ .

٤ ــ الاحتساب لله سبحانه وتعالى ، فلا يغرهم طمع أو يجرهم هوى أو تغريهم شهوة أو يرديهم مال ، لأن رقابة الله وحبه والرغبة في ثوابه يتضاءل أمامها كل متاع الحياة الدنيا وزينتها :

ــ ﴿ **إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين** ﴾ الشعراء : ١٠٦ ــ ١٠٩ .

ــ ﴿ **اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون** ﴾ يس : ٢١ .

وتتكرر نفس المقولة على لسان الأنبياء كلهم على لسان هود ، وصالح ، ولوط ، وكذلك على لسان رسول الله ﷺ :

ــ ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين** ﴾ الأنعام : ٩٠ .

ــ ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾ الشورى : ٢٣ .

وكأن البشرية قد سئمت من يتأكلون بالدين من الدجالين فسارعت الرسل إلى نفي ذلك ، وكأنها كذلك قد ملكت عليها المادة كل جوارحهم وأصبحت هي فرحهم وحزنهم فسارعت الرسل إلى طَمْأنتِهم على ذلك :

ــ ﴿ **أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون** ﴾ الطور : ٤٠ ، والقلم : ٤٦ .

٥ ــ الوضوح والبيان ومخاطبة الناس بما يطيقون ، وصدق الله العظيم

ــ ﴿ وآتيناهما الكتاب المستبين * وهديناهما الصراط المستقيم ﴾ الصافات : ١١٧ ــ ١١٨ . ،

ــ ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة ﴾ الأنفال : ٤٢ .

ــ ﴿ ولقد يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدًّا ﴾ مريم : ٩٧ .

ــ ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ القمر : ٢٢ . .

٦ ــ الصبر وتحمل المشاق في سبيل تبليغ الدعوة ومجالدة الباطل وهدايته وصدق الله :

ــ ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ طه : ١٣٠ .

ــ ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ الروم : ٦٠ .

ــ ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ الأحقاف : ٣٥ .

ــ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ آل عمران : ٢٠٠ .

والصبر على الكفاح في سبيل الدعوات قانون من قوانين النصر المبين والأكيد نسمع إلى قول يوسف عليه السلام :

ــ ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يوسف : ٩٠ .

كما أنه السبيل إلى صعود القمة في الدنيا والآخرة :

ــ ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ السجدة : ٢٤ .

٧ ــ الوثوق بنصر الله الأكيد للعاملين :

ــ ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً** ﴾ النور : ٥٥ .

ــ ﴿ **سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** ﴾ الأحزاب : ٦٢ .

المبحث الثالث : خطة الرسول ﷺ في نشر الدعوة :

لا يستطيع الإنسان في مجلدات أن يوفي خطة الرسول ومنهجه في الدعوة حقه ، حتى وإن وفي في عصر فستتجدد النظرة إليها في عصر آخر ، قد تختلف ظروفه وأحواله عن عصرنا ، والرسول ﷺ ومنهجه قدوة في كل زمان ومكان . قدوة في منهجه كما هو قدوة في خلقه وسيرته :

ــ ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ الأحزاب : ٢١ .

ولكن هل نفس خطة الرسول ﷺ في الدعوة في كل عصر ملزمة أم لا ؟ شيء آخر ليس هذا البحث مجاله ولكننا نقول إنه كان منهجاً صحيحاً وخطة مثمرة ولكنها كانت بشرية اجتهادية بلا شك . تعلمنا الاجتهاد والحكمة والاستعانة بالله ، وهذا بحد ذاته أسوة حسنة .

ولكننا في هذه العجالة نضع علامات على الطريق لنتذكر ، والذكرى تنفع المؤمنين :

١ ــ اختار الله رسوله محمداً ﷺ واصطفاه :

ــ ﴿ **الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس** ﴾ الحج : ٧٥ .

ـ ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ الأنعام : ١٢٤ .

٢ ــ ثم أنزل له قرآناً معجزاً في لفظه وبيانه ودستوره وأحكامه ودلالاته وإشاراته، وجدته وقيادته وصلاحه وإبهاره .

٣ ــ فدعا إلى الله حسب طبيعة مجتمعه وزمانه ومكانه ، فالناس غلاظ شداد وفي مكة أغلظ ، لتحكم العادة فيها ، ولأنها زعيمة الوثنية وسادنتها ، فناسبتها أولاً الدعوة السرية ثم تدرج منها إلى الجهرية . أما المدينة فكانت الدعوة فيها على عكس ذلك . كانت جهرية ولم تكن سرية لأن أذهان أهل يثرب كانت مهيأة لذلك لمخالطتها اليهود وسماعها عن الأنبياء وعن قرب مبعث الرسول ﷺ ولما كان هناك من تنافس بين العرب واليهود . وهذا يعطي الداعية إشارة إلى فقه أحوال الناس ومعرفة طبيعة الأرض التي ترتادها الدعوة .

٤ ــ الصبر والتربية . فلقد صبر الرسول ﷺ وتحمل الأذى والعذاب والاضطهاد في سبيل دعوة الناس حتى تمكن رغم القسوة والجهد والخوف والإرهاق من إقناع الشباب وتربيتهم وإعدادهم إيمانياً لمقارعة الخطوب والأهوال من عذاب وحرب أرزاق ، وقتل وطرد ، واستحلال أموال . حتى كان السائر في طرقات مكة ليلا يسمع أنين المعذبين يشق سكون الليل ، وتكبير المعذبين في الرمضاء نهاراً يدوي في أرجاء مكة .

٥ ــ المحافظة على كل مسلم وعدم التفريط فيه وادخاره ليوم موعود تتكافأ فيه القوى وتستعد للانطلاق . ولهذا أمر الرسول بالهجرة إلى الحبشة ثم بالهجرة إلى المدينة ، وكان من يأتيه من القبائل العربية مسلماً يأمره أن يرجع إلى قومه حتى لا يهلك ولا يجد حماية في مكة . ثم يقول له : « إذا سمعت بظهورنا فأقبل » ورسول الله ﷺ بهذا يجعل هناك مخازن للطاقات ينتفع بها عند الحاجة إليها .

٦ ـــ الأسلوب الحسن والحجة البليغة وعدم إيجاد فرصة للمشركين حتى لا تتخذ كذريعة للقضاء على المسلمين قبل النضج وكان ﷺ يقابل السيئة بالحسنة ويمر على المعذبين ولا يحرضهم بل يعطيهم جرعات الإيمان ويقـول : « صبراً آل ياسر فإن موعـدكم الجنـة » ويـأتي خبـاب ضَجِـراً من العذاب فيقول له الرسول : « إنه كان فيمن قبلكم يؤتى بالرجل فيوضع المنشار على رأسه فيشق نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحمه ما يصده ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

الباب الثانى

وجوب الدعـوة ، وضـــرورة الداعيــات ومجـالات عملهن ، ووسائل نشرها والإقناع القولى

الفصل الأول

وجوب الدعوة وضرورة الداعيات ومجالات عملهن

المبحث الأول : وجوب الدعوة على من؟

هل الدعوة واجبة على الرجل فقط ، أم على الرجل والمرأة؟

مما لا شك فيه أن الدعوة واجبة على الرجال بإجماع العلماء، وقد اختلف في نوع الوجوب ، هل هو وجوب عيني أم كفائي : ينظر إليه في محله (١) . ولكن هل الدعوة واجبة كذلك على المرأة كما هي واجبة على الرجل :

مع الأدلة :

إذا تصفحنا أدلة الدعوة وجدناها لا تفرق بين الرجل والأنثى ، بل جاءت على إطلاقها كقوله تعالى :

— ﴿ **قل هذا سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ يوسف : ١٠٨ .

— ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾ آل عمران : ١١٠ ،

— ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ آل عمران : ١٠٤ ،

---

(١) انظر الدعوة إلى الله للمؤلف ص ٦٢ .

وقوله ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » الطبراني والحاكم ـ صحيح الإسناد .

ـ وهناك بعض الآيات أشارت إلى المرأة صراحة في القيام بالدعوة إلى الله تعالى :

ـ ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ التوبة : ٧١ .

فعلم من ذلك أن المرأة تشترك في الدعوة مع الرجل لأنها إنسانة اعتنقت المنهج وآمنت به وصدقت وبايعت عليه .

وقد اشترط العلماء في الداعية الذي يصلح لحمل المنهج والدعوة إليه شروطاً وهى أن يكون مكلفاً ، مسلماً ، عدلا ، قادراً .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي يدخل فيه الرقيق والمرأة ممن تحقق فيهم الشروط السابقة والمرأة المسلمة مطالبة بكل التكاليف الشرعية التي فرضها الله على عباده مع الاختلاف عن الذكر في بعض هيئات العبادة .

وقد اختصها الله سبحانه وتعالى بالحيض والحمل والولادة ، وترتب على ذلك بعض الأحكام الفقهية كالتخفيف عنها في العبادات في هذه الحالات ، ولضعف المرأة في الخلقة والتكوين فإنها لا تتولى من الأعمال ما يحتاج إلى بذل الجهد الجسدي والذهني الشاق كقيادة الجيوش والإمارة .

ولأن المرأة أكثر حناناً وشفقة من الرجل كان حقها في الحضانة مقدماً على الرجل والمختار على جواز كونها نبية ، قال السبكي في الحلبيات ، ويشهد لنبوتها ذكرها في سورة مريم مع الأنبياء ، واختار ابن نجيم جواز كونها نبية لا رسولة ، لأن الرسالة مبنية على الاشتهار ، ومبني حالهن على الستر بخلاف

النبوة والتمام فيها (١) .

وقال العلماء في قوله تعالى : .

ـ ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ التوبة : ٧١ .

إن تحقيق الخير ودفع الشر يحتاج إلى الولاية والتضامن والتعاون بين الرجل والمرأة ومن هنا تقف الأمة المؤمنة صفاً واحداً لا تدخل بينها عوامل الفرقة وحيثما وجدت الفرقة فثمة ، ولا بد أن هناك عنصراً غريباً عن طبيعتها ، وعن عقيدتها ، هو الذي يدخل بالفرقة (٢) . وعمل المرأة في مجال الدعوة إلى الله تعالى فيما يباح لها ، تكاتف وتعاضد مع الرجل في غاية واحدة وهدف واحد .

فالمرأة في عمل الطاعات والصالحات والدعوة إليها لا شك أن لها دوراً إيجابياً يمكن أن تتوجه إليه وأن تخصص له :

ـ ﴿ **إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم** ﴾ آل عمران : ٣٥ .

وكانت المنذورة لله هي مريم عليها السلام وكان القبول من الله لها على هذا الفعل :

ـ ﴿ **فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا** ﴾ مريم : ٣٧ .

والآية تدل على أن للمرأة في المجتمع أن تدعو إلى الله وأن تخصص لذلك إن احتاج المجتمع إليها وأما عن كلامها للرجال ، فهذا شيء مباح إذا كان

---

(١) انظر الدعوة إلى الله للمؤلف ص ٦٢ .

(٢) انظر في ذلك فتح القدير للشوكاني وظلال القرآن في شرح الآية .

بالشروط المعروفة وهي عدم الخلوة ، والأمن من الفتنة ، وفي القول بالمعروف الذي ليس فيه ما يطمع فيها أو يدل ويجر إلى معصية وهذا مقرر في قوله تعالى :

ـ ﴿ **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً** ﴾ الأحزاب : ٣٢ .

قال الفخر الرازي والشوكاني[1] : لا تلن القول عند مخاطبة الناس كما تفعل المريبات من النساء ، فإنه يتسبب في مفسدة عظيمة ،

ـ ﴿ **وقلن قولا معروفاً** ﴾

فالقول بالمعروف لا شيء فيه وهو من المباحات ،

ـ ﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ فصلت : ٣٣ .

ودور المرأة في المعروف والنهي عن المنكر في الحدود المقررة لها إسلامياً كأنثى دور أساسي في المجتمع المسلم لا يستغني عنه ، خاصة وأن المرأة اللعوب الآن لها دور كبير في إفساد الناس وفي جر بنات جنسها إلى الهاوية وإلى الخسران المبين .

مع الأدلة :

جاءت أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة للمرأة على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : عام يشمل الرجل والأنثى على سواء : كقوله تعالى :

---

(١) انظر في ذلك فتح القدير للشوكاني والفخر الرازي في شرح الآية.

ـ ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ يوسف : ١٠٨ .

وقوله ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

القسم الثاني : صريح في إشراك المرأة مع الرجل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . من مثل قوله تعالى :

ـ ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ ، التوبة : ٧١ .

فلم يفرق الله سبحانه في هذه الآية الشريفة صراحة بين الرجل والمرأة في إيجاب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل جعلها مشاركة للرجل في أعباء الدعوة وحمل المنهج .

القسم الثالث : بيعة الرسول ﷺ للنساء على القيام بأمر المنهج وحمل الدعوة والاستقامة عليها وتنفيذ تعاليمها ، وبيعة النساء معروفة في القرآن الكريم :

ـ ﴿ **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم** ﴾ الممتحنة : ١٢ .

وهذه البيعة وإن كانت تخالف بيعة الرجال إلا أنها أخذت عليهن على ما يستطعن أن يقمن به من أعمال وأفعال تناسب وضعهن مراعاة للفرق بين

أعباء الرجل وأعباء المرأة وطبيعة كل منهما .

الممارسات في الصدر الأول :

كانت المرأة في الصدر الأول نصيراً ومعيناً على الإيمان والإسلام وكان لها دور مهم جداً في ثبات الرجال على الحق وفي الصبر على الكفاح ضد الظلم والبغي ، ولا ننسى السيدة خديجة رضوان الله عليها التى وقفت بجانب الرسول ﷺ تشد من أزره وتطمئن قلبه فتقول له : كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق .

ثم ذهبت به إلى ورقة بن نوفل التي كانت تعلم أن عنده علما من الكتاب وقالت له اسمع من ابن أخيك ، فسمع منه ورقة . وقال قولته المعروفة : هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، قال ﷺ « أو مخرجي هم ؟ » قال : نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي . وإن يأتني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . فكانت خديجة نعم المعين والنصير ولهذا سلم الله عليها في الدنيا قبل الآخرة [1] .

عن أبي هريرة قال : « أتى جبريل النبي ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » متفق عليه .

عائشة رضي الله عنها :

وكان لغزارة علم عائشة رضوان الله عليها منزلة يعرفها كل الناس .

---

(١) ابن هشام على الروض الأنف ١ / ٢٧٧ .

عن أبي موسى الأشعري قال : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علماً .

وعن مسروق قال : نحلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يسألون عائشة عن الفرائض .

وعن عروة عن أبيه قال : ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ، ولا بحلال ولا بحرام ، ولا بشعر ، ولا بحديث العرب ولا بنسب ، من عائشة رضي الله عنها .

وعن هشام بن عروة قال : كان عروة يقول لعائشة : يا أمّنا ، لا أعجب من فقهك . أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب ، أقول ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس بذلك ، لكن أعجب من علمك بالطب ـــ قال : فضربت على منكبي وقالت : أي عروة : إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره ، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها فمن ثم .

وعن سفيان بن عيينة قال : قال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة رضي الله عنها أكثر .

فصاحتها رضي الله عنها :

عن هشام بن عروة بن الزبير قال : بلغ عائشة رضي الله عنها أن قوماً يتناولون من أبي بكر رضي الله عنه فأرسلت إلى جماعة منهم فلما حضروا سدلت أستارها ثم دنت فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه محمد ﷺ وعذلت وقرعت ثم قالت : أبي وما أبيهْ ؟ أبي والله لا تعطوه[1] الأيدي ، ذاك طود[2] منيف[3] وفرع مديد هيهات كذبت الظنون ، أنجح إذ

(١) تعطوه : تناله .
(٢) طود : الجبل .
(٣) منيف : مشرف .

أكديتم (١) وسبقَ إذ ونَيْتم (٢) ، سبق الجواد إذا ما استوى على الأمد (٣) . فتى قريش ناشئاً وكهفها كهلا يفُكّ عانيها ويريش مملقهـا (٤) ، ويرأب (٥) شعبْها (٦) حتى حليّته قلوبها ، ثم استشرى في الله تعالى ، فما برحت شكيمته في ذات الله تعالى ، حتى اتخذ بفنائه مسجداً . يحيي فيه ما أمات المبطلون ، وكان رحمه الله غزير الدمعة ، وقيذ (٧) الجوارح ، شجي (٨) النشيج (٩) فانقصعت إليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزئون به

ـ ﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ البقرة : ١٥ ،

فأكبرت ذلك رجالات قريش فحنت له قسيها ، وفوقت له سهامها وانتثلوه (١٠) غرضاً فما فلوا (١١) له صفاة (١٢) ولا قصفوا له قناة ومر على سيسائه (١٣) حتى إذا ضرب الدين بجرانه (١٤) ألقى بركه ورست أوتاده ودخل الناس فيه أفواجاً ، ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتاً . اختار الله (عز وجل) لنبيه ﷺ ما عنده ، فلما قبض ﷺ نصب الشيطان رواقه ومد طُنُبه ونصب حبائله وظن رجال أن قد تحققت أطماعهم ، ولات حين مناص ، والصدّيق بين أظهرهم ، فقام حاسراً مشمراً ، فجمع حاشيته ورفع قطريه (١٥) فرد نشر الإسلام على غربه (١٦) ، ولم شعثه بطيه ، وأقام أوده (١٧)

---

(١) أكديتم : خِبْتُم
(٢) ونيتم : فترتم .
(٣) الأمد : الغاية .
(٤) مُملقها : فقيرها .
(٥) يجمع .
(٦) المتفرق .
(٧) الوقيذ : العليل .
(٨) شجي : الحزين .
(٩) صوت البكاء .
(١٠) مأخوذ من النثلة وهي الجعبة .
(١١) فلوا : كسروا .
(١٢) الصفاة : الصخرة الملساء .
(١٣) سيسائه : أي على شده .
(١٤) الصدر .
(١٥) تحزم للأمر وتأهب ، والقطر : الناحية
(١٦) شرق الإسلام على غربه .
(١٧) الأود : العوج .

بثقافه [١] ، فاندفر [٢] النفاق بوطأته وانتاش [٣] الدين فنعشه [٤] ، فلما أراح الحق إلى أهله وقرَّر الرؤوس على كواهلها وحقن الدماء في أهبها ، أتته ميتته فسد ثلمته بنظيره في المرحمة وشقيقه في السيرة والمعدلة . ذاك عمر ابن الخطاب لله أم حملت به ودرت عليه لقد أوجدت به ففنخ [٥] الكفرة وديخها [٦] وشرد الشرك شذر مذر [٧] وبعج [٨] الأرض وبخعها فقاءت أكلها ولفظت خبيئها ترأمه [٩] ويصدف عنها . وتصدى [١٠] له ويأباها (ثم) ورع فيها وودعها كما صحبها فأروني ما تريبون وأي يوم تنقمون ؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم أم يوم ظعنه فقد نظر لكم؟ أستغفر الله العظيم لي ولكم ــ وقد روى هذا الحديث جعفربن عون عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها .

عائشة الداعية :

عن الأحنف بن قيس قال : سمعت خطبة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، فما سمعت الكلام من في مخلوق أحسن ولا أفخم من في عائشة رحمة الله عليهم أجمعين .

وعن سفيان قال : سأل معاوية زياداً : أي الناس أبلغ؟ قال : أنت يا أمير المؤمنين . قال : أعزم عليك . قال : إذا عزمت علي فعائشة . فقال معاوية : ما فتحت باباً قط تريد أن تغلقه إلا أغلقته ولا أغلقت باباً قط تريد أن تفتحه إلا فتحته [١١] .

---

(١) الثقاف: تقويم الرماح .
(٢) اندفر : تفرق .
(٣) انتاش : زال عنه ما يخاف عليه .
(٤) رفعه .
(٥) فنخ : أذلها .
(٦) وديخها : أي دوخها .
(٧) شذر مذر : أي تفريقاً .
(٨) بعج الأرض : أي شقها وكذلك نجعها .
(٩) ترأمه : تعطف عليه .
(١٠) تصدى له : تعرض له .
(١١) صفة الصفوة . ترجمة عائشة ٢/١٥ ط المعرفة .

أم شريك الداعية :

أم شريك الأسدية وقع في قلبها الإسلام فأسلمت وهي بمكة وكانت تحت أبي العسكر الدوسي . فأخذت تدعو النساء إلى الإسلام ، وصارت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام ، حتى ظهر الإسلام في النساء وعرف أمرها لأهل مكة ، فأخذوها . وقالوا : لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنردك إليهم .

قالت : فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره ، ثم تركوني ثلاثة أيام لا يطعمونني ولا يسقونني ، قالت : فما أتت علي ثلاث حتى ما في الأرض شيء أسمعه ، قالت فنزلوا منزلا وكانوا إذا نزلوا منزلا أوثقوني في الشمس واستظلوا هم منها وحبسوا عني الطعام والشراب ، فلا تزال تلك حالي حتى يرتحلوا قالت : فبينما هم قد نزلوا منزلا وأوثقوني في الشمس واستظلوا منها إذا أنا بأبرد شيء على صدري ، فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد أيضاً فتناولته فشربت منه قليلا ثم رفع ، قالت : فصنع بى مراراً ثم تركت فشربت حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي ، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة ، فقالوا لي : أتحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟ قلت : لا والله ما فعلت ولكنه كان من الأمر كذا وكذا . قالوا : لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا . فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها . فأسلموا عند ذلك . وأقبلت إلى النبي ﷺ فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل بها ﷺ[1] .

أم سليم صداقها الإسلام :

المتصدرة للدفاع عن الإسلام باللسان والسنان . قال عنها رسول الله ﷺ ، دخلت الجنة فإذا أنا برميصاء امرأة أبي طلحة « أم سليم » كانت

---

(١) الإصابة ٤/٤٤٦ .

من أفاضل المسلمات دينا وإيماناً وحجة. ننظر إلى موقف من مواقفها في الإسلام وما أكثر تلك المواقف. وهو موقف دعوة للإسلام. عن أنس بن مالك قال: خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم فقالت: أما إني فيك لراغبة وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة فإن تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره، ثم قالت: ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشي بن فلان؟ قال: بلى، قالت: أفلا تستحي أن تعبد خشبة. وفي رواية قال: ما مهرك، قالت: وما مهري، قال: الصفراء والبيضاء «يعني الذهب والفضة» قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء، أريد منك الإسلام.

قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ. فانطلق أبو طلحة وقال حتى أراجع نفسي: ثم انطلق بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه. فلما رآه قال: «جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه» فجاء فأخبر النبي ﷺ بما قالت أم سليم، فأسلم وتزوجها على ذلك: قال ثابت: فما بلغنا أن مهراً كان أعظم منه (١).

لقد كان حرص المرأة المسلمة على تبليغ دعوة الله كبيراً حتى أنها كانت تضحي في سبيل ذلك بكل شيء من عرض الحياة الدنيا. وكانت تضحي في سبيل الإسلام حتى بالحياة، وكانت تخرج للغزو مع زوجها تحمل سلاحاً، تخرج مع فريق النساء لمساعدة المسلمين في الجهاد بتقديم الطعام ومداواة الجرحى وتثبيت الجند، ومحاربة العدو عند الملمات والاحتياج إلى ذلك.

أم ورقة الأنصارية:

الشهيدة القارئة. كانت تؤم المؤمنات المهاجرات ويزورها النبي ﷺ في

---

(١) الإصابة ٤ / ٤٦١.

بعض الأحايين والأوقات ، ويسميها الشهيدة ، وكانت قد جمعت القرآن ، وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدراً قالت له : ائذن لي في الخروج معك أداوي جرحاكم وأمرض مرضاكم لعل الله يهدي إلي الشهادة ، قال : « إن الله عز وجل مهد لك الشهادة » وكان رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها . وعاشت رضي الله عنها إلى خلافة عمر . فعدا عليها جارية وغلام لها ، كانت قد دبرتهما فقتلاها في إمارة عمر رضي الله عنه فقال عمر : صدق رسول الله ﷺ كان يقول : « انطلقوا فزوروا الشهيدة »[1] .

نعم كانت تجمع القرآن ، وتدعو إلى الإسلام وتؤم أهلها وتخرج للغزو مع رسول الله ﷺ مجاهدة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ، تطلب الشهادة .

المبحث الثاني : ضرورة الداعيات المسلمات :

أصبحت اليوم الدعوة الإسلامية في حاجة ماسة إلى داعيات مسلمات لرعاية الدعوة وسط النساء ولمقاومة الهجمة المسعورة والغزو الفكري الموجه لنساء المسلمين والذي يحمله اليوم نساء شاردات اللب مدربات على حمل الأفكار المعادية للإسلام يطالبون باسم المرأة ، وباسم نصف المجتمع ، كما يقلن بتغيير أوضاع إسلامية ، واستجلاب أوضاع دخيلة على التراث لتدمير الفكر الصحيح والإنسانية المتماسكة . كما أننا في حاجة إلى المرأة الداعية قلماً ورأياً في الإذاعة ، والصحف ، والمجلات وأدوات الإعلام ، حتى لا ينفرد المجال لرأي واحد بعيداً عن الإسلام وفكره وبعيداً عن الأصالة الفكرية والحضارية للأمة الإسلامية ، وخاصة إذا أفردت أركان معينة للمرأة في وسائل الإعلام المختلفة ، كما أننا في حاجة إليها في التعليم النسائي وفي التطبيب وفي

(١) المرجع السابق ٤/٤٨١ .

رياض الأطفال وفي كل ما يناسبها من عمل لا يفقدها مهمتها الأصلية وهي رعاية الأسرة وتربية النشء ومعاضدة الرجل وشد أزره في القول والعمل والمشاركة في جلائل الأمور إذا احتيج إليها واستنصرت الأمة بها في الملمات وعند الجهاد.

المبحث الثالث : مجالات النساء في الدعوة :

علمنا مما سبق من الأدلة أن للمرأة أن تدعو إلى الله تعالى، ولكن ما هي تلك المواطن التي ينبغي أن تعمل فيها؟ لا شك أن للمرأة مجالات متعددة خاصة في هذا العصر. منها :

١ ـــ الدعوة وسط النساء، وهذا قطاع كبير يمثل نصف المجتمع كما يقولون والمرأة المسلمة اليوم تتعرض لضغوط كبيرة نفسياً وإعلامياً ومادياً حتى تستسلم للأفكار الخاطئة والممارسات المشينة، وهي في أمس الحاجة اليوم إلى داعيات مسلمات يقفن أمام تلك الهجمة التي كادت تسيطر على قطاع كبير اليوم من المخدوعات بالثقافات الدخيلة. فالمرأة المسلمة لها دورها المميز في الحياة الاجتماعية في الأمة الإسلامية وفي المجتمعات المؤمنة.

ولقد برز دور المرأة المسلمة في الحياة الإسلامية من أول يوم ظهرت فيه تلك الدعوة وقام بها الرسول الأمين ﷺ. وظلت فيما بعد عوناً وواحة كريمة للرجل المسلم تعينه على مرضاة الله، وتكون له سكينة ومودة، وتهيئ له جواً من الأنس والطمأنينة والعون، تشد من أزره وترفع من همته ولها في ذلك قدوة صالحة كريمة بالسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حين وقفت مع رسول الله ﷺ في دعوته إلى ربه، تواسيه بمالها ونفسها، وتشجعه وتشد من أزره فكان لها من الأثر ما لم يكن للرجال العظام وللأبطال الكرام.

فالمرأة المسلمة ليست كأي امرأة، المرأة المسلمة لها رسالة ولها هدف تسعى إليه وتهرول نحوه، **فهي أولا**: المدرسة الأولى التي تكون الأجيال وتصوغ الناشئة، وهي التي تضع اللبنات الأولى في صرح البطولة والعزيمة المتقدة في صدور الشباب والرجال على السواء، وهي **ثانياً**: شقيقة الرجل في قصة الكفاح العظيم، والواجب الكبير الذي كلف الله به الأمة المسلمة من تبليغ لرسالته وقوامة على شرعه وهداية لخلقه.

وصدق الله:

ـ ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ التوبة: ٧١.

وهى **ثالثاً**: نصف المجتمع العامل النابه كالرجل. لها دورها في الحياة وفي الإنتاج بما يناسب طبيعتها في الحياة الاجتماعية النامية وفي الحياة الأسرية والبيتية، فالمرأة المسلمة ليست كالمرأة المتفسخة الجاهلة، لا يهمها إلا المظهر الخلاب والأناقة الفاتنة والزينة الفاجرة والسهرات اللاهية، والأزياء الخليعة، وإنما هي امرأة نابهة تقف على ثغرة في الحياة وتقوم على صرح في الأمة تعمل على أن يكون دورها ويكون فعلها مؤثراً ممتازاً.

٢ ـــ في مجال التعليم، والمرأة الداعية المسلمة في مجال التعليم تغرس الإيمان في قلوب زهور المستقبل وفلذات الأكباد الذين عليهم عبء النهضة، وقد استغل التعليم من قبل المبشرين اليوم لزلزلة العقيدة في قلوب الشباب المؤمن والشابات المؤمنات وقد كانت طبيعة العلم نوراً يهدي الضال ويرشد الحيران، والمرأة المسلمة أساساً تقوم بدورها في هذا الميدان وقد كانت بعض الصحابيات ممن عندهن القدرة على التعليم يقمن بهذا الدور الجليل حتى

يسهمن في نهضة الأمة وإنقاذها من ظلمات الجهالة وحتى ينشرن الهدى ويبلغن الرسالة ويتربى جيل يستطيع حمل المنهج وتبليغه إلى الناس نساءً ورجالا . من هؤلاء :

الشفاء بنت عبد الله العدوية :

أسلمت قبل الهجرة وهي من المهاجرات الأول . وبايعت النبي ﷺ وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن ، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل عندها في بيتها وكانت عجوزاً مع أسرتها وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه ، فلم يزل عند ولدها ، حتى أخذه منهم مروان بن الحكم وقال لها رسول الله ﷺ « علمي حفصة القراءة والكتابة » فعلمتها القراءة والكتابة ، وقال لها : « علميها رقية النملة » وهي رقية كانت ترقى بها من لدغة النملة في الجاهلية ، فعرضتها على رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله : إني كنت أرقى برقى الجاهلية وأردت أن أعرضها عليك فقال : « فاعرضيها » قالت فعرضتها عليه وهي كما رواها أبو نعيم : باسم الله صلو صلب خير يعود من أفواهها ولا يضير أحداً ، اكشف البأس رب الناس ، قال: كانت ترقى بها على عود كركم .

فأقرها النبي ﷺ وقال : « ارقي بها وعلميها حفصة » وأقطعها رسول الله ﷺ ، دارها عند الحكاكين بالمدينة ، فنزلتها مع ابنها سليمان . وكان عمر بعد وفاة رسول الله ﷺ يقدمها في الرأي ، ويرعاها ويفضلها وربما ولاها شيئاً من أمر السوق ، روى عنها حفيداها أبو بكر وعثمان ابنا سليمان ابن أبي حثمة ، وغيرهم رضي الله عنها[1] .

روضة مولاة الرسول :

كان لرسول الله ﷺ مولاة اسمها روضة وكانت تعلم أحكام القرآن

---

(١) الاستيعاب على هامش الإصابة ٣٣٢/٤ .

فلما نزل قول الحق سبحانه :

ـ ﴿ **لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها** ﴾
النور : ٢٧ .

جاء رجل فاستأذن على النبى ﷺ فقال : أألج ؟ فقال النبى ﷺ لروضة جاريته : « قومي إلى هذا فعلميه فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي له يقول : السلام عليكم أأدخل ؟ » فسمعها الرجل فتعلم فقالها ودخل (١) .

فكان في هذا جواز أن تعلم المرأة الرجل العلم ، وقد أخذ بعض العلماء عن بعض الصالحات العلم والفقه والحكمة .

٣ ـ في مجال التطبيب والتمريض : وقد كانت المرأة في الصدر الأول رائدة هذا العمل في وسط الجيوش المحاربة كما كانت تشارك في الأعمال الاجتماعية والحربية .

عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية ، قالت نسيبة بنت كعب الأنصارية : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وكنت أخلفهم في الرجال وأصنع لهم الطعام وأقوم على المرضى وأداوي الجرحى .

وعن محمد بن إسحاق قال : حضرت البيعة بالعُقبة امرأتان قد بايعتا ، إحداهما نسيبة بنت كعب ، وكانت تشهد الحرب مع رسول الله ﷺ شهدت معه أحدا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالا إلا وأراها تقاتل دوني » .

قال الواقدي : قاتلت يوم أحد وجرحت اثنتي عشرة جراحة وداوت جرحاً في عنقها سنة . ثم نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم . ثم خرجت بعد وفاة

---

(١) الإصابة لابن حجر ٣٠٢/٤ .

الرسول ﷺ في خلافة أبي بكر في الردة ، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ، ورجعت وبها عشر جراحات من طعنة وضربة (١) .

رفيدة الأنصارية الأسلمية :

كانت رفيدة من فضليات النساء وكانت لها خيمة في المسجد تداوي فيها جرحى الجهاد ولما أصيب سعد بن معاذ بالخندق ، قال ﷺ « اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتى أعوده من قريب » وكانت امرأة تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين .

وقال البخاري في الأدب المفرد : لما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فقيل حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة ، وكانت تداوي الجرحى وكان رسول الله ﷺ إذا مر به يقول له : « كيف أمسيت » وإذا أصبح يقول : « كيف أصبحت » فيخبره (٢) .

حمنة بنت جحش الأسدية :

أخت أم المؤمنين زينب ، وكانت زوج مصعب بن عمير فقتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمداً وعمراً .

كانت من المبايعات وشهدت أحداً . فكانت تسقي العطشى وتحمل الجرحى وتداويهم ، قال ابن سعد : أطعمها رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقا وهي والدة محمد بن طلحة المعروف بالسجاد .

---

(١) انظر : صفة الصفوة ٢/٦٣ .

(٢) أورده البخاري في الأدب ، وأورده في التاريخ بقصة وفاة سعد ، وسنده صحيح ، وأورده المستغفري من طريق البخاري ، وأبو موسى من طريق المستغفري ، كما أورد القصة ابن إسحاق في غزوة الخندق .

هذا وفريق الممرضات الإسلاميات معروف، وجهاده في سبيل حفظ المجاهدين وسلامتهم معروف، وتكاتفهم مع المجاهدين العاملين في ميادين الجهاد في سبيل الدعوة لا يستطيع أحد أن ينكره أو ينقص منه.

وهذا يدل دلالة واضحة على مدى تكاتف الأمة الإسلامية رجالاً ونساء في سبيل نشر الدعوة والقيام بأعبائها، وعلى دور المرأة المسلمة في هذا الشأن. مما يحفز المرأة المسلمة اليوم إلى الاقتداء والعمل حتى تؤدي بعض ما عليها نحو دينها وعقيدتها.

٤ ـ مجال الخدمة الاجتماعية:

مشاركة المرأة في النشاط الاجتماعي للأمة فيما يناسبها واجب يحتمه عليها دينها القويم كما يحتم ذلك على الرجل.

فهذا الدين جاء رسالة للرجل والمرأة على سواء. في العبادة، في الثواب، في العمل:

ـ ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ الأحزاب: ٣٥.

ـ ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ التوبة: ٧١.

أولياء بعض في الدعوة إلى الله شركاء في تنفيذ المنهج وشركاء في العبادة والأجر والثواب عند الله سبحانه.

كما أن لهن بيعة وعهدا وميثاقا كالرجال :

ـ ﴿ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾ الممتحنة : ١٢ .

كما أن لهن هجرة كالرجال :

ـ ﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ﴾ الممتحنة : ١٠ .

كما أنهن كن يُفْتَنَّ مثل الرجال دفاعاً عن عقيدتهن :

ـ ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ البروج : ١٠ .

نماذج من جهادهن :

سمية بنت خياط :

والدة عمار بن ياسر كانت سابعة سبعة في الإسلام ، عذبها أبو جهل وطعنها في قبلها فماتت فكانت أول شهيدة في الإسلام ، وكان ياسر زوجها حليفاً لأبي حذيفة فزوجه سمية فولدت له عماراً فأعتقه .

وكان ياسر وزوجته وولده منها ممن سبق إلى الإسلام . فقال ابن إسحاق في المغازي : حدثني رجال من آل عمار بن ياسر ، أن سمية أم عمار عذبها آل بني المغيرة على الإسلام وهي تأبى غيره حتى قتلوها وكان رسول الله ﷺ يمر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول :

« صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » وقال مجاهد : أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وبلال ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وسمية .

وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن مجاهد قال : أول شهيدة في الإسلام سمية والدة عمار بن ياسر . وكانت عجوزاً كبيرة ضعيفة ولما قتل أبو جهل يوم بدر ، قال النبي ﷺ لعمار « قتل الله قاتل أمك » [1] .

زنيرة الرومية :

كانت من السابقات إلى الإسلام وممن يعذب في الإسلام ، وكان أبو جهل يعذبها وهي مذكورة من السبعة الذين اشتراهم أبو بكر الصديق وأنقذهم من التعذيب ، وأخرج الواقدي من حديث حسان بن ثابت قال : حججت والنبي ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام وأصحابه يعذبون فوقفت على عمر يعذب جارية بني عمر و بن المؤمل ثم ثبت على زنيرة يعذبها .

قال : وكانت زنيرة رومية فأسلمت فذهب بصرها فقال المشركون : أعمتها اللات والعزى . فقالت : إني كفرت باللات والعزى فرد الله إليها بصرها .

وقالت أم هانىء بنت أبي طالب : أعتق أبو بكر زنيرة فأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى . فقالت : كذبوا وبيت الله ما يغني اللات والعزى ولا ينفعان ، فرد الله إليها بصرها ، كرامة لها وتكذيباً لادعائهم [2] .

---

(١) الإصابة : ج ٤ / ٢٢٧ ، وصفة الصفوة ٢ / ٥٩ ، وسيرة ابن كثير ١ / ٤٩٣ ط الحلبي ، تحقيق مصطفى عبد الواحد .

(٢) الإصابة ٤/٣٠٥ .

وهكذا كانت المرأة ذات أعباء في حمل الرسالة وكانت مخاطبة بالإيمان فحملت تبعاته كالرجل وأصابها ما أصابه من عنت وظلم وثبتت على الإيمان وأدت واجبها وقامت به خير قيام . ولهذا فدورها في نهضته أساسي ومهم .

ومن المجالات الاجتماعية التي تقوم عليها المرأة :

أ ـ ملاحظة التعاليم الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسط البيوت المسلمة ، ومحاربة الشطحات الدخيلة المدمرة التي تدخل على البيت المسلم الفساد ، وتجر المرأة المسلمة إلى التقليد الأعمى ، كما يجب بث روح العمل وتعميق الإيمان بالكفاح في سبيل إقرار كلمة الله لتكون هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وتثبيت المرأة المسلمة وتربية شخصيتها أمر مهم حتى تستطيع أن تقف أمام الأعاصير الملحدة والمستسلمة والخانعة .

وقد انفتحت المجتمعات اليوم وسرى فيها التقليد والتشبه والانقياد بلا وعي أو عقل ، وإنما عن ثعود وتزيين وإيحاء خارجي عن الطبيعة الإسلامية والتعاليم الربانية .

ب ـ مساعدة الأسر الفقيرة ومراعاة أحوال المعوزين وتقديم ما يحتاجون له من كساء وطعام وعلاج وعون .

جـ ـ إنشاء دور الحضانة لتربية الأولاد صغاراً وتنشئتهم على الإيمان والفضيلة وحب الخير والعمل على إشاعته ونشره والدعوة إليه .

د ـ القيام بالإصلاح بين الناس في البيوت ومعالجة المشاكل بين الجيران والأهل والأسر التي تتسبب في كثير من ضياع الطاقات .

هـ ـ القيام بدور في محو الأمية بين النساء وتعليم النساء طرق تربية الأطفال وإلقاء الدروس في الاقتصاد المنزلي .

و ــ الأسر المنتجة ، وتكوين سواعد قادرة على الصمود وسط الأزمات ومعاونة الأسرة عند الحاجة .

وكانت ريطة بنت عبد الله بن معاوية الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود وأم ولده ، كانت صاحبة صنعة ، وكان عبد الله بن مسعود فقيراً ليس له مورد فكانت تنفق عليه وعلى ولده من عملها[1] .

زينب بنت جحش الأسدية :

أم المؤمنين زوج النبي ﷺ كانت كثيرة الصدقة في سبيل الله سبحانه ، قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « أسرعكن لحاقاً بي أطولكنَّ يداً » فكانت نساء النبي يتطاولن أيتهن أطول يداً ، قالت عائشة : وكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق .

وفي رواية أخرى قالت عائشة : فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة الرسول ﷺ نمد أيدينا في الجدار ونتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا فعرفنا أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة ، وكانت زينب امرأة صناع اليدين فكانت تدبغ وتخرز وتبيع ، فتتصدق به في سبيل الله [2] .

هـذا وهـي أم المؤمنين وزوج رسول الله ﷺ وليس عليها نفقة ولكنها رضي الله عنها كانت تحب أن تتصدق من عمل يدها وكانت رضي الله عنها عابدة متبتلة ولم تمنعها عبادتها من العمل والتصدق . عن ميمونة بنت الحارث قالت : كان النبي ﷺ يقسم ما أفاء الله عليه في رهط من

(١) الإصابة لابن حجر ٣٠٣/٤ .

(٢) الإصابة ٣٠٧/٤ .

المهاجرين فتكلمت زينب بنت جحش فانتهرها عمر رضي الله عنه ، فقال ﷺ : « خل عنها يا عمر فإنها أواهة » يعني فإنها عابدة متبتلة خائفة من الله .

رحمها الله لم تركن إلى شيء وإنما أرادت أن تقبل إلى الله بالعمل الصالح وأن تكون مؤدية لفعل الخير ، واليد العليا خير من اليد السفلى فكيف بالعاطلات اليوم المبذرات المتهتكات اللاتي هن عبء على الأسر وعلى المجتمع ، وما كانت رضي الله عنها تعمل ذلك عن فقر أو ذلة وإنما كانت تفعل ذلك عن شعور بالتبعة وعن تقوى وحب للثواب .

روي عن محمد بن كعب قال : كان عطاء زينب بنت جحش بعد وفاة رسول الله ﷺ اثنى عشر ألفاً ، لم تأخذه إلا عاماً واحداً ، وأنفقته على المساكين ، وكانت تقول : اللهم لا يدركني هذا المال من قابل فإنه فتنة . ثم قسمته في أهلها رحمها الله وفي أهل الحاجة فبلغ عمر فقال : هذه امرأة يراد بها خير فجاء إليها وألقى عليها السلام وقال : بلغني ما فرقت فسأرسل بألف درهم تستبقيها فسلكت به ذلك المسلك ووزعته على المساكين ، تقول عائشة بعد موتها : لقد ذهبت حميدة متعبدة ففزع اليتامى والأرامل والمساكين (١) .

---

(١) الإصابة لابن حجر ٤/٣٠٧ .

الفصل الثاني

وسائل نشر الدعوة بالقول والإقناع به

المبحث الأول : وسائل نشر الدعوة :

مجالات نشر الدعوة اليوم كثيرة ومتعددة ، فلم يعد نشر الدعوة اليوم مقتصراً على الكلمة المسموعة فقط ، ولكن تعددت وسائله فأصبحت هناك الكلمة المكتوبة في الكتب والنشرات والدوريات والصحف والمجلات . وصارت هناك الإذاعات والتلفاز والسينما وأصبحت الكلمة تحفظ في أشرطة كحفظها في الصدور ، وتصور وترسل وتحضر أمام الإنسان على اختلاف البلدان وتنائي الدّيار وكأن الإنسان حاضر ومشاهد ينظر إليها رأي العين ويحضرها ويعايشها ، كما أنها دخلت البيوت بغير استئذان ، واخترقت السدود بغير تأشيرات وفعلت فعلها بغير قانون أو آداب .

لهذا فنحن نتكلم عن بعض من هذه الوسائل فقط كمثال يضرب للداعية وليكون في هذا ضوابط عامة تُفصل في غير هذا المجال إن شاء الله .

المبحث الثاني: نشر الدعوة بالقول « الكلمة » :

يلزم نشر الدعوة أمران :

الأول : الاقتناع بالداعية في ذاته وذلك بما يسمى بالإقناع بالقدوة .

الثاني : بما يتمتع به من قدرات معينة تعينه على توصيل المنهج إلى الناس مع الحجة والإقناع والبيان الذي يأسر النفوس والقلوب إلى ما يريده الداعية .

وتتمثل هذه القدرات التي يتمتع بها الداعية إلى الله في :

(١) معرفة المنهج الحق (٢) معرفة الباطل (٣) معرفة الميول والرغبات
(٤) القدرة على الإبانة (٥) الشجاعة والمواجهة (٦) القدرة على القيادة

(١) معرفة المنهج الحق :

فأما عن معرفة المنهج الحق ، فإنه يثبت الأقدام على الدعوة ويصل الإنسان بالله سبحانه ويعطيه مدداً وقوة وحجة .

ننظر في ذلك إلى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حين عرفت الحق واستيقنت به نجدها تقف مع الرسول ﷺ وتمده بالقوة والتأييد بالنفس والمال والرأي .

فتقول له واثقة مطمئنة لما نزل عليه الملك وضمّ الرسول ﷺ ضماً شديداً وقال له : ﴿ **اقرأ** ﴾ ، وضمه ثلاث مرات حتى بلغ من الرسول الجهد ثم قال له : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق** ﴾ ، فرجع الرسول ﷺ يرتجف فؤاده إلى خديجة يقول : زملوني زملوني قائلا : « لقد خشيت على نفسي » فتقول له خديجة رضي الله عنها في وثوق : كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق .

ثم ذهبت به إلى ورقة بن نوفل وقالت له : اسمع من ابن أخيك وسمع ورقة من رسول الله ﷺ . ثم قال له : هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى .

وكذلك فعلت زنيرة الواثقة . حين أسلمت فتصادف أن ذهب بصرها فقالوا : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى . فقالت قولة الواثقة : إني كفرت باللات والعزى ، كذبوا وبيت الله ، ما يغنى اللات والعزى ولا ينفعان . فرد الله عليها بصرها .

ولو كانت ممن يعبد الله على حرف لخضعت للتقاليد البالية وتشككت في أمرها وذهبت إلى عراف أو إلى التمسح باللاتّ والعزى ثانية .

أم زفر الحبشية السوداء :

ننظر إلى وثوقها فيما عند الله سبحانه . أخبر عطاء أنه رأى أم زفر امرأة طويلة سوداء على سلم الكعبة فقال له ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي ، قال : « إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ». فقالت : أصبر ولي الجنة ، وإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها (١) .

صبرت على الصرع ورضيت به واثقة بالجنة التي وعدها الرسول ﷺ كأنها تراها رأي العين .

أم بشر بنت البراء :

بنت البراء بن معرور الذي لو أقسم على الله لأبره كما قال فيه رسول الله ﷺ . لما حضر كعب بن مالك الوفاة أتته أم بشر بنت البراء بن معرور فقالت : يا أبا عبد الرحمن إن لقيت أبي فأقرئه مني السلام فقال : لعمر الله يا أم بشر لنحن أشغل من ذلك . فقالت : أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أرواح المسلمين نسمة تسرح في الجنة حيث تشاء ، وإن نسمة الفاجر في سجين » قال : بلى ، قالت : هو ذاك . وفي رواية : «أرواح المؤمنين في طيور خضر يأكلون من الجنة ويشربون ويتعارفون» (الحديث) (٢) .

فانظر إلى هذه المعرفة وهذا الوثوق الذي يجعل المستقبل رؤية عين وأمراً

---

(١) الإصابة ٤/٢٣٤ .

(٢) المرجع السابق ٤/٤١٨ .

معاشاً . تبعث إلى أبيها السلام وكأن كعب بن مالك يذهب إلى أبيها البراء في بلدة مثل القاهرة أو الكويت فترسل إليه السلام حتى تلقاه .

(٢) معرفة الباطل [1] :

إن معرفة الباطل شيء مهم جداً ، حتى يستطيع الإنسان أن ينازله ويبطله ، وإلا فكيف يستطيع الإنسان أن يبطل شيئاً لا يعرفه أو يعلمه ، كما أن معرفة الباطل تعطي للحق قيمة ، وتعطي لأصحابه منزلة ، وتعطي للكفاح ضده قوة ولهذا كان لأبي ذر وأم ذر زوجه قوة إيمان لمعاينتهما الباطل ووقوفهما على فساده .

أسلمت أم ذر مع زوجها أبي ذر في أول الإسلام وكان الرسول ﷺ إذا أراد أن يتبسم قال لأبي ذر : « يا أبا ذر حدثني ببدء إسلامك » قال : كان لي صنم يقال له « نهم » فأتيته فصببت له لبناً ووليت ، فحانت مني التفاتة فإذا كلب يشرب ذلك اللبن ، فلما فرغ رفع رجله فبال على الصنم . فأنشأت أقول :

ألا يا نهم إني قد بدا لي ... مدى شرف يبعد منك قربا
رأيت الكلب سامك حظ خسف ... فلم يمنع قفاك اليوم كلبا

فسمعتني أم ذر فقالت تعتب عليَّ :

لقد أتيت جرماً ، وأصبت عظماً ، حين هجرت نهماً ، فخبرتها الخبر فقالت :

ألا فابغنا ربا كريماً ... جواداً في الفضائل يا ابن وهب
فما من سامه كلب حقير ... فلم يمنع يداه لنا برب
فما عبد الحجارة غير غاوٍ ... ركيك العقل ليس بذي لب

---

(١) المرجع السابق ٤/٤٣٠ .

فقال ﷺ : « صدقت أم ذر : فما عبد الحجارة غير غاوٍ »(١) .

وكان إيمان أبي ذر وإيمان أم ذر لا تزعزعه الجبال .

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط :

وهي بنت عقبة بن أبي معيط عدو الرسول ﷺ ومن بيت كله عداوة وعناد لرسول الله ﷺ ولكنها عرفت الحق فضحت في سبيله بكل شيء .

أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وهاجرت في هدنة الحديبية . عن ربيعة بن عثمان وقدامة قالا : لا نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم .

قالت : كنت أخرج إلى بادية لنا فيها أهلي فأقيم بها الثلاث والأربع وهي ناحية التنعيم . ثم أرجع إلى أهلي فلا ينكرون ذهابي البادية حتى أجمعت المسير فخرجت يوماً من مكة كأني أريدَ البادية . فلما رجع من تبعني إذا رجل من خزاعة قال : أين تريدين؟ قلت : وما مسألتك؟ ومن أنت؟ قال : رجل من خزاعة . فلما ذكر خزاعة اطمأننت إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده فقلت : إني امرأة من قريش وإني أريد اللحوق برسول الله ﷺ ولا علم لي بالطريق . فقال : أنا صاحبك حتى أوردك المدينة . ثم جاءني ببعير فركبته فكان يقود بي البعير ، ولا والله ما يكلمني بكلمة . حتى إذا أناخ البعير تنحى عني فإذا نزلت جاء إلى البعير فقيده بالشجرة وتنحى إلى فيء شجرة حتى إذا كان الرواح حدج البعير فقربه وولى

---

(١) يشترط في الداعية الذي يعرف الباطل أن يعلم أنه يؤثر في الباطل ، لا أنه يتأثر به ، فإن علم أنه لا يؤثر في الباطل أو أنه ضعيف أمامه يخشى أن يصيبه منه شراً يبتعد عن الباطل حتى يحصن نفسه أولا .

عني فإذا ركبت أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى أنزل فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة فجزاه الله من صاحبٍ خيراً . فدخلت على أم سلمة وأنا متنقبة فما عرفتني حتى انتسبت وكشفت النقاب .

فالتزمتني وقالت : هاجرت إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم وأنا أخاف أن يردني كما رد أبا جندل وأبا بصير . وحال الرجال ليس كحال النساء والقوم مصبحي ، قد طالت غيبتي اليوم عنهم خمسة أيام منذ فارقتهم وهم يتحينون قدر ما كنت أغيب ، ثم يطلبونني ، فإن لم يجدوني رحلوا .

فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة فأخبرته بأمر أم كلثوم فرحب بها وسهل فقلت : إني فررت إليك بديني فامنعني ولا تردني إليهم يفتنوني ويعذبوني ، ولا صبر لي على العذاب وإنما أنا امرأة وضعف النساء إلى ما تعرف ، وقد رأيتك رددت رجلين حتى امتنع أحدهما . فقال : إن الله عز وجل قد نقض العهد في النساء وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم .

وكان يرد النساء ، فقدم أخواها الوليد وعمارة من الغد فقالا : أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه ، فقال : قد نقض الله العهد ، فانصرفا .

قلت : وأعلم أن نقض العهد في النساء معناه نزول الامتحان في حقوقهن ، فامتحنها رسول الله ﷺ وامتحن النساء بعدها ، وذلك أنه كان يقول لهن : والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام وما خرجتن لزوج ولا مال . فإذا قلن ذلك تركهن ولم يرددن إلى أهليهن وكانت أم كلثوم عاتقاً حينئذ فتزوجها زيد بن حارثة . فلما قتل عنها تزوجها الزبير فولدت له زينب . ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميداً ، ثم تزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده رحمها الله(١) .

---

(١) صفة الصفوة ٢ / ٥٥ .

(٣) معرفة الميول والرغبات :

وهذا يقتضي أن يعرف الداعية ما حوله وأن يكون فطناً كيساً أريباً يحيط بما حوله من ميول ورغبات ومصالح حتى يعرف مدخل الأمر ومخرجه فكثير من الناس تقودهم المصالح والمنافع والرغبات وحب السلطة والجاه .

حدث الزهري : أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريك خرجوا ليلة ليسمعوا القرآن من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه . فباتوا يسمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئًا ثم انصرفوا .

فلما كانت الليلة الثانية كان مثل ذلك ، فلما كانت الليلة الثالثة كان مثل ذلك فتعاهدوا على عدم العودة ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأخنس بن شريك أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وأشياء لا أعرفها ولا أعرف ما يراد بها فقال الأخنس : وأنا والذى حلفت به ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

فقال : ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك هذه ، والله لا نسمع منه أبداً ولا نصدقه . فقام عنه الأخنس بن شريك [1] .

---

(١) سيرة ابن كثير ٥٠٦/١ ط الحلبي .

فأصحاب الشهوات والأهواء وعشاق الضياع وقتلى المذاهب الهدامة وصرعى الترف والدمار الروحي يريدون الغرق في الملذات والغوص في الشهوات . وصدق الله :

ـ ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون * وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ البقرة : ١١ ـ ١٣ .

ـ ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ البقرة : ٨٧ .

هؤلاء جميعا بعدوا عن الإيمان بعداً كبيراً ، ولهم فى حس الداعية منزلة ومكانة فى العناد يقدر لها قدرها من الاستعداد ، لأنهم سيقابلون الداعية بعنف دفاعاً عن مصالحهم المادية ومكاسبهم الذاتية التى يأخذونها بغير حق .

المخدوعون من الجهلة والعوام الذين ليس لديهم ما يدافعون عنه أو ليس عندهم تعصب ضد الحق لذاته ، بل هم لا يعلمون إلا ما كانوا عليه ولا يعرفون غيره فهم ثابتون عليه حتى يظهر خلافه ، ليس لهم شخصية ناقدة أو نافذة أو بصيرة وهَّاجة تفرق بين الطيب والخبيث وإنما يعبدون مقلدين ، ويفعلون العادات مقلدين ، ويعادون مقلدين ، ليس عندهم تصور أو فكرة واضحة عن المجتمع الذي يريدون ، وعن الأخلاق التي يريدون ، وعن الفضيلة التي يريدون ، وعن التحرر الذي يريدون .

مثل كثير مما عليه مجتمعنا اليوم !!

هل لديه فكرة عن الصورة التي يريد أن يكون عليها شبابنا وفتياتنا اليوم ؟

إلى أي مدى يذهبون في تحررهم « مثلا » وأي ضابط يمسكهم ويحجزهم أم لا ضوابط على الإطلاق .

هل تذهب الفتاة كل مذهب؟ هل تتخذ لها صديقاً؟ هل « تخطر » الأسرة بذلك الصديق؟ أم تتخذ ذلك في السر؟ وهل تغضب الأسرة حين تعلم أم تتغاضى كأنها لا تعرف؟ أم تفرح وترحب بذلك الصديق؟ .

هل تخرج الفتاة مع خطيبها منفردين إلى السينما والمسرح والحديقة الخلوية أو حيث لا يعلم أحد، أو يكون معهما واحد من الأسرة؟ وما مهمة هذا المرافق مع التحديد؟

هل تخرج بالفستان الذي يروق لها عارية الصدر منكشفة الساقين والذراعين أم أن هناك حدوداً معينة؟

وهل تخرج بمفردها ولا تسأل إذا عادت متأخرة أين كانت أم أن ذلك حقها ولا اعتداء عليه؟

هل تتعلم الفتاة كل شيء حتى الرقص والغناء أم ما هو نوع التعليم الذي يجب أن تتعلمه، وهل لذلك غاية أم المقصد هو الشهادة أو الوظيفة والمكانة في المجتمع والغرور القاتل؟

وفي الجانب الآخر، هل يذهب الفتى كل مذهب ويتخذ له صديقة ويترك له الحبل على الغارب؟

وما هو موقف الأسرة من ذلك . وما موقف الوالدين منه وموقفه منهما . هل الطاعة أم المشورة أم الاستقلال؟ هل يخطب الفتاة بنفسه أم بمشورة الأهل؟

ومن يتزوج؟ يتزوج فتاة عرفها في الطريق أو في السينما أو في المنتزه أم زميلة في العمل أو فتاة لا يعرفها على الإطلاق؟ .

وما هي شروطه في الزواج؟ وهل يبحث عن ماضيها أم أن ذلك ليس من

حقه ، وهل يشترط عليها بعد الزواج أم أن ذلك ليس له ؟ هؤلاء وأمثالهم نهبٌ للتقاليد والغزو الثقافي والدعايات المرغبة في المدنية الكاذبة بدون معرفة للصواب من الخطأ ، فهؤلاء لهم شأن آخر في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى بفتح البصر والرفق والتبصرة ، وبالمعاملة بالحسنى وإيقاظ الحس الفطري والديني فيهم ، وسماعهم للهدى مع الإحسان إليهم والاختلاط بهم ، والإهداء إليهم والتودد إلى نفوسهم والتدرج معهم وهكذا فمعرفة أحوال الناس وميولهم ورغباتهم ، تسهل على الداعية توصيل الهدى إلى الناس وحسن استجابتهم للحق والعمل له أو الاتجاه نحوه .

فالتعرف على المدعو أساسي في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وهي البصيرة التي عناها الله سبحانه وتعالى بقوله :

ـ ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنــا ومــن اتبعنــي** ﴾ يوسف : ١٠٨ .

وهذا يستدعي أن يكون الداعية على بصيرة من أمر المدعوين في دعوته كلها ، وهذه البصيرة تظهر على شكل أنواع من التصرفات الحكيمة التي تثمر ثمرة طيبة في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى .

فمثلا يعرف الإنسان طبيعة من أمامه إن كان يحب الفخر مثلا ، يجعل له شيئاً من الحلال يفتخر به حتى يقبل على الإسلام ثم بعد ذلك ينصهر في الإيمان وينسى الفخر .

وقد أعطى الرسول ﷺ لأبي سفيان شيئاً من ذلك فقال في فتح مكة : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » فكان هذا سبباً في إقباله على الإسلام وتثبيطه لقريش ، وفي صلح الحديبية عرف الرسول ﷺ أن الحليس ابن علقمة سيد الأحابيش رجل يعظم الشعائر ويعظم البيت ، فأمر الرسول ﷺ أن يطلق هدي البيت في وجه الحليس بن علقمة حتى يعلم تعظيم

المسلمين للبيت، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ، إعظاماً لما رأى فقال لهم ذلك، فقالوا له بجهل: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك. فغضب عند ذلك وقال: (يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له)(١).

فالمرأة الداعية تعرف من أمامها من النساء، فإذا كانت امرأة تحب الفخر مثلا فلتحترمها رغم بعدها عن الإسلام وتجلسها في مكان مرموق وتقبل عليها حتى تفتح لها قلبها. وكذلك إذا كانت هناك من تُشغف بالحديث فإن في قصص القرآن وحكايات الصالحين والصالحات متسعا، وإذا كانت تحب الرحلات ففي العمرة وزيارة المتاحف الإسلامية والتعرف على أحوال المسلمين غناء، وإذا كانت تحب الطعام ففي الولائم التي يقوم بها المسلمون من عقائق وولائم وغيرها مجال ذلك، إلى غير ذلك. هذا مع تقديم الزاد الروحي، والتعرف على المجتمع الجديد حتى تستقيم مع المؤمنات.

وعموماً فهناك أمور يشترك فيها الناس جميعاً رجالا ونساءً يحسن الابتعاد عنها منها: لوم الناس وتعنيفهم، والتعالي عليهم، وعدم الالتفات إليهم، وعدم مشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، وعدم قضاء مصالحهم ... الخ.

(٤) القدرة على الإبانة:

القدرة على التعبير عن الحق الذي يقتنع به الداعية. فالحق فكرة لا بد أن يحملها دعاة يبلغونها للناس، والفكرة في النفوس والصدور والصحف لا بد لها من لسان وقول وفعل وعمل حتى تصير حقيقة معاشة، وإذا كان أهل الباطل يذيعون باطلهم ولا يستحيون من الناس فأولى بأهل الحق أن

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٣١٢.

يجهروا بحقهم وهداهم على الناس وليس في ذلك ما هو ضد الفطرة أو ما يعاب .

فإذا كانت الراقصة تخرج عارية الجسد والعورة على الناس تظهر ما استتر منها وتتلوى وتهتز لتزداد تسفلا وانحطاطاً وحيوانية ومهانة ، وإذا كانت المغنية تخرج على الجماهير كالحة الوجه تنادي على العاشقين وطلاب الرذيلة جهاراً نهاراً وتعلن عن عشقها وسقوطها غير هيابة قائلة : عاشقة ومسكينة والنبي ... إلى غير ذلك من الألفاظ والكلمات التي كانت تستحي المومسات أن تنطق بها زماناً مضى !!

فأولى بالمرأة المسلمة أن تجهر بالقرآن وبكلام ربها وتعاليمه وبحديث رسولها وهديه ، وأن تعلم الفضيلة والمعروف وتنشر الحق بين الناس وتعلن عن بضاعة الأنبياء والمرسلين .

وإذا كانت الماجنات جريئات وقحات على البغي والإثم فأولى بالمؤمنة أن تجهر بالحق وتعرف الطهر والفضيلة والهدى والنوروتصدع به معرضة عن الباطل وأهله . والعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ولا حياء في الدين.

ذكر أبو نعيم أن أم كثير الأنصارية قالت : دخلت أنا وأختي على النبي ﷺ فقلت له : إن أختي تريد أن تسألك عن شيء وهي تستحي قال : « فلتسأل فإن طلب العلم فريضة » قالت : فقلت إن لي ابناً يلعب بالحمام قال : « أما إنه لعبة المنافقين » (١) .

أم رعل القشيرية :

وفدت على النبي ﷺ مسلمة هي وزوجها أبو رعل وكانت امرأة بدوية ذات لسان فصيح ، وكان النبي ﷺ معجباً بها وبفصاحتها فقالت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، إنا ذوات الجدود ، ومحل أزر البعول ،

---

(١) الإصابة ٤/٤٦٤ .

ومن بنات الأولاد ، ولا حظ لنا في الجيش ، فعلمنا شيئاً يقربنا إلى الله عز وجل فقال : « عليكن بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، وغض البصر ، وخفض الصوت » ـ الحديث ـ وفيه قالت : يا رسول الله إني امرأة مقينة(١) أقين النساء وأزينهن لأزواجهن فهل هو حوب « إثم » فأثبط عنه فقال لها : « يا أم رعل قينيهن وزينيهن إذا كسدن » .

ثم ذهبت أم رعل وقدمت إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ فحزنت كثيراً على رسول الله ﷺ وطافت أزقة المدينة تبكي عليه وأنشدت مرثيتها التي منها :

يا دار فاطمة المعمور ساحتها هيجت لي حزناً حييت من دار

فهاجت المدينة ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وأهلها يبكون (٢) .

أم كجة :

امرأة من الأنصار غيرت وضعاً جاهلياً ، حيث كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار من الذكور ، فمات زوجها عبد الرحمن أخو حسان بن ثابت وترك خمس بنات ـ وفي رواية : بنتين ـ مع أمهن « أم كجة » فجاء العصبة من الرجال فأخذوا ماله كله ولم يتركوا للمرأة ولا لبناتها شيئًا فلم تسكت على ذلك الضيم وذهبت إلى رسول الله ﷺ تكلمه بلسان الفصاحة والحجة .

فقالت : يا رسول الله هؤلاء بنات عبد الرحمن . قتل معك يوم أحد وقد أخذ عمهما مالهما كله فلم يدع لهما مالا إلا أخذه ، فما ترى يا رسول الله ، فوالله لا ينكحان أبداً إلا ولهما مال .

---

(١) يعني امرأة تغني تزين النساء لأزواجهن في الأفراح .
(٢) الإصابة ٤/٤٣١ .

فقال عم أولادها : البنات لا تركب فرساً ، ولا تحمل كلا ، ولا تنكأ عدواً ، فقال ﷺ : « يقضي الله في ذلك » فأنزل الله سبحانه :

ـ ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك** ﴾ الآية : النساء : ١١ .

فقال ﷺ : « ادع لي المرأة وصاحبها » فقال لعمهما « أعطهما الثلثين وأعط أمهما الثمن وما بقى فهو لك »(١) .

أسماء بنت يزيد بن السكن :

بايعت الرسول ﷺ في نسوة وهي من نساء الأنصار ابنة عم معاذ بن جبل « وكان يقال لها خطيبة النساء » وروت عن رسول الله ﷺ وكانت فصيحة مجاهدة شهدت اليرموك وقتلت يومئذ تسعة من الروم وعاشت عمراً طويلا .

كانت فصيحة بليغة في وسط النساء وكانت تحمل رأيهن إلى رسول الله ﷺ بغير وجل أو تردد وكان الرسول يستحسن مقالها ويعجب منه ، وكانت مَن ذوات العقل والدين ورعة تقية . روي عنها أنها أتت النبي ﷺ فقالت : إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي ، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنا بك واتبعناك ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ، ومواضع شهوات الرجال ، وحاملات أولادهن ، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا لهم أولادهم ، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟

فالتفت الرسول ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال : « هل سمعتم مقالة

---

(١) المرجع السابق : ٤/٤٦٤ .

امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه » فقالوا : بلى والله يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « انصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال » . .

فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قاله لها رسول الله ﷺ (١) .

كانت الفصاحة والبلاغة والريادة من أسباب التصدر ، وكان هناك من الأجواء ما تبرز فيه هذه المواهب لتؤدي دورها في الحياة وفي المجتمع وفي وسط النساء ، وكان في هذا توجيه لرسالة المرأة ومعرفة لوجهتها وثوابها وأجرها عند الله سبحانه وتعالى ، ولا مانع أن تتصدر النساء فيما ينفعهن من الخير وأن يكون لهن قياديات صالحات تعبر عن آرائهن حتى ينهض المجتمع وتبرز فيه الطاقات والمواهب اللازمة لحضارة الأمة وريادتها ، أما الأزمان التي يقضى فيها على الآراء وعلى المتصدرين والدعاة فهي أزمان كوالح تفتك بكل نبتة وتدمر كل زهرة وتحرق الأخضر واليابس .

أسماء بنت عميس :

مهاجرة الهجرتين ، ومصلية القبلتين ، أسماء بنت عميس الخثعمية المعروفة بالبحرية الحبشية ، أي صاحبة الأسفار في البحار في الله ، أليفة النجائب وكريمة الحبائب ، عقد عليها جعفر الطيار ، وخلف عليها بعد جعفر ، الصديق سابق الأخيار ، ومات عنها الوصي على سيد الأبرار .

كانت مخايل القيادة والريادة ظاهرة في أسماء وكانت فيها رجاحة العقل المؤمن وجرأة الداعية المسلم ، فرت بدينها وكانت نصيراً لزوجها في دعوته ، وسنداً له في رحلته إلى الحبشة وإلى المدينة ومؤازرة له في جهاده ، وكانت في وسط المجتمع المسلم لبقة خدوما تعرف الواجب عليها ، تسد كثيراً من

---

(١) الاستيعاب على الإصابة : ٢٣٣/٤ .

الثغرات.

ننظر إليها عندما رجعت من الهجرة إلى الحبشة ولحقت برسول الله وصحبه في المدينة ــ بعد سنين من الغربة في سبيل الله بعيدة عن معين الوحي الذي كان يتطلع إليه كل تقي ــ نراها تصور ذلك في حوار مع عمر رضي الله عنه :

دخلت أسماء بنت عميس فرآها عمر فقال : هذه الحبشية البحرية ، فقالت أسماء بجرأة : نعم ، فقال عمر : سبقناكم بالهجرة ، نحن أحق برسول الله ﷺ.

فغضبت وقالت : كلا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ويفقه عالمكم ويأمركم بمعالي الأخلاق ، وكنا في دار ــ أرض ــ البعداء والبغضاء في الحبشة وذلك في الله ورسوله ، وايم الله لا أطعم طعاماً ، ولا أشرب شراباً حتى أذكر ذلك مما قلت لرسول الله ﷺ ، فنحن كنا نؤذى ونخاف والله لا أكذب ولا أذيع ولا أزيد على ذلك.

فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا ، قال رسول الله ﷺ : « فما قلتِ له » قالت : قلت كذا وكذا ، قال : « ليس بأحق بي منكم ، له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان ».

قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحابه ممن كانوا معنا في الحبشة يأتون أرسالا يسألوننى عن هذا الحديث . وما من الدنيا شيء هم أفرح به ولا أعظم في نفوسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ .

ننظر إليها وقد حاجت عمر رضي الله عنه بفصاحتها واحتكمت إلى رسول الله ﷺ وحكم لها وكانت هي المدافعة عن أهل الحبشة كلهم ، وبينت كيف كانوا يتحملون في سبيل الله سبحانه مع بعدهم عن رسول الله

والعصبة المؤمنة . كما كانت تعرف الواجب نحو الناس في الملمات وفي المناسبات .

يروي ابن عباس فيقول : لما زوج رسول الله ﷺ فاطمة علياً ، دخل فلما رآه النساء وثبن وبينهن وبينه سترة ، وتخلفت أسماء بنت عميس كما كانت ، فقال لها رسول الله ﷺ : « مكانك على رسلك من أنت؟ » وكانت أسماء بجانب فاطمة تعلمها أشياء وتهدئ من روعها .

قالت : التي أحرس ابنتك ، فإن الفتاة ليلة يبنى بها لا بد لها من امرأة « أي صالحة » تكون قريبة منها إن عرض لها حاجة ، أو أرادت شيئاً أفضت بذلك إليها « أي قبل أن يأتي زوجها عندها » قال ﷺ : « فإني أسألك إلهي أن يحرسك من بين يدك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم » قال ابن عباس : فأخبرتني أسماء أنها رمقت رسول الله ﷺ قام فلم يزل يدعو لهما خاصة لا يشركهما في دعائه أحداً حتى توارى في حجرته (١) .

ويفهم من ذلك أن لـلمرأة أن تدعـو إلى الحق وأن تجاهـد في سبيله وأن تتكلم عن بنات جنسها في المعروف ، وفيما يعلمن من الخير ، وأن تراجع في أمر دينها وتسأل ، وأن تراجع في ذلك الحكام وأهل الحل والعقد ، وأن تقوم بدورها في الحياة كريمة عزيزة في وسط مجتمع مجاهد عامل ، وأن لا تستحي من الحق ولا توجل منه ، ولا يمنعها من ذلك مانع ، فدعوة الله اليوم تحتـاج إلى كل عقـل وكل لسان وكل جهـد ، وقطـاع المرأة قطـاع أساسي ومهـم كقطـاع الرجال في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى .

كما أن دورها الاجتماعي مهم جداً في تسديد البيت المسلم ومعاونته على ...

---

(١) حلية الأولياء ٢ / ٧٤ ، مغازي الواقدي ص ٧٣٩ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، الكامـل لابـن الأثير ٢ / ٢٣٨ ، ٢٩١ ، ٣٤١ ، ٣ / ٣٩٧ .

الخير والبر ، وفي ستره وتوجيهه ونصحه حتى لا تترك المرأة نهباً للعادات الفاسدة والاجتهادات الخاطئة التي تجني عليها وعلى أسرتها وعلى مجتمعها

(٥) الشجاعة والمواجهة :

لا بد للداعية إلى الله من الشجاعة في مواجهة الباطل فالحق لا بد أن يكون شجاعاً والباطل لا بد أن يكون جباناً وقد عبر عن ذلك القرآن بقوله تعالى :

ـ ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**﴾ الإسراء : ٨١ .

ـ ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾ الأنبياء : ١٨ .

الشجاعة في مواجهة الفساد عموماً ، الشجاعة في إظهار الحق المخالف لما عليه الناس ، الشجاعة في إنكار المنكر وعدم الهيبة منه ، الشجاعة في البعد عن الإغراء المادي الذي يلوح به الباطل ، الشجاعة في الصبر على الجهاد ، الشجاعة في كل ما يؤدي إلى جعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

وقد تكون الشجاعة بالمواجهة الصريحة ، وقد تكون بالعزيمة وقد تكون بمواجهة الباطل بخطة يضعها العقلاء ، فالداعية في معركة الباطل لا بد أن يعد لها أسلحتها من الكلمة والخطة والزمان والمكان إلى أن يؤدي ذلك إلى انتصار الحق وسيادته ، وليست الشجاعة تهوراً أو سفهاً ، أو عملاً بجهل ، أو بغير خطة وتدبير ودراسة ومعرفة لمدخل الأمر ومخرجه ، فقد تكون الشجاعة في موقف هو الصبر والتريث وتفويت الفرص وعدم الإقدام حتى تتكون جند الحق الذين ينصرون الحق نصراً مؤزراً كما فعل رسول الله ﷺ حين كف المسلمين عن القتال حتى استعدوا وأعدوا ، وكانت الشجاعة الميدانية بعد الشجاعة الدعوية والتخطيطية .

وصدق الله :

- ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾ النساء : ٧٧ .

لقد أورد ابن كثير أنه في العهد المكي كان المؤمنون مأمورين بالصلاة والزكاة والصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين لأسباب كثيرة منها قلة عددهم بالنسبة لكثرة عدد عدوهم ومنها أنهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام ولم يؤمروا بالقتال إلا بالمدينة لما صارت لهم داراً ومنعة (١) أي أصبح لهم فيها دولة ، فالشجاعة القتالية لم تكن مطلوبة في العصر المكي .

وبعض الناس يظهر الشجاعة القتالية قبل الدعوية وهذا خطأ منهجي واضح في كثير من الأحيان كما أوضحت الآية ذلك ، ومن أمثلة الشجاعة في الحق :

فاطمة بنت الخطاب قاهرة عمر :

كانت شجاعة تقية تحب العلم لا تخشى في الله لومة لائم ، أسلمت قبل عمر هي وزوجها سعيد بن عمرو بن نفيل ، واستخفوا بإسلامهم وكان ذلك قبل أن يظهر الإسلام .

وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن وكان خباب رضي الله عنه من العبيد المعذبين في سبيل الله سبحانه .

وعن الشعبي قال : سأل عمر خباباً عمّا لقي من المشركين فقال خباب : يا أمير المؤمنين انظر ظهري ، فقال عمر : ما رأيت كاليوم ، قال : أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا ودك « دهن » ظهري .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤١٤ .

وهو من قال له الرسول ﷺ معلما : « إنه كان فيمن قبلكم — من أهل الدعوات — يؤتى بالرجل فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ويمشط بمشاط الحديد ما دون عظمه من لحمه ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله تبارك وتعالى والذئب على غنمه » .

كان خباب العبد يعلم فاطمة القرآن لأنه سابق إلى مدرسة الرسول ﷺ فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه الذين ظلوا معه ولم يهاجروا إلى الحبشة حتى يواصلوا الدعوة إلى الله تعالى فلقيه نعيم بن عبد الله ، فقال : إلى أين يا عمر ؟

قال : أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله .

فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر !! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأي أهل بيتي ؟ قال : ختنك « يعني زوج أختك » وابن عمك سعيد وأختك فاطمة ، فقد والله أسلما وتبعا محمداً على دينه فعليك بهما .

فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وعندها خباب بن الأرت معه صحيفة فيها سورة « طه » يقرئها إياها .

فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب وكان يدعو سراً ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب عليها .

فلما دخل قال : ما هذه الهينمة التي سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئاً ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه وبطش بختنه سعيد

ابن زيد فقامت إليه أخته فاطمة في شجاعة عظيمة تكفه عن زوجها وتدفعه فضربها فشجها .

فلما فعل ذلك لم تخش على نفسها وجأرت فيه قائلة : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك .

وكأنها تقول قول السحرة ـ الذين أسلموا ـ لفرعون :

ـ ﴿ **فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى** ﴾ طه : ٧٢ : ٧٣ .

وكان لقولتها وثباتها في وجه عمر رعدة ورهبة في قلبه وكأنها سبع تريد أن تلتهمه وتفتك به .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم وما بها من الشجاعة ارتاع وارعوى وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرأون آنفاً أنظر ما هذا الـذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتباً .

فقالت له أخته : إنا نخشاك عليها ولا نأمنك ، فقال لها : لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردّنها إليها إذا قرأها .

فلما قال ذلك : ظهر عندها بحس الداعية أنه تخشع فطمعت في إسلامه ولكنها لم تنس تعاليم دينها أمام رهبته فقالت له بلغة الواثقة المعلمة : إنك نجس على شركك وإنه لا يمسه إلا المطهرون .

فقام عمر وأطاع الأمر واغتسل . فأعطته الصحيفة وفيها « طه » فلما قرأ منها صدراً قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ، ثم قال :

دلوني على محمد وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وذهب إلى رسول الله ﷺ وانضم إلى الكتيبة المؤمنة (١) .

---

(١) سيرة ابن كثير ٢/٣٤ .

أي لو لم تكن شجاعة فاطمة وثباتها ماذا كان سيكون ، هل كان سيتأثر عمر !!؟

أسماء ذات النطاقين :

هي من هي : الصادقة ، الذاكرة ، الصابرة ، الشاكرة : أسماء بنت الصديق ، الشاقة نطاقها لتربط قربة النبي ﷺ وزاده .

حدث هشام بن عروة عن أبيه قال : دخلت على أسماء وهي تصلي فسمعتها وهي تقرأ الآية :

ـ ﴿ **فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾ الطور : ٢٧ .

فاستعاذت من النار ، فقمت وهي تستعيذ ، فلما طال علي قيامي ذهبت إلى السوق ورجعت وهي ما زالت تستعيذ باكية منتحبة .

نراها شجاعة في كل موقف ونذكر موقفاً لها في مواجهة الظالمين وفي تثبيت ولدها عبد الله بن الزبير في مواجهتهم :

لما أحاط الحجاج ومعه جند الشام بعبد الله بن الزبير في الكعبة بيت الله الحرام وتفرق الناس عن عبد الله دخل على أمه قائلا : يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟

فقالت : يا بني أنت أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك ، وإن قلت : كنت على الحق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين ، كم خلودك في الدنيا ! القتل أحسن ! فقال : يا أماه أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني .

قالت : يا بني إن الشاة إذا ذبحت لا تتألم بالسلخ ، فامض على

بصيرتك واستعن بالله .

فقبل رأسها وقال : هذا رأيي والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا ، ما ركنت إلى الدنيا وما أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرماته ولكني أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتني بصيرة ، فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتدن حزنك وسلمي الأمر إلى الله ..الخ .

فقالت له أمه : إني لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلا ، إن تقدمتني احتسبتك ، وإن ظفرت سررت بظفرك ، أخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك . فقال : جزاك الله خيراً ، فلا تدعي الدعاء لي . قالت : لا أدعه أبداً ثم قالت : اللهم ارحم طول ذاك القيام في الليل الطويل وذاك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة وبره بأبيه وبي ! اللهم قد أسلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين !!

ثم أقبل عبد الله على القتال حتى قتل رحمه الله ، فصلبه الحجاج على جذع فوق الثنية ثم أرسل الحجاج إلى أمه أسماء فأبت أن تأتيه ، فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك من قرونك ، فأبت وقالت : والله لا آتيه حتى يبعث إلي من يسحبني من قروني .

فقال الحجاج : أروني مكانها ، ثم انطلق حتى وقف عليها فقال : كيف رأيت ، نصر الله الحق وأظهره ، فقالت : ربما أديل الباطل على الحق وأهله ، وإنك بين فرثها والجنة ، فقال : إن ابنك ألحد في هذا البيت ، وقد قال تعالى :

ـــ ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ الحج : ٢٥ .

وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم .

قالت : كذبت ، كان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة وسر به رسول

الله ﷺ وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحاً به، وقد فرحت أنت وأصحابك بمقتله، فمن كان فرحه يومئذ بمولده خير منك ومن أصحابك، وكان مع ذلك براً بالوالدين صواماً قواماً بكتاب الله معظماً لحرمة الله يبغض من يعص الله عز وجل أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته يقول: « يخرج من ثقيف كذاب ومبير » فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه. فقام عنها الحجاج ولم يرجع.

ثم أنزل ابنها عبد الله فأتي به أسماء فغسلته وطيبته وحنطته ثم دفنته رضي الله عنها (١).

كيف كانت تلك الشجاعة في مقابلة أعتى إنسان ظهر في تلك الفترة وأخاف الجزيرة وما حولها، ولكنها المؤمنة التقية الورعة التي لا تخشى الطغاة ولا تخاف في الله لومة لائم رحمها الله رحمة واسعة.

زينب أخت الحسين:

حفيدة النبي التي شهدت مأساة كربلاء حتى سماها بعض المؤرخين بطلة كربلاء، شهدت الأهوال مشفقة وجلة على أبيها وعلى أهلها القتلى والجرحى والثكلى، واجهت ابن زياد الأمير الطاغية بشجاعة نادرة وهي أسيرة لا تملك لنفسها ولمن معها شيئاً ولكنها كانت ثابتة الجنان قوية الحجة.

فقال لها: من أنت متجاهلا لها فوجهت الجواب إلى إحدى خدمها فقالت: هي زينب بنت فاطمة.

فقال: الحمد الله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم فكان جواب الشجاعة التي لم ينسها الأسر والظلم أنها الأعز والأكرم والأفضل: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه ﷺ وطهرنا من الرجس تطهيراً لا كما تقول

---

(١) الكامل لابن الأثير ٤ / ٣٥٦، البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ٣٣٣.

أنت ، إنما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله .

قال الطاغية : كيف رأيت صنع الله بأهلك ؟

قالت الشجاعة العزيزة مستعلية على الظلم : كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه ، فتختصمون عنده .

وفي موقف آخر بين يدي يزيد :

سيقت السيدة زينب إلى يزيد مع الأسرى ورؤوس الشهداء فكشف يزيد عن ثنايا الإمام الحسين وجعل ينكتها بقضيب في يده ويقول :

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواضب في أيماننا تقطر الدما
يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك عن شفتيه لربما رأيت رسول الله ﷺ يقبله ، أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك ويجيء هذا ومحمد شفيعه .

وبكت نساء آل البيت ولكن الطاهرة ردت على يزيد بقولها :

ـ ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السُّوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ﴾ الروم : ١٠ .

ثم قالت : أظننت يا يزيدأنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا هوانا على الله وأن بك عليه كرامة ؟

وتوهمت أن هذا لعظيم خطرك ، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفيك جذلان فرحاً حين رأيت الدنيا مستوثقة لك والأمر متسقا عليك وقد أمهلت ونفست وهو قول الله تباك وتعالى :

ـ ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴾ آل عمران : ١٧٨ .

ثم قالت : أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك بناتك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله ﷺ كالأسرى ، لقد هتكت ستورهن وأهملت أصواتهن مكتئبات تجري بهن الأباعر وتحدو بهن الأعادي من بلد إلى بلد ، يتشوفهن القريب والبعيد وليس معهن قريب من رجالهن ؟

ثم قالت : وستعلم أنت ومن بوأك ومكّنك من رقاب المؤمنين إذا كان الحكم ربنا والخصم جدنا وجوارحك شاهدة عليك أينا شر مكاناً وأضعف جنداً .

وفي موقف آخر ، قال رجل من أهل الشام ليزيد وزينب وأختها فاطمة عند يزيد : هب لي هذه ـ يعني فاطمة ـ فأخذت بثياب أختها زينب وكانت أكبر منها فقالت زينب : كذبت ولؤمت ، ما ذلك لك ولا له ، فغضب يزيد وقال : كذبت والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلته .

قالت : كلا والله ، ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا .

فغضب يزيد واستطار ثم قال : إياي تستقبلين بهذا ، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك ، فقالت زينب : بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك .

قال : كذبت يا عدوة الله ! قالت : أنت أمير ظالم وتقهر بسلطانك . فاستحيا وسكت(١) .

امرأة تقف وحيدة شجاعة تقول الحق ولا تخشى الظلم والبغي وتعيب

---

(١) انظر في ذلك : الكامل لابن الأثير ٤/٨٥،٨٦ .

المنكر وتقهره وتحاجه ولا تخاف ولا ترتعد وهي في حالة بئيسة ولكنها تحمل نفساً قوية أبيّة عزيزة.

فهل امرأة مثل هذه في مثل هذا الموقف تبارى، أو لها مثيل في رحاب الإيمان والتقوى؟

ودائما كانت مدرسة الإيمان تخرج النماذج الكريمة العظيمة التي تلفت العالم إليها، وتخرج الأبطال والقواد والعلماء العاملين الذين تبنى على عقولهم وسواعدهم وهممهم الأمم وتقام الحضارات الزاهرة العظيمة.

(٦) القدرة على القيادة:

لكل عمل منظم قيادة تسير به إلى أهدافه المرسومة وصدق رسول الله ﷺ: « إذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم واحداً »، « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »، والعمل الدعوي لا بد له من قيادة إمّا أن تكون هي الدولة وهو الأصل، وإمّا أن تكون جماعة إذا تركت ذلك الدولة، أمّا أن تكون دعوة ولا قيادة فهذا ما لا يجوز عقلا ولا نقلا ولا واقعاً. فليس هناك من مذهب أو نحلة أو ملة تنتصر بغير قيادة، أو تنتشر بغير رأس تدبرها وترتاد لها وتجمع لبناتها وتربي شاردها، وتعمل عملها المنظم والمبرمج في واقع الحياة، ومن يقول غير ذلك يكون إما مخادعا أو غرًّا مفتونا.

وللقيادة صفات معينة يجب أن تتحقق في القائد الذي يقود الجماعة، من تلك السمات والصفات التي ينبغي أن تكون في القائد ما يلي:

١ ــ أن يكون القائد أكثر حيوية ونشاطاً وقدرة على تصريف أمور جماعته حتى يستطيع مراقبة ومواكبة الأعمال المنوطة بالجماعة.

٢ ــ أن يكون أكثر الموجودين ذكاءً، أو متفوقاً في الذكاء وفي الثقافة وفي سعة الأفق، وأن يكون على مستوى من الإدراك والتفكير بحيث يكون أسرع في اتخاذ القرارات والفصل في الأمور المهمة.

٣ ــ أن يكون واثقاً من نفسه لا تؤثر فيه الملمات أو الحوادث ، ولا تنال منه بسهولة الهزات . أي أن يكون عنده نضج انفعالي وإرادي .

٤ ــ أن يكون عنده القدرة على استيعاب الآخرين وتشجيعهم والتعاون معهم وكسب حبهم واحترامهم ، وحل مشاكلهم والشعور بشعورهم .

٥ ــ أن يكون متصفاً بالماضي النّظيف ، كحسن السمعة والأمانة والمجاملة والتمسك بالقيم الإسلامية العظيمة ، عفاً حسن المظهر كريم العادات .

٦ ــ أن تكون عنده القدرة على الابتكار والإبداع والمنافسة الحرة الشريفة ، والكفاءة في إدارة الجلسات أو القيام بتصريف الأمور وتحمل تبعاتها .

٧ ــ أن يكون عنده هدف يتحمس للوصول إليه أو برنامج عمل مختمر في نفسه واضح في مخيلته مدروس يحب أو يتعشق الوصول إليه وتنفيذه .

٨ ــ أن يكون عنده القدرة على اكتساب طاقات جديدة وإضافتها للعمل .

٩ ــ أن يكون عنده القدرة على تقبل النقد الذاتي ومعاملة الآخرين بروح من الشورى والتفاهم المتبادل ، وأن يتسع صدره للحوار والرجوع إلى الحق إن وجد في خلاف ما يرى .

١٠ ــ التواضع وعدم الغرور ، مع شخصيته الطاغية المؤثرة المحبوبة المطاعة .

والقيادة في الحقيقة ليست شيئاً هيّناً أو سهلا ، لأنها المجد للجماعة وللأمة ولأنها الطريق المستقيم والعمل المنتج ، والأمة التي تستطيع أن تربي القادة هي الأمة الأنجح والأوفق في هذه الحياة ولهذا ربت الأمة الإسلامية

القادة في كل ميدان ، لأن الإسلام وتعاليمه كان زاد القادة وغذاء الأمراء والكبراء .

فبرزت من الأمة الإسلامية في فترة وجيزة قيادات في كل ميدان حربي أو اجتماعي أو علمي أو أخلاقي وسلوكي ، وسميت بذلك الأمة المستكملة في كل شيء .

القيادة في العمل النّسائي :

لا شك أن للرجل دورا في الدعوة ، ولا شك كذلك أن للمرأة دورا فيها ومن أفضل أدوارها معاونتها للرجل ، القيام بالدعوة في وسط النساء وهذا ليس بالأمر الهين . وكلما توفرت تلك الصفات السابقة في المرأة كانت أقدر على القيادة والتوجيه والتأثير فيما تقوم به من عمل ، بل إن المرأة في بعض الأحيان لها من ذكائها وحيلتها وعطفها مقدرة خارقة على إجادة كثير من الأعمال التي لا يستطيعها كثير من الرجال .

وقد برزت من بين النساء قيادات مهمة سواء كانت في الخير أو الشر وما هذا إلا لطبيعة بعض النساء وقوة شخصيتهن وبروز مؤهلاتهن في ذلك .

هند بنت عتبة :

كانت لهند بنت عتبة زوجة أبي سفيان شخصية قيادية في الجاهلية كانت تطغى في بعض الأحيان على شخصية الرجال ، بل على شخصية زوجها أبي سفيان القائد الحربي لقريش ، وكانت عداوتها لرسول الله ﷺ تفوق عداوة الرجال حتى أهدر الرسول ﷺ في غزوة الفتح دمها لما فعلته من فظائع استحقت بها أن تكون من مجرمي الحرب .

قائدة التحريض في أحد :

خرجت هند مع المشركين في غزوة أحد تقود فريق النساء يحرضْن المشركين على المؤمنين ، من هؤلاء النساء زوجة عكرمة بن أبي جهل أم حكيم

بنت الحارث وزوجة الحارث بن المغيرة فاطمة بنت الوليد بن المغيرة وبريرة زوجة صفوان بن أمية، وريطة بنت منبه زوجة عمرو بن العاص.

وسلافة بنت سعد زوجة طلحة بن أبي طلحة وكثير من نساء قريش تقودهن يضربن بالدفوف وينشدن الأشعار الحماسية قائلات:

نحن بنـــــــــات طارق نمشي على النمارق
إن تقبلـــــوا نعانــــق ونفـــــــرش النمارق
أو تدبــــروا نفــــارق فراق غير وامــــق

وتقول:

إيها بنـــي عبـــد الـــدار إيها حماة الديــــار
ضرباً بكل بتّار

ثم كان لها دور في التدبير لقتل قادة المسلمين ونجحت في تدبير قتل حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ في أحد بواسطة وحشي عبدها الذى وعدته وأعدته لذلك.

ثم قادت الفريق الذي مثل بقتلى المسلمين زيادة في النكاية والحقد عليهم، فوقعت هند وصويحباتها على القتلى يمثلن بهم، واتخذت هند من آذان المسلمين وآنافهم خلاخل في الأرجل، وقلائد تعلّق في الصدور ثم لم تكتف بهذا بل بقرت بطن حمزة وأخذت كبده رضي الله عنه فلاكتها في فمها فلم تستطع أن تستسيغها فلفظتها.

وظلت على عنادها هذا حتى فتح مكة، حينما جاء أبو سفيان مسلماً منادياً في الناس يا أهل مكة، من دخل داري فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن ثم قال: يا معشر قريش أسلموا تسلموا.

فأقبلت هند امرأته فأخذت بلحيته وقالت: يا أهل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق السمين.

هذه المواقف القيادية كانت بارزة جداً في هند ، ولهذا كانت من مجرمي الحرب وأباح الرسول ﷺ دمها لإيذائها له في مكة ولعداوتها وتحريضها عليه ، ولما فعلته بحمزة ، ولكنها نجت بحيلة ، فجاءت إليه مع النساء متخفية فأسلمت وكسرت كل صنم في بيتها وقالت : لقد كنا منك في غرور وشر ، وأهدت إلى رسول الله ﷺ جديين واعتذرت من قلة ولادة غنمها فدعا لها بالبركة فكانت بعد ذلك تتصدق وتقول هذا من بركة دعائه ﷺ .

وكانت هند حتى في بيعتها مع النساء قبل أن يعرفها الرسول ﷺ قائدة في صفاتها وكلامها ، ولهذا لم يرد لامرأة مراجعة لرسول الله ﷺ إلا منها .

لما ذهبت إلى رسول الله مع النساء متنكرة لتبايع معهن قال لهن ﷺ : تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئاً ، قالت هند : إنك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذ على الرجال ، فسنؤتيكه .

قال : ولا تسرقن .

قالت : والله إن كنت لأحببت من مال أبي سفيان الهنة والهنة .

فقال أبو سفيان وكان حاضراً : أما ما مضى فأنت منه في حل .

فقال رسول الله ﷺ : أهند ؟

قالت : أنا هند ، فاعف عما سلف عفا الله عنك .

قال : ولا تزنين . قالت : وهل تزني الحرة ؟

قال : ولا تقتلن أولادكن .

قالت : ربيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً فأنت وهم أعلم .

فضحك عمر حتى استلقى .

قال : ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن .

قالت : والله إن إتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثل .

قال : ولا تعصينني في معروف . قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد

أن نعصيك ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : بايعهن واستغفر لهن الله [1] .

فكانت صفات القيادة على هذا بارزة فيها وكذلك بعض النساء ولم نر الرسول ﷺ نهرها أو عنفها أو أحداً من الصحابة وهي تتكلم على ملأ وإنما عكس ذلك كان ، ضحك عمر على شدته من جرأتها ومن كلامها وردها وثباتها .

كما نرى ذلك في بعض نساء المسلمين .

أخرج أحمد والنسائي وابن جرير والطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت : قلت يا رسول الله : مالنا لا يذكرنا القرآن كما يذكر الرجال ؟

قالت : فلم يرعني منه ذات يوم إلا نداؤه على المنبر وأنا أسرح شعري فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي حجرة بيتي فجعلت سمعي عنده فإذا هو يقول على المنبر : « يا أيها الناس إن الله تعالى يقول :

ـ ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذّاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾ الأحزاب : ٣٥ .

وأخرج الترمذي وحسنه والطبراني وابن مردويه عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء ، فأنزل الله : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ﴾ [2] . الآية ، وهذا يدل على أن أكثر من امرأة سألت هذا السؤال وعلى أنه كانت

---

(١) الكامل لابن الأثير ١٤٩/٢،١٥٩،٢٤٦،٢٥١ .

(٢) القرطبي ١٨٥/١٤ ، ابن كثير ٤٨٧/٣ ، فتح القدير ٢٨٣/٤ .

هناك قيادات نسائية تراجع الرسول ﷺ وتحب أن يكون لهن ذكر في كتاب الله تعالى وأن يُحَصِّلْنَ الخير .

خولة بنت ثعلبة :

زوجة أوس بن الصامتَ مجادلة الرسول ﷺ يقف لها الولاة والأمراء وتعظهم وتأمرهم وتنهاهم ويسمعون لها . وقد مر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته والناس معه على حمار فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت : يا عمر قد كنت تُدعى عُميراً ، ثم قيل لك عمر ، ثم قيل لك أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر ، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب ، وهو واقف يسمع كلامها ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف ؟ فقال : والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز ؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سماوات ، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمع عمر ؟

قالت عائشة رضي الله عنها : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه ، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول : يا رسول الله ! أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك !

وكان الإيلاء والظهار في الجاهلية من الطلاق ، فسألت النبي ﷺ عن ظهار زوجها منها فقال لها : « حرمت عليه » فقالت : والله ما ذكر طلاقاً .

ثم قالت : أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي وقد نفضت له بطني .

فقال : « حرمت عليه » وروى الحسن أنها قالت : يا رسول الله قد

نسخ الله سنن الجاهلية وإن زوجي ظاهر مني فقال رسول الله ﷺ : « ما أوحيّ إلي في هذا شيء » .

فقالت : يا رسول الله : أوحى إليك في كل شيء وطوى عنك هذا ؟

فقال : هو ما قلت . فقالت : إلى الله أشكو لا إلى رسوله .

فأنزل الله :

ـ ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ المجادلة : ١ [١] .

فمثل هذه المرأة لها رأي وبصيرة تراجع بها الرسل والأنبياء وتخاطب ربها واثقة كريمة فتجيبها السماء وينزل الوحي ويسمع الله سبحانه ، ثم تُوقفُ عمر لتذكره بنفسه وبما يجب أن يعمل ويكون عليه عمله وتنفي عنه الغرور والكبر في مقابل دعوة الله سبحانه وتعالى ويسمع عمر ويلتفت ويصغي إصغاءة المتعلم الخاشع الحريص الخاضع .

وهذه امرأة أخرى صاحبة عزيمة وجلد في الجاهلية والإسلام كما أنها صاحبة لسان وقلم ـ كما يقال بلغة العصر ـ ننظر إليها وإلى ثباتها وتضحيتها بعد الإسلام بأولادها في سبيل الله سبحانه .

الخنساء بنت عمرو:

الشاعرة المشهورة صاحبة اللفظ والمنطق وسلالة المعروف والإحسان وربة الرأي والبيان ، وصاحبة الإحسان والإيمان وفيّة للأهل والمعروف لفّت الصحاري والبوادي والوهاد بشعرها وبلاغتها .

قالت في أخيها وفاء له من الشعر ما ملأ الأسماع وأعجب البلغاء وكان أخوها صخر وفياً بها باراً ، تقول في ذلك : زوجني أبي رجلا مبذراً فأذهب ماله فأتيت إلى صخر فقسم ماله شطرين فأعطاني أفضلهم ، ثم فعل زوجي

---

(١) تفسير القرطبي ١٧/٣٧ ، وابن كثير ٤/٣٢٠ ، وروح المعاني في الآية .

بالمال مثل ما فعل به أولا .

فقسم أخي ماله شطرين فأعطاني خيرهما : فقالت له امرأته : أما ترضى أن تعطيها النصف حتى تعطيها الخيار ؟ فقال :

والله لا أمنحها شرارها   وهي التي أرخص عني عارها
ولو هلكت خرقت خمارها   واتخذت من شعر صدارها (١)

ولهذا لما مات ملأت عليه الدنيا شعراً حتى سار به الركبان ومن ذلك قولها فيه :

ألا يا صخر لا أنساك حتى   أفارق مهجتي ويشق رمسي
يذكرني طلوع الشمس صخراً   وأبكيه لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي   على إخوانهم لقتلت نفسي

ومن شعرها فيه :

ألا يا صخر إن أبكيت عيني   فقد أضحكتني دهراً طويلا
ذكرتك في نساء معولات   وكنت أحق من أبدي العويلا
دفعت بك الجليل وأنت حي   ومن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا قبح البكاء على قتيل   رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومن ذلك قولها :

وإن صخراً لمولانا وسيدنا   وإن صخراً إذا نشتو لنحار
أشم أفلح يأتم الهداة به   كأنه علم في رأسه نار

وقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها .

---

(١) يعني بذلك : أنه لو مات حزنت عليه وشقت ثيابها ولبست الشعر ثياباً حزناً عليه وفوق ذلك فهي عفيفة كريمة منعت عني العار .

إسلامها وشجاعتها :

قدمت الخنساء على رسول الله ﷺ مع قومها بني سليم فأسلمت معهم فذكروا أن رسول الله ﷺ كان يستنشدها ويعجبه شعرها وكانت تنشده وهو يقول : « هيه يا خناس » ويومئ بيده وظلت الخنساء وفية لدينها وعقيدتها مجاهدة في سبيلها وقد تخلت عن عاداتها الجاهلية وربت أولادها على الإسلام وأرضعتهم لبان الإيمان وقد حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فصارت تعظهم وتحرضهم على القتال في سبيل الله وعدم الفرار من الزحف ومما قالت : (يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، وإنكم لابن أب واحد وأم واحدة ما خنت أباكم ، ولا فضحت أخوالكم) .

فلما أصبحوا باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا جميعاً والتهمتهم المعركة في سبيل الله سبحانه وكل منهم يذكر وصية أمه له .

فأنشد الأول :

يا إخوتي إن العجوز الناصحة   قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة   وإنما تلقون عند الصائحة
من آل ساسان كلاباً نابحة

وأنشد الثاني :

إن العجوز ذات حزم وجلد   قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها وبرّاً بالولد   فباكروا الحرب حماة في العدد

وأنشد الثالث :

والله لا نعصي العجوز حرفاً   نصحاً وبرا صادقاً ولطفاً
فبادروا الحرب الضروس زحفاً   حتى تلفوا آل كسرى لفّا

وأنشد الرابع:

لست لخنساء ولا للأخـــــرم ولا لعمرو ذي السنــاء الأقــدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعـجـم ماضٍ على الهول خضم خضـــرم

فلما بلغها استشهادهم قالت واثقة صابرة: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته، وكان عمر بن الخطاب يعرف لها حسن صنيعها ومنزلتها في الإسلام ويعطيها عطاء أربعة رجال حتى قبض رضي الله عنه (١).

هذه هي النساء اللائي تربين الرجال وتدفعهم إلى المجد والعمل الصالح الباقي وتقود المعارك خلف الرجال ومعهم بالنصح والتوجيه والحض والمساندة التي تحتاجها الجنود في المعارك الفاصلة غير هيابة ولا وجلة.

فبعض النساء تنشق بهن الظلم وتطلع بهن الإصباح وبعضهن فتنة تجر إلى الهاوية، ودعوة الإسلام عرفت الصنف الأول الذي حضر بيعة العقبة وبايع الرسول ﷺ على الإسلام والجهاد في سبيله والدعوة إليه، وسرن في مرضاة الله، وكن عوناً للرجال في الملمات ومشيرات عليهم في الخطوب، ولقد استشار الرسول ﷺ أم سلمة في صلح الحديبية فأشارت عليه، وأنجت مشورتها المسلمين من فتنة.

وشاركت المرأة في الحرب والجهاد، ولها مهمات ثلاث:

الأولى: تضميد الجرحى ومساعدة المرضى.

الثانية: تجهيز الطعام ومناولة السلاح والعتاد.

الثالثة: رد المنهزمين من المسلمين والدفاع مع الجيش إذا لزم الأمر وكان لا يفعل ذلك إلا صنف معين من النساء يصلح لذلك وهن صنف له بصيرة وحكمة ودربة وخواص تؤهله لذلك. وهي خواص قيادية من أمثال:

---

(١) الإصابة لابن حجر ٤/٢٧٩.

نسيبة بنت كعب، وصفية بنت عبد المطلب وأم الفضل وأم سليم، وأشباههن من النسوة الفواضل .

الفصل الثالث
وسائل الإقناع وطرقه

المبحث الأول : وسائل الإقناع بالقول « الكلمة » :

تتعدد وسائل الإقناع بالكلمة حسب الأحوال والظروف والأماكن والأوقات ، فقد تسمح ظروف داعية بالإعلان عن دعوته والجهر بها ، في مكان ما ، أو وقت ما ، وقد لا تسمح الظروف لداعية آخر فيدعو الناس سراً أو أفراداً ، وقد لا يستطيع الداعية أن يخالط المدعوين أو يحادثهم ، فيدعو بالكتابة في رسالة أو كتاب أو صحيفة ، وقد تمنع تلك هي الأخرى فيلجأ إلى أشرطة التسجيل أو إلى الخطابات وقد تمنع هي الأخرى فيلجأ إلى أخرَى وأخرى ، ولن يعدم الداعية إلى الحق حيلة يبلغ بها دعوته .

والطرق المعروفة والمتداولة الآن عند صفاء الأحوال واعتدال الأجواء هي :

أولا : الدعوة الفردية :

بدأها رسول الله ﷺ فآمنت به خديجة وآمن به أبو بكر وآمن به علي وتوالى الإيمان .

قال ابن إسحاق : كانت خديجة أول من آمنت برسول الله ﷺ وصدقت بما جاء به وآزرته ونصرته على أمره فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه أو إيذاء أو تكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رضي الله عنها وأرضاها .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب

لا صخب فيه ولا نصب » [٢] .

وكان أبو بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله تبارك وتعالى ؟

ولهذا لما علم بدعوة رسول الله قال لرسول الله ﷺ : أحقاً ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا وتسفيه عقولنا وتكفير آبائنا ؟

فقال رسول الله ﷺ : « بلى إني رسول الله ونبيه ، بعثني لأبلغ رسالته ، وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته » وقرأ الرسول عليه القرآن ، فآمن أبو بكر ، وبادر إلى تصديقه ولم يتلعثم .

ولهذا قال ﷺ : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ما عدل عنه ولا تردد فيه » .

فكان رضي الله عنه أول الرجال إسلاماً ، وعن ابن عباس قال : أول من صلى : أبو بكر رحمه الله ثم تمثل بأبيات حسان :

إذا تذكرت شجواً من أخ ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... إلا النبي وأوفاها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس حقاً صدق الرسلا
عاش حميداً لأمر الله متبعاً ... بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا

قال رسول الله ﷺ : « إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي » [٢] .

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٤٢٦

(٢) المرجع السابق ١/٤٣٣ ، وصفة الصفوة ١/٢٣٧ .

وكان علي أول من أسلم من الغلمان وكان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام، قال ابن إسحاق: أصابت قريشاً أزمة شديدة وكان أبو طالب رجلاً ذا عيال كثير، فأخذ الرسول ﷺ علياً فضمه إليه فلم يزل مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً.

فخرج علي رضي الله عنه يوماً فوجد الرسول ﷺ يصلي هو وزوجه خديجة، فقال: يا محمد ما هذا؟ قال: دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته، وأن تكفر باللات والعزى.

فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب.

فكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي إذا لم تسلم فاكتم، فمكث على تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ماذا عرضت عليَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد »، ففعل علي وأسلم.

وقدم ضماد من أزد شنوءة، وكان يرقى من الرياح، فسمع سفهاء مكة يقولون: إن محمداً مجنون. فقال: أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي؟ فلقيت محمداً فقلت: إني أرقي من هذه الرياح، وإن الله يشفي على يدي من شاء فهلم.

فقال محمد: « إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

ثلاث مرات ».

فقال : والله لقد سمعت قول الكهان ، وقول السحرة ، وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ، فهلم يدك أبايعك على الإسلام فبايعه رسول الله ﷺ . فقال له : وعلى قومك ؟ فقال : وعلى قومي .

ثم أسلم أبو عبيدة ، وأبو سلمة ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وعثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر وعائشة وهي صغيرة .

مراحل الدعوة الفردية :

١ ــ أول هذه المراحل : التعرف والصلة بين الأخت الداعية وبين من تدعوها إلى الله وإلى تنفيذ تعاليمه بدون كلام في الدعوة ، قضاء بعض الحوائج والسؤال عنها مع عدم المضايقة في السؤال ، الإهداء إليها وفعل كل ما يفتح قلبها ويجعلها تشعر بقيمة وفضل تلك الصلة .

كثير من الحب والعطف والرعاية المحببة المفيدة ، فهم المدعوة وإعطاؤها كثيراً من التقدير المباح كالإشادة بحسن ذوقها في الأشياء وعظيم حبها وعطفها على الناس ... الخ وعنوان هذه المرحلة هو :

« الثقة والحب والمنفعة أقرب طريق إلى الإقناع »

٢ ــ ثاني هذه المراحل : إيقاظ الإيمان المخدر في نفس المدعو بطريق غير مباشر ، فالحياة كلها عبر ، فالتذكير بلطف الله في نجاة الإنسان من شر والتذكير بنعم الله إذا جاءت الإنسان نعمة :

ــ ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون * أمن يهديكم في ظلمات البر**

والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ النمل : ٦٢ ، ٦٣ .

التذكير بلطف الله ونعمه يوقظ القلب وينبه الفكر كما فعل القرآن الكريم ، وهذه المرحلة مهمة في التعرف على نعم الله :

— ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ إبراهيم : ٣٤ . وعنوان هذه المرحلة : « **التذكر والتدبر والتفكر** » .

٣ — ثالث هذه المراحل : مرحلة التعرف على الإسلام بمعرفة تاريخ النساء الصالحات وأولياء الله البررة والأنبياء وقصصهم وحكايات القرآن عن النساء المؤمنات ، مرحلة السماع للمواعظ في المناسبات الدينية ، إهداء الأشرطة والكتب الخفيفة وغير المنفرة ، التعرف على بعض العبادات وذكر ما فيها من ثواب ، وما تؤدي إليه من حفظ الجسد والنفس ودوام الصحة والعافية والبعد عن الأمراض الخبيثة مثل الأيدز والأوجاع التي تجلبها المستهترات ، البعد عن الأمراض النفسية والعصبية بالإيمان والاطمئنان :

— ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ التغابن : ١١ .

بيان ما في الاستقامة من نفع للإنسان وللأسرة وللمجتمع :

— ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ النحل : ٩٧ .

المفاضلة بين الاستقامة والضياع والثواب والعقاب ورضاء الله وغضبه والستر في الدنيا والفلاح فيها والخسران والهلاك . وعنوان هذه المرحلة :

٤ ــ رابع هذه المراحل: التعرف على الرسول ﷺ وسيرته ودعوته وجهاده ومحاولة التعرف على القرآن الكريم وقراءته ومعرفة ما في قراءته من ثواب وأجر، وبيان ما يشتمل عليه من أمور الحياة عبادة وسلوكاً، بيان أن القرآن جاء من عند الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، بيان أن العبادة فرضت لإصلاح الإنسان والمجتمع، فهي الدواء لكثير من العلل.

بيان أن العبادة في الإسلام تشمل كل عمل صالح فهي لنفع البشرية ويقصد بها وجه الله سبحانه مجرداً من الاستغلال.

بيان أن المسلم وجد في الحياة الدنيا لهدف نبيل أكرمه الله تعالى به وهو تبليغ شرع الله والعمل به، وهذه مسؤولية كل مسلم تبدأ من الفرد المسلم والأسرة المسلمة والحكومة المسلمة، ليكون الدين كله لله.

بيان أن كل عمل المسلم لا بد أن يكون موافقاً لشرع الله، فلا يأكل إلا حلالا، ولا يكسب إلا حلالا، ولا يعمل إلا حلالا، وكل عادة وفدت تصادم شرع الله فهي ضلال.

وهذه المرحلة يستحسن أن يكون هناك فيها تغيير صحبة بصحبة حيث ينخلع المدعو من رفقته القديمة إلى رفقة صالحة تحيطه بدروس العلم وبالاهتمامات المعينة، وبالصفات الإسلامية. فـ « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ».

٥ ــ خامس هذه المراحل: أن يعلم المدعو أن الرسالة الإسلامية لا تنتشر إلا إذا كان هناك عمل، وأن الإسلام هو دين العمل وقد كلفنا الله سبحانه أن نعمل وندعو إلى دينه بقوله سبحانه:

ـ ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ يوسف : ١٠٨ .

وفي هذه المرحلة لا بد أن يتعلم المسلم حب العلماء وأهل المعرفة والدعاة إلى الله ، وأن يقرأ عنهم وعن سير الصحابة والتابعين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

٦ ـ سادساً : مرحلة التدريب على التبليغ والالتزام الصحيح بمنهج الإسلام والقول فيه بعلم وفهم وحجة وهذه مرحلة لا يصل إليها إلا بعد دربة ومران وعلم .

وينجح في الدعوة الفردية كل رجل مألوف حسن العشرة محبوب سهل لين خدوم وكل امرأة كذلك .

أبو بكر الداعية :

وكان أبو بكر رضي الله عنه على هذه الصفات مألوفاً لقومه محببا سهلا ، وكان أنسب قرشي لقريش وأعلم قرشي بما كان فيها من خير وشر وكان تاجراً ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه ويقصدونه في كثير من حوائجهم وأمورهم لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل أبو بكر يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه كثير من عظماء القوم وصلوا في الإسلام رءوساً ، منهم : عثمان بن عفان ، والزبير ابن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم فأخذهم إلى رسول الله ﷺ فآمنوا وقرأ عليهم الرسول القرآن وفقههم في دينهم وانضموا إلى كتيبة الإيمان .

وقد يتخطى رجال ونساء تلك المراحل ويدخلون في الإسلام ويعملون له إذا كانت الداعية ذات حجة ومنطق ودراية بدينها وبأحوال الناس .

حصين والد عمران :

نأخذ لذلك مثلا إسلام حصين والد عمران بن حصين : كانت قريش تعظمه فذهبوا إليه وقالوا له : كلم لنا هذا الرجل ، فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم — يعنون بذلك رسول الله ﷺ — فجاءوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي ﷺ فدخل على رسول الله فقال ﷺ: «أوسعوا للشيخ» وعمران ولده مسلم يجلس مع رسول الله ﷺ ، فقال حصين : ما هذا الذي بلغني عنك : إنك تشتم آلهتنا وتذكرهم وقد كان أبوك على دين قومه ، فقال ﷺ : « يا حصين كم تعبد من إله »؟ قال : سبعاً في الأرض وواحداً في السماء قال : « فإذا أصابك الضر فمن تدعو »؟ قال : الذي في السماء ، قال : « فإذا هلك المال فمن تدعو »؟ قال : الذي في السماء ، قال : « فيستجيب لك وحده وتشرك معه ، أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك »؟ قال : ولا واحد من هاتين ، قال : وعلمت أني لم أكلم مثله ، قال: « ياحصين أسلم تسلم» قال : إن لي قوماً وعشيرة فماذا أقول؟ قال : « قل : اللهم أستهديك لأرشد أمري وزدني علماً ينفعني » فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم ، فقام إليه عمران ولده فقبل رأسه ويديه ورجليه ، فلما رأى ذلك النبي ﷺ بكى وقال : « بكيت من صنيع عمران ، دخل حصين أبوه وهو كافر فلم يقم له ولم يلتفت ناحيته ، فلما أسلم قضى حقه فدخلني من ذلك الرقة » فلما أراد حصين أن يخرج قال ﷺ لأصحابه : « قوموا فشيعوه إلى منزله» فلما خرج من سدة الباب رأته قريش فقالوا : صبأ ، وتفرقوا عنه (١) .

جويرية بنت الحارث :

دخلت بيت النبوة مسبية مستضعفة ذليلة ترتجف قهراً وذعراً وما هي إلا

---

(١) حياة الصحابة ١/٩٨ عن الإصابة ١/٣٣٧ .

أيام حتى أصبحت في عداد سيدات بيت النبوة عليهن السلام وانتقلت من القاع إلى القمة وأبت أن تذهب مع أبيها واختارت الإسلام والجهاد في سبيل الله مع النبي ﷺ ورفاقه . لما بلغ الرسول ﷺ أن بني المصطلق يجمعون لحربه ذهب إليهم وانتصر عليهم وكانت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار زعيم بنى المصطلق من جملة الأسرى فأتت رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله : أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي ، فقال :-« أو خيراً من ذلك ، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك »؟ قالت : نعم ، ففعل ذلك فبلغ الناس أنه قد تزوجها ، فقالوا : أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في أيديهم من الأسرى من بني المصطلق فلقد أعتق الله بها مائة من أهل بيت بني المصطلق فما علم امرأة أعظم بركة منها على قومها ، وروي ابن منده بسند صحيح قال لما سبيت جويرية وتزوجها رسول الله ﷺ ، جاء أبوها فقال إن ابنتي لا يسبى مثلها فخل سبيلها ، فقال ﷺ : « أرأيت إن خيرتها أليس قد أحسنت »؟ قال : بلى فأتاها أبوها فذكر لها ذلك فقالت : اخترت الله ورسوله . « سنده صحيح » فكانت عابدة رضي الله عنها ، مر عليها الرسول ﷺ في مسجدها أول النهار ثم مر عليها قريباً من نصف النهار فقال : « ما زلت على ذلك » قالت: : نعم ، قال : « ألا أعلمك كلمات تقوليهن سبحان الله عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » (١) وروت عن رسول الله ﷺ وكانت من العباد والزهاد رضي الله عنها .

الدعوة في جماعة :

خطاب الجماعة يحتاج إلى قدرة ومواجهة كما يحتاج إلى درجة علمية

---

(١) مائة أوائل من النساء ص ١١٣ ، الإصابة ٢٥٩/٤ .

عالية وإلى دراسة أحوال الجماعة من ناحية المستوى ودرجة التقبل، ودرجة الانضباط كما يحتاج إلى أهداف واضحة، وإلى وضع طريقة تحقق هذه الأهداف.

١ ــ القدرة والمواجهة ــ الداعية التي تستطيع أن تتكلم إلى زميلة لها لا تقدر على الكلام مثلا في أهالي الحي مجتمعين إلا إذا كان عندها دربة على ذلك وكان عندها الجرأة اللازمة لذلك وكان عندها استعداد نفسي لهذا الأمر. ولا شك أنه يمكن التعود على ذلك، بالحديث إلى زميلة أو اثنتين أو ثلاثة ثم بعد ذلك يكثر العدد شيئاً فشيئاً أو الكلام في وسط جماعة تألفهم في بادئ الأمر، ويمكن الاستعانة كذلك بتحضير الكلام وحفظه إن أمكن، والتعود على إلقائه في المنزل قبل مواجهة الجماعة.

٢ ــ درجة علمية عالية ــ لا شك أن الحديث في جماعة يحتاج إلى درجة علمية عالية لأن مستوى الفرد الواحد المخاطب قد يكون محدوداً أما مستوى جملة من الأفراد فإنه قد لا يكون محدوداً، لأن ما ينتقص عند فرد يستكمل عند فرد آخر، فيكمل الجماعة بعضها بعضاً.

٣ ــ كما يحتاج إلى دراسة أحوال الجماعة ــ فالجماعة المثقفة تثقيفاً عالياً تخالف متوسطة الثقافة، والثقافات قد تختلف والتخصصات العلمية قد تتباين فحديث الإنسان في وسط المجتمعات المثقفة ثقافة دينية يخالف المثقفة ثقافة رياضية أو جغرافية، أو هندسية.

٤ ــ كما أن حديث الإنسان في وسط جماعات خالية الذهن يخالف حديث المعاندين والمعارضين، أو المحبين والخاضعين، فالاستعدادات مختلفة والاهتمامات متباينة فيجب أن يعد لكل موضوعه ومواقفه.

٥ ــ ووضوح الأهداف يكون مطلوباً في كثير من الأحيان خاصة في

لقاء الداعية بالجماعة وحديثه وسط الجمهور ، والحجة والانتقال من المسلَّمات إلى المجهولات أمر مطلوب ومرغوب فيه ورائد هذا رسول الله ﷺ في القرآن والسنة .

أما في القرآن فهو كثير جداً على لسان الأنبياء والمرسلين في حوارهم مع المعاندين ننظر إلى حوار إبراهيم عليه السلام مع النمروذ :

ـ ﴿ **ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ البقرة : ٢٥٨ .

وفي حواره مع قومه إذ قال :

ـ ﴿ **فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** ﴾ الأنعام : ٧٦ ـ ٧٩ .

ونرى رسول الله ﷺ يخاطب قومه في أول لقاء علني فينقلهم من المسلم به والمقر به من جهتهم إلى ما يريد أن يقروا به فيقول في خطبته ﷺ في قومه : « أيها الناس أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بهذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ » قالوا : نعم ما جربنا عليك كذباً ، قال : « إني رسول الله إليكم جميعاً » .

ينتقل القرآن من المسلم به إلى ما يراد إقراره وكذلك رسول الله

ﷺ ، وهو كما قلنا في القرآن كثير يعلم المسلم هذا :

ـ ﴿ **وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** ﴾. يس : ٧٩ ، ٨٣ .

٦ ـ كما يحتاج إلى سرعة بديهة وقوة ذاكرة ونضرب لذلك مثلا بامرأة تخاطب جمعاً ثم تسكتهم رغم اعتراضهم وعداوتهم ، وهي أروى بنت الحارث بن عبد المطلب .

تصور لنا مقابلة أروى بنت الحارث لمعاوية بن أبي سفيان الذي عرف ببطشه ودهائه وقوة سلطانه ، وهي امرأة عجوز ، جرأة وبلاغة نساء العرب ، وقدرتهن على مواجهة الملوك بقوة الحجة وفصاحة اللسان والبيان .

ويروى عنها أنها دخلت على معاوية بن أبي سفيان لحاجة لها وهي امرأة عجوز ، لكنها لم تدخل عليه دخول المستضعفين والأذلاء ، بل دخول المؤمنين الواثقين والقادرين على إحقاق الحق ووضعه في نصابه جهراً دون خوف ولا تردد ولا خشية من سلطان ، فلما رآها معاوية تدخل عليه قال لها : مرحباً بك يا عمة .

فقالت : كيف أنت يا ابن أخي . لقد كفرت بعدي بالنعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام . ولقد كفرتم بما جاء به محمد ﷺ فأتعس الله منكم الجدود وأصغر منكم الخدود حتى رد الله الحق إلى أهله ،

وكانت كلمة الله هي العليا ونبينا محمد ﷺ هو المنصور على من ناوأه ولو كره المشركون فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظاً ونصيباً وقدراً ، حتى قبض الله نبيه ﷺ مغفوراً ذنبه ، مرفوعاً درجته شريفاً عند الله مرضياً فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ، حيث يقول : ﴿ يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ﴾ ولم يجمع بعد رسول الله ﷺ لنا شمل ولم يسهل علينا وعر ، وغايتنا الجنة وغايتكم النار .

وحين وصلت إلى هذا القول لم يستطع الحاضرون أن يتحملوا كلماتها وهي تتساقط فوق وجوههم كالسياط الملتهبة .

فقال عمرو بن العاص : أيتها العجوز الضالة : أقصري من قولك وغضي من طرفك .

التفتت أروى نحو ابن العاص وألقت عليه نظرة ينبعث منها الشرار وقالت بحدة :

ومن أنت لا أم لك ؟

قال : عمرو بن العاص .

قالت : يا ابن اللخناء ... أتكلمني ، والله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ، ولا كريم منصبها ، ولقد ادعاك ستة من قريش كل منهم يزعم أنه أبوك ، ولقد رأيت أمك أيام منى بمكة مع كل عبد عاهر فأتم بهم فإنك بهم أشبه .

فصرخ بها مروان بن الحكم : أيتها العجوز الضالة ، ساخ بصرك مع ذهاب عقلك فلا تجوز شهادتك .

فالتفتت إليه وحدجته بنظرة صارمة وقالت : يا بني أتتكلم!؟ فوالله لأنت إلى سفيان بن الحارث بن كلدة ، أشبه منك بالحكم ، وإنك لشبهه في زرقة عينيك وحمرة شعرك .. فاسأل أمك عما ذكرت لك فإنها تخبرك بشأن أبيك إن صدقت .

ثم التفتت إلى معاوية وقالت : والله ما عرضني لهؤلاء غيرك ، وإن أمك هند هي التي قالت يوم قتل حمزة في أحد :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب يوم الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر أبي وعمي وأخي وصهري
شفيت وحشي غليل صدري شفيت نفسي وقضيت نذري

فأجبتها بقولي :

يا بنت رقاع عظيم الكفر خزيت في بدر وغير بدر
صبحك الله قبيل الفجر بالهاشميين الطوال الزهر
هتك وحشي حجاب الستر ما للبغايا بعدها من فخر

وهنا صرخ معاوية بمروان وعمرو قائلا : ويلكما أنتما عرضتماني لها وأسمعتماني ما أكره .

ولملم معاوية أعصابه وتوتره ، وقال لأروى بهدوء أعصاب ونفاذ صبر :

يا عمة اقصدي قصد حاجتك ودعي عنك أساطير النساء .

وفي رواية أن معاوية قال لها : عفا الله عما سلف ، يا خالة هات حاجتك .

فقالت : ما لي إليك حاجة .

ثم قامت وخرجت ، فالتفت معاوية لأصحابه وقال :

والله لو كلمها من في المجلس جميعاً لأجابت كل واحد بغير ما تجيب به

الآخر ، وإن نساء بني هاشم لأفصح من رجال غيرهم .

المبحث الثاني : تنوع الخطاب الجماعي :

يتنوع الخطاب الجماعي من الندوة إلى المحاضرة إلى المناظرة إلى المناقشة حسب المواقف والأحوال .

الندوة :

هي طائفة من الأحاديث والكلمات التي يعرضها أشخاص عديدون يمكن أن يكونوا اثنين أو ثلاثة أو أربعة ويديرها رئيس عن أطوار أو نواح أو زوايا متعددة لموضوع أو مشكلة واحدة .

الخطوات العملية للندوة :

١ ــ ينبغي العناية الخاصة باختيار موضوع « المشكلة » وأن يكون مهماً للجميع .

٢ ــ أن يفتت الموضوع ويعطى لكل متحدث الزاوية التي له فيها رأي أو التي يكلف ببحثها بحيث يكون لها مغزى وقابلة للمعالجة حسب الوقت المخصص له في حدود القدرات العلمية للشخص .

٣ ــ ينبغي تحديد وقت الكلمات لكل من في الندوة حتى لا يطغى عنصر على عنصر .

٤ ــ التحضير الجيد والاجتماع بمنظم الندوة وكامل الأعضاء للتنسيق قبل التحضير للموضوع ثم قبل الندوة مباشرة .

فمثلا يراد بحث موضوع « سفور المرأة » فإنه يقسم الموضوع من قبل القائمين على الندوة إلى نقاط : فكرة عامة عن السفور ومضاره ومخالفته لفطرتنا وديننا . أسباب المشكلة هل هي التقليد وعدم التربية الإسلامية

ومعرفة التعاليم . هل هو الفراغ من الغايات .. الخ ، العلاج هل هو الأوامر ، أو التوعية والتربية والمعرفة .. إلخ .

ثم بعد ذلك يجتمع الرئيس بأعضاء الندوة ليقسم عليهم هذه النقاط ويتفاهم معهم فيها وفي حدودها ووقتها الذي يستحسن أن لا يؤدي إلى إطالة وقت الندوة العام ، ثم قبل إقامة الندوة يجتمع معهم مرة أخرى، ليرى كيفية التحضير والاستعداد ولاستكمال التنسيق ثم تقام الندوة ويقدم لها الرئيس ثم يقدم الأعضاء حسب الترتيب المنطقي للموضوع مع مراعاة الوقت وقد يسمح ببعض الأسئلة إما من الأعضاء بعضهم لبعض أو من الجمهور في حدود معقولة .

المحاضرة :

وهي أن يلقي متحدث أو متحدثة ، متخصص في موضوع المحاضرة ، ذو أهلية محاضرة على جمهور من الناس الحاضرين لسماع تلك المحاضرة .

وهي أكثر الطرق شيوعاً واستعمالا في وسط الجماهير وأكثرها إعلاماً عن موضوع معين ، وإن كانت ليست أكثر الطرق إقناعاً أو تجنيداً لفكرة معينة .

مميزاتها :

١ ــ طريقة في غاية الرسمية والشكلية حيث لا تتيح طريقاً مفرداً من الاتصال فلا تسمح بقطع المحاضرة للاستفسار عن نقطة أو اعتراض أو إيضاح ، وطريقتها هي طريقة الإرسال والاستقبال .

٢ ــ تتيح أنواعاً من عرض الموضوع كاملا ومفصلا بدون تشتت من المقاطعات والاعتراضات .

٣ ــ طريقة سريعة جداً لنقل الإعلام لجماعة معينة .

٤ ــ طريقة لمنع الشغب في الحوار حيث يمكن أن يكون الضبط فيها

صارماً وسلطوياً .

٥ ــ تعتمد على المحاضر فإن كان جيداً كانت مفيدة وإن كان غير جيد كانت عديمة الفائدة .

ويمكن اختيارها للأمور الآتية :

١ ــ تزويد الجمهور بالمعلومات المتخصصة من لدن متخصص .

٢ ــ للإثارة نحو موضوع معين ، كالحث على الجهاد ، أو العلم ، أو التقدم أو للإيحاء وبث الإلهام في الجماعة بشيء ما .

٣ ــ لبحث أوجه معينة محدودة المشاكل .

٤ ــ لعرض المعلومات بطريقة رسمية ومباشرة ، كخطاب رؤساء الدول إلى الشعوب ، أو التوجيهات من الرئيس إلى المرؤوسين .

خطوات المحاضرة :

اختيار الموضوع الذي يواكب اهتمامات الجماهير ويساير تطلعاتهم مهم جداً واختيار المحاضر المرموق القادر على الإيضاح والجذب والإيصال لما يراد مهم جداً . كما يجب أن يلتفت إلى النقاط التالية :

١ ــ أن يقرر أعضاء الجماعة الموضوع والمشكلة التي ستعالج مع الاهتمام بحاجة الجماهير .

٢ ــ أن يتأكد من أن المحاضر ذو أهلية للتصدي للموضوع .

٣ ــ أن يتصل بالمحاضر المتحدث مقدماً قبل المحاضرة ، بوقت كاف ويخبره بموضوع الحديث والتوجهات فيه والمدة المحددة له ومدى حجم الجمهور وثقافته ونوعية تقبله للفكرة .

٤ ــ تعيين لجنة للنظام والتنسيق واختيار المكان الذي يريح الناس بحيث يتمكن الجميع من رؤية المحاضر ، وتحضر الوسائل السمعية والبصرية اللازمة لذلك .

٥ ــ يقدم المحاضر للجمهور بإيجاز مع تعريف به وبتخصصه ومكانته العلمية والاجتماعية .

ما يتعين على المحاضر عمله :

١ ــ ألا يقبل المحاضرة والحديث فيها إلا إذا كان ذا أهلية وجدارة للتصدي للموضوع وعنده الوقت الكافي لتحضير ذلك مع عدم الاعتذار عنه في وقت محرج .

٢ ــ ألا يحدث مشاكل بالنسبة لمن يقومون على الاحتفال ، وإن كان سيتسبب في مشاكل فليعتذر .

٣ ــ يحترم رغبات الرئيس والجماعة بعدم تجاوز الوقت المحدد .

٤ ــ أن يتوقع الأسئلة التي سترد على محاضرته ويعدها ويجاوب عنها باختصار وأن يحذر الوقوع في مشاكل ، وأن يتجنب الأسئلة التي تجره إلى عداوة لا طائل تحتها أو التي تفسد عليه محاضرته . وأن يكون فطناً في الإجابة حتى لا يحدث حرجاً في وسط الناس (١) .

من صواحبات اللسان والإقناع :

قتيلة بنت النضر بن الحارث :

كان أبوها كثير العداوة والأذى لرسول الله ﷺ وكان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله ، وكان يذهب إلى الحيرة عند الفرس ويأتي بقصص ملوك الفرس وأخبار قوادها مثل رستم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر فيه الله ورغب في الإسلام وحذر قومه ما أصاب الأمم قبلهم من نقمة الله . خلفه النضر بن الحارث في مجلسه ثم قال : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً من محمد فهلّم إليّ ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس

---

(١) انظر في ذلك : كتاب الدعوة إلى الله للمؤلف ص ٢٨٣ وما بعدها .

ورستم واسبنديار ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟ ثم ذهب إلى اليهود في المدينة قبل الهجرة يسألهم عن معضلات المسائل ليحاج بها رسول الله ﷺ ، وجلس مع أحبار اليهود وذكر لهم أمره ﷺ وطلب منهم العون على إحراجه . وقال لهم : أنتم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت له أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فهو رجل كذاب ، فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ المشارق والمغارب ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هي ؟ فجاء النضر بن الحارث إلى قريش فرحًا وقال : يا قريش قد جئتكم بفصل الخطاب ثم سألوا الرسول عن ذلك فأجابهم وحكى القرآن ذلك ، في سورة الكهف . فارجع إليها إن شئت .

ولكن النضر ظل على عناده وبغيه وعداوته وتآمره في الهجرة على قتل رسول الله ﷺ ثم جاء في واقعة بدر لحرب المسلمين والتحريض عليهم فأوقع الله به فقتله علي بن أبي طالب (١) .

وكانت بنته قتيلة صاحبة بيان ولسان وشاعرة محسنة فأرسلت إلى رسول الله ﷺ قصيدة دمعت فيها عينا الرسول ﷺ فقالت :

يا راكباً إن الأثيل مظلة ... من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليه وعبرة مسفوحة ... جادت بوابلها وأخرى تخنق
هل يسمعنِّي النضر إن ناديته ... بل كيف يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق
صبراً يقاد إلى المنية متعباً ... رَسْفَ المُقيد وهو عان موثق

---

(١) سيرة ابن هشام على الروض الأنف ٣ / ٣٨ ، وسيرة ابن كثير ٢ / ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، والطبري ٢ / ٣٥٩ ، وغزوة بدر الإصابة ٤ / ٣٧٨ .

أمحمـــد ولـــدتك خير نجيبـــة   في قومها والفحل فحل معـــرق
ما كان ضرك لو منـــــنت وربما   من الفتى وهو المغيـــظ المحنـــق
الـنضر أقـــرب من أسرت قرابـــة   وأحقهـــم إن كان عتـــق يعتـــق

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بكى حتى أخضلت الدموع لحيته وقال: « لو بلغني شعرها قبل أن يقتل لعفوت عنه » والتفت الرسول إلى أبي بكر وقال: « يا أبا بكر لو كنت سمعت شعرها ما أمرت بقتل أباها ».

فكيف كانت فصاحة هذه المرأة التي أثرت في رسول الله ﷺ رغم فعل أبيها وعناده وكفره « إن من البيان لسحراً ».

المبحث الثالث: طرق أخرى للإقناع والدعوة:

هناك طرق عدة غير هذه الطرق للإقناع والدعوة إلى الله تعالى، من هذه الطرق الجرائد والمجلات والكتب والرسائل والنشرات، والخطابات. وقد استعمل كل هذه الوسائل وأكثر فيها أعداء الإسلام، وأصحاب المذاهب الهدامة، واستغلوها استغلالا بشعاً في التنفير من القيم والأخلاق وأهلها وفي ذم المتمسكين بدينهم أو الداعين إليه، حتى رأينا زمناً كان يستحي الرجل والمرأة فيه الانتساب إلى الإسلام، فضلا عن الدفاع عنه أو الدعوة إليه أو تحمل الأذى في سبيله.

وكانت المكتبة الإسلامية خالية من كل حديث في الموضوعات الاجتماعية والخلقية والاقتصادية والسياسية حتى ظن الناس أن الإسلام في واد وهذه الأمور في واد آخر، وذلك بفعل الاستعمار وتلامذته وفعل أدوات الإعلام التي أسلمت مقاليدها إليهم في غفلة من المسلمين وصحوة للاستعمار وأعوانه وتخطيط من أعداء الإسلام وشياطين الإنس والجن

والمستفيدين من واقع المسلمين المر من العملاء والفساق .

ولم تلبث الأمور أن استبانت عند بعض الغيورين المسلمين ، فتحرك الإسلام العملاق في قلوبهم وعقولهم وظهر نوره فتفتحت العيون على نهضة وصحوة إسلامية عارمة فنهضت فتية وفتيات ومؤمنون ومؤمنات فدعوا إلى الله على بصيرة ففتح الله على أيديهم من ضياع ، وهدى بهم من ضلالة ، وأبصر بهم من عماية ، وشهدت الأمة فتحاً في كل شيء وعلماً في كل فن وتأليفاً في كل قضية ومسألة حتى امتلأت المكتبات بالكتب الإسلامية في كل شيء وزخرت دور العلم بالرسائل العلمية في كل موضوع وظهرت الأقلام الإسلامية في كل مشكلة .

وظهرت المجلات والصحافة الإسلامية في العصر الحديث ، منها :

مجلة الزهراء	كان يصدرها	: الأستاذ محب الدين الخطيب .
مجلة المنار	كان يصدرها	: الشيخ رشيد رضا .
مجلة الفتح	كان يصدرها	: السيد محب الدين الخطيب .
مجلة النذير	كان يصدرها	: الإخوان المسلمون .
مجلة الشهاب	كان يصدرها	: الشيخ حسن البنا .
مجلة منبر الشرق	كان يصدرها	: الشيخ علي الغاياتي .
مجلة لواء الإسلام	ويصدرها	: الأستاذ أحمد حمزة .
مجلة الدعوة	ويصدرها	: جماعة الإخوان المسلمين .

وتحركت الأقلام الإسلامية في كل مجال وقارعت المعاندين والمارقين الحجة بالحجة ونازلت الملحدين في كل ميدان .

مفاتيح الكتابة في الصحف والمجلات :

لا شك أن هذه الميادين تحتاج إلى سعة أفق وكثرة اطلاع وإلى دراسة تاريخ ومناهج المعاندين وإلى دراسة بخلفيات ومنابع المعارضين والمتحفزين .

كما تحتاج إلى حكمة ودُربة فليس كل معاند أو معارض عدوا أو عميلا ، فربما يكون جاهلاً والجاهل يُعلَّم ، وربما يكون صاحب رأي فيبصر ويؤتى له بالحجة وعلى كل فنحن أمرنا بالقول الحسن وعدم الإسفاف :

ــ ﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ النحل : ١٢٥ .

وإذا أردنا أن نفصل تلك المفاتيح فلتكن كما يلي :

١ ــ سعة الأفق فالصحف تكتب لكل الناس وتخاطب كل الجماهير وكل الاتجاهات وكل العقول وتخرج إلى بلاد كثيرة بلْ وتترجم إلى لغات مختلفة وينقل عنها ، فلا بد أن يكون الكاتب أكثر من معظم القرّاء ثقافة وعطاء ، وأكثر منهم أو على درجة كبيرة من الفهم والإجادة والإحاطة بحيث يواكب المعارف ويوجهها ويتحكم في مسارها ويكون مقنعاً .

٢ ــ كثرة الاطلاع على أحوال الأمم والشعوب وعلى الاتجاهات المعاصرة والحيل والمحاورات الدولية وغير الدولية قديمها وحديثها وعلى مناهج المعارضين .

٣ ــ دربة على الكتابة وحاسة اختيار وانتقاء لما يكتب وما لا يكتب وما يظهر اليوم وما يحتاج إليه غداً وما يجب إبرازه دفعة وما يظهر على فترات وما يلمح به وما يصرح .

٤ ــ حاسة إعلامية ، تعرف أساليب التضخيم والتهويل ، والمفاجآت وانتهاز الفرص لصالح الدعوة ، جس النبض ، الاستهلاك المحلي ، الاستهلاك الخارجي ، تحويل الأنظار ، مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، فهم الرأي العام وتوجيهه ، استخدام العوامل النفسية ، محاربة الشائعات ، إطلاقها .

هذه الأمور تحتاج حقيقة إلى دربة وتعلم حتى تبلغ الحركة الإسلامية

صحفياً وإعلامياً وتأثيرياً مبلغ غيرها وتتفوق عليها . ولنا في هذا مجال آخر سنفصل فيه ذلك إن شاء الله في كتاب آخر [1] . ولكن لا يمنع أن يتعود الإنسان الكتابة في موضوع معين ويجتهد أن يبلغ فيه مستوى معينا ثم يتدرب ويحاول ويعرض ذلك على المخلصين ويرسله إن بلغ درجة النشر إلى دور الصحافة غير هياب فإن في ذلك تعويداً للداعية على السير في الطريق ولكن لا يجلس أو يركن حتى يستكمل ما ينقصه ولا يعتريه الغرور فإن ذلك مهلك ومثبط له .

وبعض الناس كانت عندهم موهبة ولكنها لم تستغل بالدراسة فذهبت أدراج الرياح ، وبعضهم لم تكن عنده الموهبة والدراسة ولم يحاول أن يرتاح ويريح فأضحك الثكلى وجاء بالسخريات، وجاء بعكس المقصود فنفر الناس وكان عبئا على الدعوة الإسلامية وحملاً على كاهلها .

دور النساء في الصحافة والإعلام :

الصحافة والإعلام الصحفي مفتوح على مصراعيه للداعيات المسلمات لا يستطيع أحد أن يقول فيه إلا بالوجوب لأنه جهاد ليس فيه سلاح ولا شوكة وقد استغلت المرأة أسوأ استغلال في هذا العصر وحرضت على التمرد على الفضيلة ، ودربت على شق عصا الطاعة على كل ما هو شرف نفسي أو جسدي وامتهنت امتهاناً أصبحت فيه لعبة في يد القوى المخربة في كثير من البلدان واستغل شرفها وجسدها في الربح الحرام وصارت تقدم على الموائد كما تقدم المأكولات لكل من يدفع ، وامتلأت بها أسواق النخاسة وراجت بها تجارة الرقيق الأبيض في هذا العصر النكد . وأفهموها حقوقاً موهومة ، ولقنوها أفكاراً مدخولة فالمرأة وليس غير المرأة اليوم هي التي يجب أن تدافع عن شرفها وأن ترد عن كرامتها وأن تقود الهجمة المضادة ضد التدمير والابتزاز والاستعباد لنساء العالم اليوم ولبنات جنسها ، وليس هناك من هو أحق من

(١) كتاب الإعلام الإسلامي.

المرأة المسلمة وأولى من السيدة المؤمنة بالريادة والتقدم وأخذ زمام المبادرة في هذا الميدان والطريق أمامها اليوم ممهد بعون تلك النهضة الإسلامية والصحوة الإيمانية.

فما الذي يمنعها اليوم من أن يظهر قلمها وعلمها، وليس في ذلك اختلاط كما يتعلل المتعللون ولا كشف للعورات حتى يتأخر الكسالى أو المؤثرون للمتاع والزينة والشهوة. وقد كانت النساء في جميع العصور الإسلامية أصحاب أقلام وعلم وفقه وحجة بل كن أساتذة في كل فن وكان بعضهن شيوخاً لكثير من العلماء والفقهاء والبلغاء والفصحاء، منهن:

حفصة بنت سيرين:

سيدة جليلة من سيدات التابعيات، اشتهرت بالفقه وقراءة القرآن والحديث والعلم، قال إياس بن معاوية: ما أدركت أحداً أفضله على حفصة بنت سيرين فقيل له: حتى الحسن وابن سيرين، قال: أما أنا فلا أفضل عليها أحداً.

قرأت القرآن الكريم وهي ابنة اثنتي عشرة سنة وحفظته، وحفظته عن فهم وتفسير، وكان ابن سيرين إذا استشكل عليه شيء من القرآن قال: اذهبوا فاسألوا حفصة كيف تقرأ.

روت حفصة عن أخيها يحيى، وأنس بن مالك، وأم عطية الأنصارية والرباب أم الرائح وخلق كثير، وروى عنها محمد بن سيرين وقتادة وعاصم الأحول، وأيوب وخالد الحذاء وابن عون.

وقال فيها يحيى بن معين: ثقة حجة، وقال أحمد بن عبد الله: هي ثقة اتصفت بالورع في العبادة والدأب في العلم، فكانت تدخل مسجدها فتصلي فيه ما شاء الله ثم تقرأ العلم والفقه وكانت تقرأ نصف القرآن كل ليلة وكانت تصوم الدهر وتفطر العيدين وأيام التشريق.

وكان من أقوالها للشباب : يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني رأيت العمل في الشباب [1] .

هجينة بنت حيي الأوصابية الدمشقية :

فقيهة كبيرة وافرة العقل والذكاء وصاحبة علم وباع في المعرفة ، روت الكثير عن أبي الدرداء ، وسلمان الفارسي وفضالة بن عبيد وأبي هريرة وكعب بن عاصم الأشعري وعائشة أم المؤمنين وروى عنها جبير بن نفيل وسالم بن أبي الجعد ، وزيد بن أسلم ، وغيرهم كثير .

وروى لها مسلم وأبو داود وابن ماجه ، وكان يطلق عليها أم الدرداء الصغرى ونرى من فكرها أنها بلغت من الفهم والنضوج وسعة الأفق في مرامي الإسلام الشيء الكثير .

قال عون بن عبد الله : كنا نجلس إلى أم الدرداء فنذكر الله عندها ونعلم العلم فقالوا : لعلنا قد أمللناك ؟ قالت : تزعمون أنكم أمللتموني . فقد طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئاً أشفى لصدري ، ولا أحرى من أن أصيب به الذي أريد من مجالس الذكر والعلم ، قالت : إن أفضل العلم المعرفة وقالت : تعلموا الحكمة صغاراً تعملوا بها كباراً ، وإن كل زارع حاصد ما زرع من خير أو شر .

وقالت : ما بال أحدكم يقول : اللهم ارزقني وقد علم أن الله لا يمطر عليه من السماء ديناراً ولا درهماً ، وإنما يرزق الله بعضهم من بعض ، فمن أعطى شيئاً فليتقبله فإن كان غنياً فليضعه في ذي الحاجة من إخوانه وإن كان فقيراً فليستعن به على حاجته ولا يرد على الله رزقه الذي رزقه ، وقال رجل لها : إني أجد في قلبي داء لا أجد له دواء ، أجد قسوة شديدة ، وأملا بعيداً : قالت :

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٤ / ٢٤ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ، فتح القادر المعين للعراقي مخطوط ، أعلام النساء ١ / ٢٧٢ .

اطلع في القبور واشهد الموتى ، وقالت : إنما الوجل في قلب ابن آدم كاحتراق السعفة أما يجد لها قشعريرة .

وكانت عند عبد الملك بن مروان فسمعته يلعن خادماً له : فلما دخل عليها قالت : سمعتك لعنت خادماً قال : إنه أبطأ علي قالت : سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ : « لا يكون اللعانون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة » .

شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الدينورية :

عالمة فاضلة وكاتبة مجيدة ذات باع طويل في العلم والأدب وصاحبة بر وصلاح وإحسان كانت تسمى « فخر النساء » .

سمعت من أكابر علماء عصرها أمثال أبي الخطاب نصر بن أحمد بن عبد الله وأبي عبد الله الحسين بن أحمد النعالي ، وفخر الإسلام أبي بكر محمد بن أحمد الشاش وغيرهم .

– وروت وسمعت من الحسين بن أحمد بن طلحة النعالي أمالي الحسين بن إسماعيل والجزء الثالث من كتاب الديباج لإسحاق بن إبراهيم ، وروت وسمعت مئات من الكتب والأحاديث وكانت مرجعاً للعلماء والباحثين [(١)] .

كثير هن النساء النابهات اللائى كان لهن باع طويلة فى الكتابة والعلم والأدب والتربية والوعظ والإرشاد ، منهن : عائشة بنت الحسين بن إبراهيم وزينب بنت أبي البركات البغدادية ، وعائشة بنت محمد بن علي ، وياسمينة السيراوندية .

أسسن وساهمن في نهضة عظيمة وحضارة سامية سامقة طوقت المشارق والمغارب وأنارت العالم بنور العلم والمعرفة والهداية .

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ، تاريخ ابن خلكان ، تاريخ ابن الأثير ، أعلام النساء .

الصحافة النسائية في العصر الحديث :

رغم أن العصر الحديث كان مليئاً بالمتناقضات وكان مشبعاً بغبار الغزاة وملبداً بظلمات القهر والظلم وبلشفة العقول وغزو الأفكار إلا أنه ظهرت فيه صحافة كانت أحياناً تختلس بعض الصفحات أو بعض السطور لتوقظ النائمين وظهرت هنا وهناك بعض الأقلام التي تحاول أن تهز الكيان المخدر ، والجسد الهامد حتى يتحرك ، ولكن في كثير من الأحيان إلى الهاوية ، بفعل السيطرة على معظم تلك الصحف والمجلات ، وظهرت في خضم هذا المعترك صحافة نسائية وكاتبات وأديبات ومثقفات جنحن كلهن في بادئ الأمر إلى الثقافة الغربية وكن من الأسباب القوية الداعية إلى التلبيس على المرأة وجرها إلى الأسوأ فكانت كالمستجيرة من الرمضاء بالنار .

الصحافة النسائية الإسلامية :

كانت معظم الصحف المصرية في النصف الأول من القرن العشرين يسيطر عليها الموالون للاستعمار « فالأهرام والمقطم والمقتطف والهلال » كان يسيطر عليها « سليم وبشارة تقلا ، وفارس نمر ، ويعقوب صروف ، وجورجي زيدان » وكلهم من المسيحيين المتعاونين مع الاستعمار ، فتحت صحفهم النار على المسلمين والأفكار الإسلامية ، وتبنت الأفكار الوافدة وكانت لساناً حاداً على كل من دعا إلى الإصلاح أو الاعتدال وكان كتاب هذه الصحف يعمدون إلى إثارة الجماهير والمشاعر بترجمة القصص الماجنة ، وكتابة الفصول اللاذعة في مهاجمة الأخلاق الإسلامية وتحوير معالم التاريخ الإسلامي على نحو يصور تلك العصور على أنها عصور تحلل ومجون ، وساعدتهم على ذلك سلطة تملك ذهب المعز وسيفه فكان من المستحيل في مثل هذه الأجواء أن توجد صحافة إسلامية عامة فضلا عن صحافة نسائية إسلامية .

ولما وجد بعض المخلصين هذا التخطيط وهذه الموجة العارمة لجأوا إلى

الأمة كأفراد ولبنات ، ثم إلى تكوين جماعة تحمل لواء رد هذه الهجمة عن الإسلام [1] وقوي عود تلك الجماعة ، واستطاعت أن تكون رأياً عاماً إسلامياً ، فمن هنا ظهرت الصحافة الإسلامية الصحيحة وبرزت في جنباتها الصحافة النسائية والرسائل النسائية التوجيهية الأصيلة :

زينب الغزالي :

قامت السيدة زينب الغزالي بتأسيس جمعية السيدات المسلمات سنة ١٣٥٧هـ ـــ ١٩٣٦ م . وحددت أهدافها في الدعوة إلى الإسلام وتجنيد الرجال والنساء شباباً وشيباً لاعتناق رسالته وإقامة دولته الحاكمة بما أنزل الله .

ثم أصدرت مجلة السيدات المسلمات وكانت هي صاحبة امتيازها ورئيسة تحريرها . وظلت قائمة إلى أن أصدر النظام أمراً عسكرياً بوقف المجلة لأجل غير مسمى .

---

(١) ظهرت قبل هذا الوقت مجلات إسلامية متقطعة كان يقضى عليها سريعاً وكانت تهاجر إلى الخارج إلى أن كانت الصحوة الإسلامية فكانت هناك صحف يومية إسلامية ومجلات ورسائل إنسانية إسلامية منها : مجلة أسماء التي تصدر من الأردن ، ومجلة عفاف التي تصدر من بيروت بلبنان .

الباب الثالث

الإقناع بالقدوة ، ومواهب النســـــاء ، ودروس ونصـــائح للداعيـــات

الفصل الأول

الإقناع بالقدوة

إن صلاح الداعية المؤمن أو المؤمنة هو أبلغ دعـوة يوجهها إلى الناس ليحتذوا حذوه ويسيروا على منواله ، وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب .

ومن ثم فالداعية الموفق الناجح هو الذي يدعو إلى منهجه بعلمه وسلوكه ، وإن لم ينطق بكلمة ، لأنه مثل حي ووسيلة إيضاح ، تبين عن صحة دعوته ، وسلامة قصده وقد كان لسيرة الرسل والدعاة المخلصين أبدع الأثر في جمع الناس على دعوتهم ، قال تعالى :

ـ ﴿ **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ آل عمران : ١٦٩ .

وشكا الناس في القديم والحديث من دعاة يحسنون القول ويسيئون العمل والفعل .

والواقع أن شكوى الناس من هؤلاء يجب أن تسبقها شكوى الأديان والدعوات والمذاهب من هذا الصنف . لأنهم في الحقيقة هم حجبة الهدى والنور على الناس ، إن أوصاف المسلمين الفاتحين الأول وأعمالهم وإيمانهم كانت العامل الأساسي في دخول الناس في الإسلام ، حيث نجد أن الجماهير رمقت أصحاب العقيدة الظافرة بشيء من الدهشة ورأت فيهم نماذج بارعة للعدل والرحمة والخلق فما لبثوا أن تابعوهم وصدقوهم وآخوهم وآزروهم وناصروهم .

صفات الداعيات :

للدعاة إلى الله تبارك وتعالى صفات تميزهم عن غيرهم من الناس لأنهم من جملة المنهج والداعين إليه يتلون المنهج بلونهم ، ويأخذ صبغتهم فلا بد أن يكونوا مثلاً كريماً له وعناوين صادقة عليه . وصفات الداعيات هي صفات المؤمنين والمؤمنات ، وهي صفات الطاهرين والطاهرات ، نجدها إجمالا في قوله تعالى :

ـ ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾ الأحزاب : ٣٥ .

ونجدها في قوله تعالى :

ـ ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾ المؤمنون : ١ ـ ١١ .

ونجدها في قوله تعالى :

ـ ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾ الآيات إلى آخر السورة .

الفرقان : ٦٣ ـ ٧٥ .

وعلى التفصيل نذكر منها :

١ ـ الاحتساب والتوجه إلى جلائل الأعمال :

ونأخذ ذلك من قوله تعالى لأزواج الرسول ﷺ

ـ ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ .

وهاتان الآيتان كانتا تعقيباً على موقف زوجات الرسول ﷺ من النفقة . إذ اختار الرسول ﷺ لنفسه أن يعيش كصاحب دعوة لا كملك ولا كرئيس قبيلة ينفق ما يشاء ويفعل ما يريد ويثري من حوله ، وإنما يعيش ﷺ وأهل بيته كما يعيش الناس وأقل فهو مثلهم وأكثرهم حملا .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ، ولا شاة ولا بعيراً ، ولا أوصى بشيء .

وعن ابن عباس قال : مات رسول الله ﷺ وما ترك ديناراً ولا درهماً ، ولا عبيداً ولا وليدة ، وترك درعه رهناً عند يهودي بثلاثين صاعاً من طعام .

وزوجة المجاهد مجاهدة ، وزوجة الداعي داعية لها مثل الصفات ولها مثل الأفعال والأحوال التي يجب أن يكون عليها الداعية فما بالنا إذا تصدرت هي إلى الأمر وكانت دالة على تعاليمه داعية إليه .

ولهذا فقه أزواج الرسول ﷺ الدرس ، وقالت عائشة حينما خيَّرها القرآن وطلب منها الرسول أن تستأمر أبويها وتستشيرهما : أفيك أستأمر أبي ؟ بل أختار الله تعالى ورسوله ، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت ، فقال ﷺ : « إن الله تعالى لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً ميسراً لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها » ولقد اخترن كلهن الله ورسوله ولم تختر واحدة منهن الدنيا ، وكن على مستوى المسئولية الإيمانية والقيادية :

٢ ـ الطهارة وكمال الخُلق :

ونأخذ هذا من قول القرآن الكريم لأزواج رسول الله ﷺ :

ـ ﴿ **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيراً** ﴾ الأحزاب : ٣٢ ، ٣٣ .

نعم ، نساء النبي الداعيات حاملات الخير إلى المسلمات لسن كأحد من النساء فالداعية مَثَل ، والمَثَل دائماً نور يضيء الدرب وهداية ترشد إلى الطريق والقلوب المريضة تتربص بالطاهرات وتبغى للبرآء العيب حتى تتعلل لفسقها وضلالها ، فلا بد أن يكون القول محسوباً بقانون ، واللفتة بقانون والنبرة بقانون ، إنها تبعة الصدارة لتعليم الخير وتبعة القيادة المؤمنة وهي تخالف الصدارة السياسية أو الرياسية في أي نظام فإنها لا تخضع في الأمم اللاهية لقانون إلا قانون الشهوة والرفاهية والترفع ، أما في القانون الإسلامي فسقطتها ليست عادية وإنما هي مضاعفة وقد بين ذلك القرآن في قوله :

ـ ﴿ **يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً** ﴾ الأحزاب : ٣٠ ، ٣١ .

وذلك هو الحق الصارم الحاسم الذي يقوم عليه هذا الدين وتقوم عليه العدالة والذي يقرره ويبينه رسول الله ﷺ ، إن التقوى هي ملاك الأمر والعمل الصالح هو العاصم من المحاسبة ، فليست المسألة مجرد رياسة أو صدارة أو قرابة وإنما هو منهج واستقامة وجهاد ، يقول ﷺ لفاطمة : « يا

فاطمة بنت محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ما شئتم » أخرجه مسلم . وقد ضرب الله للمتسيبات مثلا في القرآن الكريم فقال سبحانه :

ـ ﴿ **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ التحريم : ١٠ .

٣ ـ الإخلاص :

لابد للداعية من الإخلاص ، إخلاص النفس والهدف والقلب تجد ذلك في قول الحق سبحانه

ـ ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت** ﴾ الأنعام : ١٦٢ .

ونجده في قوله تعالى :

ـ ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾ التوبة : ٢٤ .

والإمام ابن القيم يجعل اجتماع الإخلاص وحب الثناء والمدح من المستحيل ويشبهه باجتماع الماء والنار فيقول : « لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة الثناء والطمع فيما عند الناس ، إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت » .

إخلاص أم سلمة واحتسابها :

قالت أم سلمة الصابرة المهاجرة لأبي سلمة : بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة ،

وكذا إذا ماتت امرأة وبقي الرجل بعدها ، فقال أعاهدك أن لا أتزوج بعدك أبداً ولا تتزوجين بعدي قال : أتطيعينني قالت : ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك قال : فإذا مت فتزوجي ، ثم قال : اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلا خيراً مني ، لا يخزيها ولا يؤذيها . قالت : فلما مات قلت : من هذا الذي هو خير من أبي سلمة فلبثت ما لبثت ، ثم تزوجني رسول الله ﷺ ، حبا في الله لا لغرض أو مصلحة فإذا بكل يدعو للآخر وإذا الجزاء على الإخلاص في الدنيا قبل الآخرة .

أم الدرداء تخطب أبا الدرداء :

كانت من فضليات النساء وعقلائهن وذوات الرأي فيهن مع العبادة والنسك روي عنها أنها قالت لأبي الدرداء زوجها : أنت خطبتني إلى أبوي في الدنيا فأنكحوني ، وأنا أخطبك إلى نفسك في الآخرة فمات أبو الدرداء فما نكحت بعده فخطبها معاوية فأخبرته بالذي كان فقال لها : عليك بالصيام .

سعاد تبايع لما في بطنها :

سعاد بنت سلمة بن زهير كانت كلها إخلاصا وإيماناً وحبا لله ورسوله ودينه من المبايعات لرسول الله ﷺ وهي التي سألت النبي ﷺ أن يبايعها لما في بطنها وكانت حاملا ، فقال لها النبي ﷺ مادحاً : « أنت من الحرائر » (١) .

رحم الله المخلصات الوفيات الصالحات القانتات المؤمنات اللائى ما طمعن في الدنيا إلا للعمل الصالح وعِشْنَ الآخرة كأنها رؤية عين بل عِشْنَ الآخرة وهنّ في الدنيا .

(١) انظر في ذلك الإصابة على التوالى ٤ / ٢٨٨ ، ٣٢٠ ، ٤٠٨ .

٤ ــ الصبر :

الداعية الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا بد أن يواجه عقبات لأنه سينازل الباطل ويحاده والعقبات سنة من سنن الدعوات .. كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض :

ــ ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولون آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ العنكبوت : ٢ .

عرف ذلك الرسل والدعاة والمصلحون ، وكل من يوطن نفسه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا خلاص ولا قوة للداعية إلا بالتوكل على الله ثم بالصبر والعمل نسمع ذلك على لسان لقمان الحكيم في القرآن الكريم :

ــ ﴿ **يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ لقمان : ١٧ .

وهذه سنة الدعوات :

ــ ﴿ **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** ﴾ الأنعام : ٣٤ ، ٣٥ .

الصبر والإيمان وسنن الله في الأشياء تمشي على قدر وبتدبير وقانون ، فالداعية لا يتصور أن يقابله الناس بالحب والترحاب والشكر والتقدير أو يزرع له الباطل حقول الورد ووديان الرياحين وإنما هو الجلاد والكفاح والعرق والدماء ، والصبر على جهل الجاهلين وعسف المفسدين ونوم الكسالى والتابعين .

وقد أمر الله رسوله بالصبر فقال سبحانه :

ـ ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ﴾ الأحقاف : ٣٥ .

ـ ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا ﴾ المزمل : ١٠ .

وقال عمير بن حبيب في وصيته لابنيه : « إذا أراد أحدكم أن يأمر بمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه قبل ذلك على الأذى وليوقن بالثواب فإنه من يوقن بالثواب من الله تعالى لا يجد مس الأذى » .

نعم ، فقد صبرت سمية أم عمار على العذاب في الإسلام حتى ماتت في سبيل الله ، وصبر بلال وكان يجر في الرمضاء وهو يقول : أحد أحد .

وصبرت امرأة فرعون ، التي ضرب الله بها مثلا في الكفاح للمؤمنين والمؤمنات :

ـ ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ التحريم : ١١ .

وها هي ذي امرأة فرعون ، لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه في قصر فرعون عن طلب النجاة وهي وحيدة ، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبةً إلى ربها بيتاً في الجنة ، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه ، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به :

ـ ﴿ ونجني من فرعون وعمله ﴾ .

وتبرأت من قوم فرعون :

ـ ﴿ ونجني من القوم الظالمين ﴾ .

ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى

صوره ، فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهي ، ولكنها استعلت على هذا بالإيمان ولم تعرض عن هذا العرض فحسب ، بل اعتبرته شراً ودنساً وبلاء تستعيذ بالله منه وتتفلت من عقابيله وتطلب النجاة منه !

والمرأة أشد شعوراً حين يصحو ضميرها بوطأة المجتمع وتصوراته ولكن هذه المرأة وحدها في وسط ضغط المجتمع وضغط القصر وضغط الملك وضغط الحاشية ، والمقام الملوكي في وسط هذا كله رفعت رأسها إلى السماء وحدها في خضم هذا الكفر الطاغي.[1]

وهي نموذج عال في التجرد من كل هذه المؤثرات وكل هذه الأواصر. وكل هذه المعوقات ، وكل هذه الهواتف ، ومن ثم كان صبرها عظيماً حقاً على الحرمان من كل ذلك وعلى العذاب الذي لا قته من أصحاب الجاه والسلطان ومن القائمين على الباطل . فاستحقت أن تكون مثلا للمؤمنين .

---

(١) انظر في ذلك : في ظلال القرآن في الآية الكريمة ص ٣٦٢١ .

الفصل الثاني

مواهب النساء وآثار تلك المواهب

لا شك أن في النساء مواهب مثل الرجال بل فيهن مواهب في نواح معينة يفتقر إليها الرجال ، والمجتمع الناهض هو الذي يستطيع أن ينمي تلك المواهب ويطلق تلك الطاقات ويوجهها إلى الخير بدلا من توجيهها إلى الشر والتدمير فالمرأة التي يمكن أن تكون حبالة من حبالات الشيطان لا يمكن كذلك أن تكون قرة عين وسكينة قلب وصدق الله :

ـ ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾ الفرقان : ٧٤ .

ـ ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ الروم : ٢١ .

فالمرأة التى هى الآن تدمر الحضارات بالجنس والضياع والغواية إلا من عصم ربك هى التى تستطيع أن تربى النشء وتسعد الأسرة وتكون ريحانة المجتمع الصالح فعند المرأة موهبة العاطفة ، والتأثر ، موهبة الرحمة والجمال النفسي والجسدي وقد رزقها الله من الأشياء ما يجعلها بها تؤثر على الرجل وتطوع رجولته وسطوته فإذا زودت هذه المواهب بالعلم والثقافة والدربة كانت خطراً كبيراً في الشر ، وكانت فتحاً عظيماً في الخير : ومن هؤلاء اللائي كن خطراً عظيماً على الأمة وباباً من أبواب الشر :

قرة العين :

امرأة كانت تسمى أم سلمى هانم بنت صالح القزويني ، من بيت فضل وعلم وفتوى وإمامة ، فكان أبوها الحاج الملا صالح القزويني من أجل فقهاء عصره ، وعمها الملا محمد تقي كان يلقب بالشهيد الثالث من أكبر مجتهدي الشيعة ومن أعلم علماء زمانه في الفقه والأصول والإلهيات . اهتم والدها وعمها بأمرها فلقنوها العلوم والآداب ولما بلغت سن الرشد زفوها لملا محمد إمام الجمعة وهو الابن الأرشد لعمها .

اتفقت كلمة أصحابها وأعدائها والحياديين على أن قرة العين كانت نابغة زمانها في بلاد فارس في العلم والفضل والأدب والفصاحة والمنطق والبلاغة ، فقد قال محمد فاضل وهو من مفكري طريقتها : كانت قرة العين شاعرة نائرة خطيبة محدثة بصيرة بالكلام حافظة للقرآن عالمة بالتفسير والتأويل عارفة بأسرار التنزيل حتى كانت خليقة بأن تضرب إليها جنوب الجياد وكانت فتاة فتانة مصابة بالسوداء ذات حسن باهر وجمال ساحر ، وكانت تناظر العلماء والفقهاء مكشوفة الوجه ، انحرفت عن الجادة ومالت عن الحق ودعت إلى ملة البابية ـــ ديانة جديدة ظهرت في إيران ـــ وكان زعيمها السيد علي محمد الشيرازي ، وهو تاجر إيراني ولد عام ١٢٣٦هـ ١٨٢١ م حاول أن يفسر القرآن حسب هواه ، فلفت ذلك إليه الأنظار ونادى إلى ملة جديدة وأعلن أصول مذهبه وأطلق على نفسه لقب « الباب » مشيراً بذلك إلى أنه الباب الوحيد الذي يدخل منه الطالب ليصل إلى حضرة الخالق عز وجل . ثم ادعى بعد ذلك أنه نبي مرسل ، حكمت عليه الحكومة الإيرانية بالإعدام وتم ذلك في عام ١٨٥٠ م ١٢٦٦هـ ، تبعت قرة العين الباب ودعت إلى ملته ونادت بملاقاة العلماء ومنازلتهم حتى تقنعهم برسالة الباب ، وخرجت عن طوع أبيها وعمها وأهلها ، رحلت إلى القرى

والمدن تدعو إلى ملتها الجديدة وكانت خطيبة بارعة ومحدثة لبقة وكانت جميلة رشيقة ، فاشترك كل ذلك في الدعوة إلى ملتها فمن لم تأسره البراعة والحجة أسره الجمال والرشاقة والحسن فتبعها خلق كثير ، فاعترض أبوها وعمها على فعلها فحرضت عليهما وقتل الناس عمها ومثلوا بجثته وهو قائم يصلي بالناس ، واجتمعت بأحبار اليهود واستحسنوا قولها وشجعوها .

إلغاء الشريعة :

عقد عظماء أصحاب الباب سنة ١٢٦٤هـ مؤتمراً كبيراً في بدشت دارت فيه أبحاث ومناظرات استقرت على وجوب نسخ شريعة الباب لكل الشرائع السابقة بما فيهم شريعة الإسلام وأن الباب سيأتي بشرع جديد يحل محل هذه الشرائع فإلى أن يأتي الشرع الجديد فالناس في حل من كل شيء وكانت زعيمة هذا الرأي هي قرة العين وعلى إثر ذلك بعثت منادياً ينادي في الناس ليجتمعوا في المسجد لإعلان ذلك ، وإعلان أن الإمام المنتظر قد ظهر من قبله من ينذر ويبشر الناس .

وظهرت قرة العين من خدرها من دون برقع ولا نقاب فعلت المنبر وجلست عليه هنيهة ثم قامت خطيبة فقالت :

(اسمعوا أيها الأحباب والأغيار (١) ، واعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا بعد وإن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل لا يعمل بها الآن إلا كل غافل وجاهل ؛ إن مولانا سيفتح البلاد ويسخر العباد وستخضع له الأقاليم السبع المسكونة ، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة حتى لا يبقى إلا دين واحد ، وذلك الدين هو دينه الجديد وشرعه الحديث الذي لم يصل إلينا

(١) في عرف البابية : الأحباب تطلق على المؤمن ، والأغيار تطلق على الكافر .

إلى الآن إلا النذر اليسير ، فبناء على ذلك أقول لكم وقولي هو الحق ، لا أمر اليوم ولا تكليف ، ولا نهي ولا تعنيف ، وإنا نحن الآن في زمن الفترة ، فاخرجوا من الوحدة إلى الكثرة ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم ، بأن تشاركوهن بالأعمال وتقاسموهن بالأفعال ، واصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة ، فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا وأن الزهرة لا بد من قطفها وشمها ، لأنها خلقت للضم والشم ، ولا ينبغي أن يعد ولا يحد شاموها بالكيف والكم ، فالزهرة تجنى وتقطف وللأحباب تهدى وتتحف ، وأما ادخار المال عند أحدكم وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال ، فهو أصل كل وزر وأساس كل وبال لأنه لم يخلق لنفس واحدة تتلذذ به من حيث يتحسر المحروم بل هو حق مشاع غير مقسوم جعل للاشتراك بين الناس وللتداول دون احتكار ولا اختصاص ، فليشارك بعضكم بعضاً بالأموال ليرفع عنكم الفقر ويزول الوبال ، ساووا فقيركم بغنيكم ، ولا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم إذ لا ردع الآن ولا منع ولا تكليف ولا حد فخذوا حظكم من هذه الحياة فلا شيء بعد الممات) . فأحدث هذا الهراء فوضى في الناس ، حيث هدمت كل قيمة وكل دستور إنساني أو مادي في المجتمع . فأباحت النساء وأباحت الأموال لكل إنسان فلا عرض ولا مال ، ثم هدمت الآخرة فلا آخرة ولا شيء بعد الممات فدب الفساد وضج المسلمون وأخذوا ينفضون من حولها ويتفرقون ، وأما المذعنون لها والراغبون فيها ، فتعلقوا بأذيالها وصاروا يقبلون مواطئ قدميها و وقع في الناس من الهرج والمرج ما لا يعرف مداه إلا الله .

ثم سافرت مع رجل من دهاة البابية اسمه محمد علي في هودج واحد وسار خلفها المريدون إلى مازندران يقود زمام جملهما سائس فارسي يغني بالفارسية ويقول : ما أحلى هذا الزمان وما أسعده فإنه زمان الشمسين واقتران القمرين ، إلى أن دخلوا أراضي « مازندران » وحطوا في قرية حولها

الرجال ثم دخلت هي ومحمد على المذكور حماماً واحداً للاستحمام ابتغاء الراحة من وعثاء السفر، فسمع بفعلهم أهل القرية وبما هم عليه من فجور فتجمعوا وتسلحوا وهجموا عليهم وأخرجوهم من البلدة إلى البراري عراة حفاة، وهامت قرة العين على وجهها تدعو إلى دينها حتى قبض عليها وسحبت من شعرها حتى أحضرت إلى محكمة فحكم عليها بالإعدام وإحراق جثتها ونفذ فيها ذلك (١).

استغلال المواهب:

لا شك أن بعض النساء عندهن مواهب وعدم استغلال هذه المواهب في الخير قد يفتح باب شر عظيم حيث تستغل في الشر وتوجه للتدمير تحت أي وجهة وبأساليب مختلفة، فما النساء اللائي ظهرن في القرن الحاضر واستغلهن المستعمر إلا أصحاب مواهب ومن المؤكد أن المسلمين أو العمل الإسلامي والدعوة الإسلامية لم تستطع أن تستغل تلك المواهب، فهدى شعراوي وملك حفني وسهير القلماوي، وأمينة السعيد وبنت الشاطئ وغيرهن كن أصحاب مواهب وبعضهن اقترب من الإسلام وبعضهن كن غربيات لحماً ودماً، لأن العمل الإسلامي قد غفل عن هذه المواهب وقد يكون متورطاً في حربها ومنازلتها — ونحن لا نبحث الأسباب الآن — ولكننا نقول إنهن أبناء الإسلام وبناته فكيف يتركن حتى يرضعن ألباناً أخرى ويصرن أطفالا غير شرعيين لنحل وأفكار وافدة.

هل استغل الإسلام مواهب المرأة؟

نعم، قد استغل الإسلام مواهب المرأة وطاقاتها الخيرة ولم يذمها أو يحقرها بشرط أن تكون توجيهات إيمانية نابعة عن تقوى وإصلاح وحب

---

(١) راجع في ذلك: الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البهائية والبابية لمحب الدين الخطيب، والقاموس الإسلامي أحمد عطية الله ١ / ٢٣٥، وأعلام النساء ٤ / ١٩٢.

لعمل الخير وتأييد للرسالة والتعاليم، لا قصد الظهور والفساد واتباع أفكار باطلة، أو تكون لعبة ودمية في أيد خبيثة.

نرى القرآن يحكي عن بلقيس ملكة سبأ حكمتها وهديها وقيادتها الحكيمة لقومها ورأيها الصائب الذي خلدها في التاريخ.

وكان لها مع سليمان عليه السلام شأن حكاه القرآن الكريم ولم يذمها بل تكلم عن حكمتها وعن صلاحها ثم أسلمت بعد ذلك وكانت سبباً في إسلام قومها. فقالت لهم: معاشر حمير، أنتم تلاد الله اصطفاكم من أول الدهور وفضلكم بأفضل الأمور وقد ابتلاكم بهذا النبي سليمان بن داود فإن آمنتم وشكرتم زادكم الله نعمة وإن كفرتم سلبكم النعم وسلط عليكم النقم، فقالوا: الأمر إليك وعلموا أنها شفيقة عليهم ناصحة لهم، فخرجت إلى سليمان في مائة ألف واثني عشر ألفاً وبركت جميع أجنادها بغمدان وبمأرب، فآمنت به ودخل قومها في دين سليمان أفواجاً أفواجاً، والقصة مذكورة في سورة النمل.

ثم تكلم القرآن عن امرأة عمران وعن شخصيتها التي وهبت الخير العميم لقومها وكانت تقية بارة:

ـ **﴿ إذ قالت امرأة عمران رب إني أنذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴾**. آل عمران: ٣٥.

وتكلم عن مريم وعن طهرها وعفتها وإكرام الله لها وخدمتها للبيت وتحملها المشاق في مواجهة قومها بوليدها الذي أراد الله أن يكون آية من آيات قدرته.

وتكلم عن امرأة فرعون التي وقفت ضده وعارضته على سطوته ودعت إلى الله في وسط الطغيان ولم تلتفت إلى الوعد والوعيد ولا إلى العذاب

والتنكيل وكانت نعم الصابرة التقية الصامدة ، والمثل الحي الخالد على الزمان والمعلم على مر الأيام :

ـ ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ التحريم : ١١ .

كما تكلم القرآن كذلك عن مواهب نسائية منحرفة ، كامرأة نوح وامرأة لوط :

ـ ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ التحريم : ١٠ .

وتكلم التاريخ عن سجاح بنت الحارث ، امرأة عربية ادعت النبوة بعد وفاة الرسول ﷺ وتبعها قومها وخلق كثير وحاربت بهم وانتصرت على بعض القبائل ثم توجهت إلى اليمامة حيث مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة كذلك ، وقالت لقومها : يا معشر تميم اقصدوا اليمامة فاضربوا فيها كل هامة وأضرموا فيها ناراً ملهامة حتى تتركوها سوداء كالحمامة .

وقالت لبنى تميم : إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة وإنما جعله في مضر فاقصدوا هذا الجمع فإذا فضضتموه كررتم على قريش . فسارت في قومها وهم الدهم الداهم .

وبلغ مسيلمة خبرها فضاق بها ذرعاً ، ثم [illegible] عليها وخطبها وتزوجها واشتركت معه ، ثم فاجأهم قدوم خالد بن الوليد والمسلمين لحربهم ، ولما قتل المسلمون مسيلمة صارت سجاح إلى إخوانها ثم أسلمت وهاجرت إلى البصرة وحسن إسلامها وتوفيت في خلافة معاوية .

كما نجد الإسلام فتح الباب لمواهب المرأة ولم يكلفها حتى لا يشق عليها .

فتح الباب للمواهب المتميزة ، فلم يكلف المرأة كمرأة بعض الأعمال المخصصة للرجال ، أو التي لا تصلح لعموم النساء ، كالجهاد والجماعات .. الخ ، فالإسلام مثلا لم يوجب على المرأة الجهاد ، ولكنه لم يمنع المرأة من الخروج له وأداء بعض الأعمال المتعلقة به مع المجاهدين بما في ذلك حمل السلاح إذا اقتضى الأمر .

أم عمارة :

هي نسيبة بنت كعب بن عمر بن عوف الأنصارية ، تحتل مكانة مرموقة بين نساء المسلمين ، فهي صحابية جليلة ، ومجاهدة كبيرة ذات دين وصلاح ونسكٍ واجتهاد واعتماد على النفس ، وهي من أوائل المسلمات فقد حضرت ليلة العقبة وبايعت الرسول وهو في محنته في مكة وحين عادت إلى المدينة بدأت بالتبشير بالإسلام في صفوف النساء .

وكانت أم عمارة تشارك في الغزو والجهاد مع رسول الله وخلفائه من بعده تسقي الجرحى وتضمد جراحهم وتشارك في القتال حين يلزم الأمر وقد شهدت أم عمارة موقعة أحد ، وكانت من بين العشرة الذين تولوا حماية الرسول ﷺ في وسط المعركة وحين تراجع المسلمون عقد القرشيون العزم على قتل الرسول ﷺ وقد انفض المسلمون من حوله ، وهنا أسرعت أم عمارة بقلب حديد وعزم شديد فانتضدت سيفها واحتملت قوسها وذهبت تصول وتجول بين يدي الرسول ﷺ وكان حولها علي وأبو بكر وعمر وسعد وطلحة والزبير وولدها وزوجها ، فكانت من أظهر القوم أثراً وأعظمهم موقفاً وظلت تتلقى عن الرسول الضربات والطعنات وتردها على المشركين حتى قال ﷺ : « ما التفت يميناً ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني » ، وفي وسط القتال انتبه الرسول إلى ابنها يقاتل والدم ينزف من عضده اليسرى فقال له : « اعصب جرحك » فهرعت أمه فعصبت له وضمدته ثم قالت له : انهض يا

بني فضارب القوم وجاهد في سبيل الله ، وبينما هي في وسط المعركة وجدت ضارب ابنها عمارة فاعترضت له وضربت ساقه فبرك على الأرض فقتلته فابتسم النبي ﷺ حتى بانت نواجذه وقال : « استقدت يا أم عمارة . الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينيك » .

ثم جاء بن قمئة يريد رسول الله ﷺ فانبرت أم عمارة تفدي رسول الله فجرحت ثلاثة عشر جرحاً ، فدعا لها رسول الله ﷺ ولولدها فقال : « بارك الله عليكم من أهل البيت » ، فقالت : ادع الله يا رسول الله أن نرافقك في الجنة فقال : « اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة » ، فقالت أم عمارة : ما أبالي ما أصابني من الدنيا بعد هذا الدعاء .

ثم قاتلت في كثير من المعارك إلى أن توفي رسول الله ﷺ فحاربت المرتدين واشتركت في حرب مسيلمة وجاهدت أعظم جهاد وجرحت أحد عشر جرحاً وقطعت يدها وقتل ولدها ، وكان أبو بكر يعرف فضلها ويزورها .

وروت الحديث عن رسول الله ﷺ وروى عنها كثير من التابعين والصحابة رحمها الله ورضي عنها .

هذا وكان كثير من الصحابيات يفعلن فعل أم عمارة ويكون فريقاً من المجاهدات الصالحات المحتسبات .

هذا ولم نر أن أحداً من الصحابة منع النساء عن الجهاد بعد رسول الله ﷺ ، بل إن الرسول ﷺ صرح لأم حرام أن تجاهد بعده بزمن ، روى أنس رضي الله عنه ، عن أم حرام قالت : أتانا رسول الله ﷺ فنام وقت القيلولة عندنا فاستيقظ وهو يضحك ، فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما يضحكك ، قال : « ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله عز وجل

يركبون ثبج البحر مثل الملوك على الأسرة » ، قلت : ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم قال : « أنت منهم » قالت : ثم قال : فاستيقظ وهو يضحك قلت : يا رسول الله مم تضحك قال : « ناس من أمتي يركبون هذا البحر كالملوك على الأسرة » قالت : قلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال : « أنت من الأولين » .

فركبت البحر في زمان معاوية وجاهدت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنهما وماتت هناك . رضي الله عنها .

خولة بنت الأزور :

من ربات الشجاعة والفروسية ، خرجت مع أخيها ضرار بن الأزور إلى الشام وأظهرت في الواقعات التي دارت رحاها بين المسلمين والروم بسالة فائقة خلد التاريخ اسمها في سجل الأبطال البواسل.

أسر أخوها ضرار في إحدى المعارك فحزنت حزناً شديداً وفعلت الأعاجيب وقالت في ذلك :

أبعد أخي تلذ الغمض عيني ... فكيف ينام مقروح الجفون
سأبكي ما حييت على شقيق ... أعز علي من عيني اليمين
فلو أني لحقت به قتيلا ... لهان علي إذ هو غير هون
وكنت إلى السلو أرى طريقاً ... وأعلق منه بالحبل المتين
وأنا معشر من مات منا ... فليس يموت موت المستكين
وإني إن يقال مضى ضرار ... لباكية بمنسجم هتون
وقالوا لم بكاك ؟ فقلت مهلا ... أما أبكي وقد قطعوا وتيني ؟!

ثم هجمت على عساكر الروم كأنها النار المحرقة فزعزعت كتائبهم وحطمت مواكبهم ثم غابت في وسطهم فما هي إلا جولة الجائل حتى خرجت وسنانها ملطخ بالدماء من الروم ، فقلق عليها المسلمون وهم لا

يعرفون من هذا الفارس فقال رافع بن عميرة : ليس هذا الفارس إلا خالد بن الوليد . ثم أشرف عليهم خالد ، فقال رافع : من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته؟ فقال خالد : والله إنني أشد إنكاراً منكم له ، ولقد أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله ، ثم حمل المسلمون على الروم ، فكانت أشد منهم حملا وضرباً وكانت كأنها الصاعقة على القوم وهي ملثمة لا يعرفها أحد ، فلما رأى خالد ذلك ، أقسم عليها خالد وقال : عزمت عليك أيها الفارس أن تكشف اللثام عن وجهك حتى نعرفك ، فلم يرد الفارس جواباً حتى أقسم خالد مراراً فقالت : أنا خولة بنت الأزور وقد علمت أن ضراراً أخي أسير . فركبت وفعلت ما فعلت حتى أخلص أخي ، فقال خالد : نحمل بأجمعنا ونرجو من الله أن نخلص أخاك فنفكه .

قال عامر بن الطفيل : كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت خولة أمامه وحمل المسلمون وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الأزور وقالوا : إن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم طاقة ، وقد خلص المسلمون ضراراً أخاها من الأسر .

ومن واقعات خولة الشهيرة التي أظهرت فيها بسالة عظيمة وفروسية نادرة وقعة حجورا من أعمال الشام ، وقد أسرت النسوة في تلك الموقعة ، فجمعت خولة النساء ، فقامت فيهن خطيبة وكانت هي من ضمن المأسورات فقالت : يا بنات حمير وبقية تبع ، أترضين لأنفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيدا لأهل الروم فأين شجاعتكن وبراعتكن التي تتحدث بها عنكم أحياء العرب ومحاضر الحضر وإني أراكن بمعزل عن ذلك ، وإني أرى القتل عليكن أهون من هذه الأسباب وما نزل عليكن من خدمة الروم ، فقالت لها عفراء بنت غفار الحميرية : صدقت يا بنت الأزور ونحن في الشجاعة كما ذكرت وفي البراعة كما وصفت غير أن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت وإنما داهمنا العدو على حين غفلة ، وما نحن إلا كالغنم بدون سلاح .

فقالت خولة : يا بنات التتابعة خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب ونحمل بها على هؤلاء الروم فلعل الله ينصرنا فنستريح من المعرة .

فقالت عفراء بنت غفار : والله مادعوت إلا إلى ما هو أحب إلينا مما ذكرت .

ثم هجمت خولة والنساء وراءها وهي تقول موجهة : لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تفترقن فيقع بكن التشتت وحطّمن رماح القوم واكسرن سيوفهم .

وقاتلن قتالا عنيفاً حتى استخلصت النسوة من أيدي الروم ، وتوفيت رضي الله عنها في خلافة عثمان (١) .

استيعاب الفكر الإسلامي :

والإنسان المسلم الذي يراجع تاريخه اليوم يرى أن الإسلام استوعب النشاط الحيوي للمرأة ولم يهلكه أو يكبته أو يعبثه ، ومدح القرآن حكمة بلقيس سبأ ولم يعقب على قصتها بالشر أو بالذم ، وقص علينا قصص النساء الخالدات في القرآن وضرب بهن المثل للمؤمنين رجالا ونساءً وكيف كان الرسول ﷺ يسمح للمرأة أن تصلي مع الرجل في المسجد خلف الرجال وتسمع العلم وتسأل ولا حياء في الدين ، بل كيف سمح الرسول ﷺ للمرأة المسلمة أن تخرج وتجاهد وتدافع عن الإسلام وعنه ﷺ ، وتداوي الجرحى وتسقي العطشى ، وكيف كانت الصحابة تقابل ذلك ، وقد سمح بذلك الحس المسلم بعد رسول الله ﷺ فكانت المرأة تخرج إلى الجهاد وتحمل السيف وتجاهد وتخوض المعارك جنباً إلى جنب مع الرجل المسلم .

هل حس المسلم اليوم يتحمل هذا ويقبله أم أنه أرهف من حس الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

إن كثيراً من الأفكار والقضايا اليوم تحتاج إلى مراجعات بعيداً عن

(١) فتوح الشام للواقدي ، وأعلام النساء ١/٣٧٤ .

العقول التي جبلت على قتل المواهب وحبس الطاقات باسم الفضيلة ، وفي الحقيقة هي التي ينبغي لها أن تحبس جهلها عن الناس وشرها عن المجتمع .

موهبة الإسناد وموهبة التدمير :

كان المؤمنون والمتقون على مر التاريخ يعرفون قيمة إسناد المرأة للرجل وعونها له على الأيام ، ولهذا كان من دعائهم :

ـ ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ الفرقان : ٧٤ .

ونضرب هنا مثلا بأزواج كن عوناً لأزواجهن على طاعة الله سبحانه ، منهن :

هاجر أم إسماعيل :

التقية الورعة التي كانت عوناً لزوجها على تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى .

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : جاء إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل « هاجر » وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة « شجرة » فوق زمزم من أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هناك ، ووضع عندها جراباً « كيساً » فيه تمر وسقاء فيه ماء .

ثم قفّى « رجع » إبراهيم عليه السلام منطلقاً ، فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ؟!

قالت له ذلك مراراً ، فلم يلتفت إليها !!

هاجر : آلله أمرك بهذا ؟

إبراهيم : نعم .

هاجر : إذن لا يضيعنا .

فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى كان عند الثنية « مكان بمكة » حيث لا يرونه ثم استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهذه الدعوات فرفع يديه يقول :

ـ ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ إبراهيم : ٣٧ .

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى نفذ ما في السقاء فعطشت وعطش ولدها فجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها « ثوبها » ثم سعت سعي الإنسان المجهد « المتعب » حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس رضي الله عنهما إن رسول الله ﷺ قال : « فذلك سعي الناس بينهما » .

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه !! ــ تريد نفسها ــ ثم تسمعت فسمعت أيضاً . فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غياث فأغث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتعدل بيدها هكذا ، وجعلت تغرف بسقائها وهو يغور بعدما تغرف فشربت وأرضعت ولدها .

فقال لها الملك : لا تخافوا ضيعة « هلاكاً » فإن ههنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله .

وربت هاجر في جانب البيت إسماعيل عليه السلام الصابر التقي البار حتى بلغ السعي ، فإذا بإبراهيم عليه السلام يأتي ليذبح ولده مصداقاً لرؤية رآها فعلم أنها إشارة من الله بالامتحان بذبح إسماعيل فجاء لذلك :

ـ ﴿ **فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين** ﴾ الصافات : ١٠٢ .

يا لروعة الإيمان والطاعة والتسليم .

هذا إبراهيم الشيخ المقطوع من الأهل والقرابة ، المهاجر من الوطن والأرض يأتي ليطيع أمر الله بذبح ولده ، وها هي الأم الصابرة الوحيدة في هذا المكان تصبر وتطيع الله وتعين زوجها على طاعة الله سبحانه وها هو الولد الصغير يعرف مراد الأب فيأمر الأب بإطاعة الله سبحانه .

قال أبو هريرة : لما رأى إبراهيم ذبح ولده قال الشيطان : إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبداً ، فخرج إبراهيم عليه السلام بابنه فدخل الشيطان على أمه فقال لها : أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت : غدا به لبعض حاجته ، قال : فإنه لم يغد به لبعض حاجته إنما ذهب به ليذبحه ، قالت : ولم يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قالت : فقد أحسن أن يطيع ربه ، فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام : أين يذهب بك أبوك ؟ قال : لبعض حاجته ، قال : فإنه يذهب بك ليذبحك . قال : ولم يذبحني ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك قال : فوالله لئن كان الله أمره بذلك ليفعلن . قال : فيئس منه وتركه ، ولحق بإبراهيم عليه السلام فقال له مثل ما قال لهما ، فقال إبراهيم : لئن كان الله أمرني بذلك لأفعلن ، فيئس الشيطان منهم[1] .

صبر عجيب وطاعة وإعانة على أمر الله من زوجة مؤمنة وولد تقي تربى

(١) انظر في ذلك : تفسير ابن كثير ٤/١٧ .

تربية سليمة مؤمنة .

وشب إسماعيل وتعلم العربية ، وماتت أمه وتزوج إسماعيل ، وجاء إبراهيم يسأل عنه فوجد عنده زوجة ليست صالحة ولا شاكرة ولا معينة ، فأمره بفراقها ، ففعل . قال الرواة : جاء إبراهيم بعد زواج إسماعيل يطالع أحوال ولده فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يصيد لنا ثم سألها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر حال ، نحن في ضيق وشدة ، وشكت إليه !!

قال إبراهيم لها : فإذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقولي له : يغير عتبة بابه « كناية عن الطلاق » .

فلما جاء إسماعيل سألها : هل جاءكم من أحد؟ قالت زوجته : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا « وصفته له » فسألنا عنك ، فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة ، فقال لها إسماعيل : فهل أوصاك بشيء؟ قالت زوجته : نعم أمرني أن أقرئك السلام ، ويقول لك : « غير عتبة بابك » .

فقال إسماعيل : هذا أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك ، فطلقها وتزوج إسماعيل مرة أخرى .

وجاء إبراهيم عليه السلام بعد مدة فلم يجد إسماعيل ، فقال لامرأته ، أين إسماعيل وكيف أنتم ، فقالت له : ذهب يصيد لنا ونحن بخير وسعة ، ألا تنزل فتطعم وتشرب ؟

فقال إبراهيم : وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت : طعامنا اللحم وشرابنا الماء .

فقال إبراهيم : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم ، ثم قال لها : إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه .

جاء إسماعيل وسأل : هل أتاكم من أحد؟ فقالت له الزوجة : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته أنا بخير . فقال إسماعيل : فهل أوصاك بشيء؟ فقالت : نعم : يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال إسماعيل : هذا أبي وأنت العتبة أمرني أن أثبتك وأمسكك .

وجد إبراهيم عليه السلام في الزوجة الأولى أنها ليست شاكرة ولا قانعة ولا هي التي تصلح أن تكون وراء نبي أو رجل يجاهد في الحياة وتصبر معه في الضراء فأمره بطلاقها ، ووجد في الزوجة الثانية الشاكرة العظيمة البارة القدرة على ذلك فأمره بإمساكها ، ولعل الأولى كانت هي سبب الضنك ولعل الثانية كانت هي سبب السعة والرخاء والعون .

خديجة بنت خويلد :

كانت خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ دنيا وحدها ، استطاعت أن تفرج عن الرسول ﷺ واستطاعت أن تثبته في الشدة وفي الأوقات العصيبة ، أوقات الاضطراب ، وقد رأيناها عندما جاء الرسول ﷺ يرتجف فؤاده بعد نزول الوحي عليه ، يقول لها : لقد خشيت على نفسي ، فتقول قولتها الرائعة العظيمة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق .

لم تكتف بأنها قالت له : والله لا يخزيك الله أبداً ، بل جاءت بحيثيات حديثها ودليل صدق كلامها حتى يقر قلب الرسول ﷺ ، ثم أثبتت له ذلك عملياً فذهبت إلى ورقة بن نوفل فأسمعته ما كان لرسول الله ﷺ ، وسمع رسول الله من ورقة بن نوفل أنه صادق وأن ذلك الذي نزل عليه إنما هو وحي السماء ، ولذلك تغير الحال بعد ذلك عند رسول الله ﷺ فاشتاق إلى الوحي وإلى نزول الملك بعد أن كان خائفاً مرتعداً .

ثم وقفت وراءه بالمال والحماية ؛ فكانت عدل المجتمع الجاهلي ولكن في الخير وكادت الكفتان تتعادلان ولهذا كان كل ما يلاقيه الرسول في تبليغ الدعوة نهاراً يذهب ليلا ليجد الزوجة الحنون تمسح عنه ذلك وتعيشه الحب والتقدير والتثبيت والفداء ولهذا بشرها الله ببيت من قصب في الجنة رضي الله عنها وأرضاها .

النساء المهاجرات :

وما النساء المهاجرات مع أزواجهن ابتغاء مرضاة الله إلا دافعات للأزواج نحو المجد ومرضاة الله سبحانه وتعالى حيث الغربة وهجر المال والمسكن والأهل وقد رأينا النساء المسلمات يهاجرن إلى الحبشة وإلى المدينة في صحبة أزواجهن وما هذا إلا تأييد ودفع وإعلاء لشأن الزوج وتيسير لأمره .

نساء مدمرات ونماذج منهن :

إن المرأة السيئة الفاسدة اللعوب لها خطر عظيم في تدمير المجتمع الإسلامى إذ أن موهبة التدمير عندها شديدة وناسفة ، ولذلك نجد أن رسول الله ﷺ نبه على خطر هذا النوع من النساء ، فقال رسول الله : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » البخارى . ومن هؤلاء النساء :

امرأة نوح وامرأة لوط :

قال تعالى :

ـ ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ سورة التحريم : ١٠ .

دخلت امرأة نوح ولوط التاريخ ، ولكن دخلتاه من بابه الأسود ، دخلتاه من باب الخيانة العظمى حيث ارتكبتا جرماً شنيعاً .

فإن الله تعالى بين في هذه الآية ، بأن مخالطة الكفار المسلمين ومعايشتهم معهم لن يفيدهم ولا ينفعهم عند الله تعالى ، إن لم يكن الإيمان منيراً لقلوبهم ، ومثل ذلك بامرأة نوح ولوط كانتا زوجتين لنبيين رسولين ، ومع ذلك رفضتا الإيمان ، بل لم تكتفيا بذلك بل أخذتا تتآمران مع الكفار على إيذاء أزواجهن ومحاربة ما يدعوان إليه . فامرأة نوح تخبر بأن زوجها مجنون ، وأما امرأة لوط فكانت ترشد قومها على أضيافه لكي يعتدوا عليهم ولكن هيهات فإن الله لهم بالمرصاد حيث أخذهم أخذ عزيز مقتدر .

زينب بنت رسول الله ﷺ :

وإذا أردنا أن نأتي بمثل عكس هذا المثل السيئ فإننا نجده في كثير من المؤمنات ولنضرب لذلك مثلا بزينب بنت رسول الله ﷺ حيث أسلمت وظل زوجها أبو العاص بن الربيع بن هالة أخت خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ على شركه إلى أن أسر زوجها في موقعة بدر ، وطلب من الأسرى الفداء ولم يكن عند أبي العاص مال ، فأرسلت زوجه زينب بنت الرسول ﷺ في فدائه وبعثت في ذلك قلادة كانت قد أهدتها إليها أمها خديجة بنت خويلد وأدخلتها بها على أبي العاص . فلما رآها رسول الله ﷺ عرفها ورق لها وذكر خديجة وترحم عليها وكلم الناس فأطلقوه وردوا عليها قلادتها ، وأخذ على ابن العاص أن يخلي سبيل زينب إذا رجع إلى مكة ففعل ، وجاءت زينب عند رسول الله في المدينة .

ولكن أبا العاص خرج في تجارة لقريش فالتقى بسرية للمسلمين فأخذ أسيراً وأخذوه إلى المدينة ، فاحتال ودخل على زينب في حجرتها فأجارته في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء أيها الناس إني أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال : أيها الناس : هل سمعتم ما

سمعت؟ قالوا: نعم، قال: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم إنه يجير على المسلمين أدناهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال: أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له ما دام مشركاً.

فرجع أبو العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذي حق حقه ثم أسلم ورجع إلى النبي ﷺ مهاجراً في المحرم سنة ٧هـ فرد عليه رسول الله ﷺ زينب بنكاحها الأول، وكانت وفية صالحة عظيمة استطاعت أن تقهر شرك أبي العاص فأسلم.

موهبة تربية الأولاد :

لا شك أن من حملت وأرضعت وتعهدت قد أعطاها الله من المواهب والملكات ما تستطيع به أن تكمل المسيرة الإنسانية التي تولاها الله أولا في بطن الأم ثم عهد إليها بتكملة الرسالة حتى الرشد :

ـ ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ النحل : ٧٨ .

ـ ﴿ **يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث** ﴾ الزمر : ٦ .

ويقول الرسول ﷺ : « والمرأة راعية ومسئولة عن رعيتها »، وهل تستطيع أي جهة أخرى، وأي إنسان آخر أن يقوم بدور الأم في هذه المسئولية، ولعل أضخم مسؤولية تواجهها المرأة في الحياة هي تربية الأولاد حتى يصبحوا أهلا للحياة، بإعدادهم إعداداً صحيحاً ليكونوارجالاً لا تخشى عليهم أمة الإسلام من الضياع. والواقع يشهد في كل مكان أنه لا يقوم بدور الأم إلا هي مهما ادعى المدعون وحاول المحاولون.

فالأب وإن كانت مسؤوليته خارج البيت أكثر فالأم مسئوليتها داخل البيت أكثر وألزم ، ولهذا يلزم إعدادها لأنها هي التي ستعد الأجيال وتخرج الأبطال ، ولله در القائل :

الأم مدرسة إذا أعـــــددتها أعـدت شعباً طيب الأعـراق

وضياع الأم ، ولهوها عن التربية جريمة لا تعدلها جريمة ، فالأم التي تنشغل عن رسالتها بحياة الإثم والفجور والغواية أم منحرفة مضيعة يجب محاسبتها على هذا اليتم الذي أودعته قلب الصغير بالتعاون مع أبيه المضيع ، وقد أحسن من قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفــاه ذليــلا
إن اليتيم هو الـذي تلقـى له أمـاً تخلت أو أبـاً مشغـــولا

وقد حمل الإسلام الآباء والأمهات مسئولية النار التي تلتهم الأبناء في الدنيا والآخرة :

ـــ ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾
التحريم : ٦ .

فالولد الذي ينشأ في بيت منحرف ويخرج من بيئة فاسدة ويخالط جماعة ضالة فلا شك أنه سينحرف لأنه رضع لبان الفساد وتدرب على الضياع ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

فالأم التي تدفع ولدها إلى المدارس الملحدة والمعاهد التبشيرية ليرضع من لبانها ويتوجه على يد أعداء أمته ودينه أم تسلم ولدها وجيلها وأمل أمتها إلى الضلال والضياع والتخنث .

والأم التي تترك ولدها يخالط الفساد والأشرار ولا تحاسبه أو تراقبه أو توجهه أو تخشى عليه منهم تجني على ولدها جناية قاتلة حيث سيكون قطعة منهم وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » .

وليس النبت ينبت في جنان كمثل النبت ينبت في الفلاة
وهل يرجى لأطفال كمال إذا ارتضعوا ثدي الناقصات

ومما يروى في كتب التاريخ والأدب أن الفضل بن زيد رأى مرة ابن امرأة من الأعراب فأعجب بمنظره وأدبه وفروسيته، فسألها عنه، فقالت: ربيته تربية صالحة لما أتم خمس سنوات أسلمته إلى المؤدب فحفظ القرآن الكريم وتلاه وعلمه الشعر فرواه، ورغب في مظاهر قومه ولقن مآثر آبائه وأجداده، فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل فتمرس وتفرس ولبس السلاح ومشى بين بيوت الحي وأصغى إلى صوت الصارخ ...

- أين هذا اليوم من حفظ الأغاني الخليعة المخنثة الماجنة، وتعلم الرقص والموسيقى والجري وراء الشهوات والأهواء التي ورثت الذل والهزيمة والجبن والخور والسقوط.

وما أفضل قول القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن يعوده التدين أقربوه

والطفل في الصغر في يد أمه عجينة لينة طيعة توجهه إلى الخير بسهولة ويسر وما أحسن قول القائل:

قد ينفع الأدب الأولاد في الصغر وليس ينفعهم من بعده أدب
إن الغصون إذا أعدلتها اعتدلت ولا يلين إذا لينته الخشب

وقد شهد التاريخ الإسلامي نساء من ربات الفصاحة والبلاغة والأدب

والتربية والعقل والتجربة .

أمامة بنت الحارث :

من ربات الفصاحة والبلاغة والرأي والعقل والتربية ، كان لها أولاد فنشأتهم أفضل تنشئة وربتهم أحسن تربية حتى تسامع بها وبأولادها كل أصحاب الفضل والجاه والملك . خطب الحارث بن عمرو ملك كندة ابنتها أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني فزوجها أبوها منه ، فلم تتركها أمها أمامة بدون تعليم أو نصح وإرشاد وتدريب .

وكان من نصائحها الغالية لابنتها أن قالت : إن الوصية يا بنيتي لو تركت لفضل أدب لتركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهم إليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً ، فكوني له أمة ، يكن لك عبداً وشريكاً .

يا بنية احملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً :

الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا طيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم حصن التدبير ، ولا تفشي له سراً ، ولا تعصي له أمراً ، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره .

ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان كارهاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً ، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له موافقة ، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تجدين حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت والله يخير لك ، فحملت العروس إلى عريسها فسلمت إليه ، فعظم موقعها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن .

هؤلاء هن النسوة زوجات العظماء والملوك ، وأمهات العظماء والملوك .

أما التافهات اللاهيات الناشزات فهن جرائم في البيوت وآثام في المجتمعات ولعنات على الأزواج والأولاد .

أما المناديات اليوم بالحرية الفاجرة والتمرد الضال والتقليد الأعمى فهن زوجات الهيبز وأمهات صرعى المخدرات والإدمان ، وربيبات الهلاك والفجور .

أما المناديات اليوم بالحقوق النسائية والمساواة النسائية فهم لعبة الاستعمار ودمى أعداء الأمم ، وشواذ وعوانس المجتمعات اللاهية الضائعة .

لا بأس بالمساواة ولكن فيما أحل الله وشرع وفيما ينفع ولا يضر ، ويسعد ولا يشقى ويقوي الصلات بين الأمة لا ما يقطعها ويجعلها حرباً على بعضها ويخرب الأسرة ويصنع الشقاق بين الرجل والمرأة في الأسرة والمجتمع .

المساواة بوحي من الإنسانية لا بدافع من الشيطانية وبضوابط من الإيمان لا بانسياح من أعداء الإسلام ، المساواة الإسلامية التي فرضها ربنا وحضنا عليها ، لا ما يملي علينا سماسرة الضياع ورواد التهلكة .

وإذا كانت المرأة المسلمة العربية جديرة بارعة في وصية البنات فهي كذلك بارعة في وصية الأولاد .

وقد رأينا وصية أسماء بنت أبي بكر لولدها عبد الله بن الزبير رضي الله

عنه وما فيها من حكم واستمساك بالحق.

ورأينا نصيحة أم سلمة لرسول الله ﷺ في صلح الحديبية حيث حزن المسلمون لعدم دخولهم البيت الحرام في هذا العام ورجعوا على أن يأتوا من قابل ليدخلوا مكة وكانت معاهدة لم يرض عنها كثير من المسلمين، وقام عمر بن الخطاب يعترض على المعاهدة. قال عمر: فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعط الدنية في ديننا إذن؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف فيه؟ قال: بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال قلت: لا قال: فإنك آتيه ومطوف به.

ثم ذهب عمر إلى أبي بكر يقول له ما قاله لرسول الله فقال له كما قال ﷺ فرجع عمر حانقاً، والمسلمون قد اعتراهم من الغم ما لا يعلم مداه إلا الله على هذه المعاهدة.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتابة للصحيفة، قال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا واحلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال لهم ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج فلا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا (١).

وقد أخرج رأي أم سلمة المسلمين من فتنة كادت تحصل، ومن الذي استشارها؟ رسول الله ﷺ، ومن الذي كان المسلمون سيعصون أمره؟ هو

---

(١) انظر في ذلك: سيرة ابن هشام، وسيرة ابن كثير ٣٣٤/٣٠.

رسول الله ﷺ دلالة على أنها كانت مشورة كريمة لامرأة كريمة عظيمة العقل والتدبير .

والمرأة لها قدرة عظيمة على معرفة نفسيات كثير من الرجال ، وتستطيع بدربتها معهم أن تفهم عنهم الكثير وطبيعي أن لا يكون ذلك لأي امرأة ولكن لصنف من النساء أنرن عقولهن بالإيمان وتجردن من الأهواء الجامحة والشهوات الجانحة وهن كثيرات في كل عصر تظهر فيه مخايل الاستقامة .

قال أبان بن تغلب وكان عابداً من عباد البصرة ، شهدت أعرابية توصي ولدها وقد أراد السفر وهي تقول :

أي بني اجلس أمنحك وصيتي — وبالله التوفيق — فإن الوصية أجدى عليك من كثير من عقلك .

قال أبان : فوقفت مستمعاً لكلامها ، مستحسناً لوصيتها ، فإذا هي تقول :

أي بني : إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً ، وخليق ألا يثبت القرص على كثرة السهام وقلما اعتورت السهام غرضاً إلا كلمته .

وإياك والجود بدينك والبخل بمالك ، وإذا هززت فاهزز كريماً يلين لهزتك ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها ، ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت منه فاجتنبه فإن المرء لا يرى عيب نفسه ومن كانت مودته بشره ، وخالف منه ذلك فعله ، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها .

ثم أمسكت فدنوت منها ، فقلت بالله يا أعرابية إلا زدته من الوصية ...

فقالت : أوقد أعجبك كلام العرب يا عراقي !

قلت : نعم .

قالت : والضرر أقبح ما تعامل الناس بينهم ، ومن جمع بين الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ، ريطتها وسربالها [(١)] .

وصايا تنم عن عقل وحكمة وتدبير وحنكة ، يتقاصر أمامها كثير من الرجال .

فاطمة النيسابورية :

قال ذو النون المصري : ما رأيت أحداً أجل من امرأة رأيتها بمكة يقال لها فاطمة النيسابورية كانت تتكلم في فهم القرآن وتعجبت منها ، وكانت ولية من أولياء الله عز وجل وهي أستاذتي .

وكان أبو يزيد البسطامي يقول عنها : ما رأيت امرأة مثل فاطمة وما أخبرتها عن مقام من المقامات إلا كان الخبر لها عياناً .

ومن كلامها أنها كانت تقول : من لم يكن الله عز وجل منه على بال فإنه يتخطى في كل ميدان ويتكلم بكل لسان ومن كان الله منه على بال أخرسه إلا عن الصدق وألزمه الحياء منه والإخلاص له .

وقالت : الصادق المقرّب في بحر تضطرب عليه أمواج يدعو ربه دعاء الغريق يسأل ربه الخلاص والنجاة ، وقالت : من عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص ، وقال لها ذو النون المصري : عظيني وقد اجتمعا في بيت المقدس فقالت : الزم الصدق وجاهد نفسك في أفعالك [(٢)] .

مواهب في خدمة المجتمع :

أمر الله تبارك وتعالى بالتعاون بين المسلمين فقال سبحانه :

ـ **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** المائدة : ٢ .

---

(١) الريطـة : الملاءة إذا كانت واحدة ، والسربال : القميص ، انظر في ذلك : مع الله للغزالي ص ٥١١ .

(٢) انظر : صفة الصفوة ١٢٣/٤ ، وأعلام النساء ١٤٧/٤ .

ولا شك أن تعاون المرأة في خدمة المجتمع تعاون عظيم يسد ثغرة كبيرة في مجال البر والإحسان والتربية والتطبيب والمواساة ، هذا فضلا عن القيام بأمور المرأة التي هي في حاجة إلى جهود رائدات من جنسها حفاظاً عليها وعلى إسلامها وعفتها وطهرها .

ولهذا اتسعت مجالات المرأة في الخدمة الاجتماعية ، ولا ينبغي أن يفهم من كلامنا هذا أن هناك تجاوزا للأولويات التي لا بد منها .

بل لا بد من ترتيب الأولويات حتى لا تختل الموازين في البنية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ، وعلى سبيل المثال في تحديد الأولويات نقول إن أول الواجبات التي يجب أن تقوم بها المرأة هي طاعة الزوج ورعايته جسدياً ونفسياً ومالياً ، ثم رعاية الأولاد والأقارب ، ثم حقوق الجارة وحقوق الله المتعلقة بذلك ، ثم ما يحتاجه العمل للدعوة إلى الله تعالى ، ثم تتدرج الأعمال حسب أهميتها للإسلام والمسلمين بشرط أن تكون في حدود التعاليم الإسلامية التي يتقيد بها الرجل والمرأة على السواء كدستور للفضائل والأخلاق :

ـ ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ آل عمران : ٦٦ .

كما لا يجب أن تكون تلك الأعمال الخارجية التطوعية نابعة من عصيان الزوج وعدم موافقة الولي أو الزوج اللهم إلا فيما يؤدي إلى معصية لله تبارك وتعالى ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

أما عمل المرأة بدون أولويات فهذا ضرب من العبث الذي لا يقع فيه النساء فقط بل قد يقع فيه أيضاً كثير من الرجال ، وقد جنح كثير من النساء إلى تخريب البيت في سبيل أشياء تافهة كبعض المال ، أو في سبيل رياسة ، أو مظهر اجتماعي أو جسدي أو غرور أو إثبات لقدرات موهومة أو لمحاكات الرجال في بعض الأعمال الخاصة بهم . والإسلام جعل هناك

أولويات أثاب المرأة عليها وبعد هذه الأولويات فتح لها المجال في الأعمال الأخرى التي تناسبها وهي كثيرة تفوق طاقة المرأة المخلصة العاملة وينوء بحملها أولو القوة ، وقد أعطى الإسلام أجر الأمور العظيمة للرجل كما أعطى للأمور العظيمة التي تخص المرأة مثل ذلك الثواب ، نرى ذلك في حديث رسول الله ﷺ مع أسماء بنت يزيد بن السكن حينما ذهبت إليه قائلة : يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ، وأبانت له ﷺ أن الرجال يعملون أعمالا كثيرة يأخذون عليها الأجر مثل الجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والجهاد إلى أن قالت : وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفلا نشارككم في الأجر ؟

فقال ﷺ : « أعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها في مرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ذلك للرجال » [(1)] .

أرادت أسماء بنت يزيد أن تقول إن هناك قطاعاً كبيراً من النساء يشغلهن خدمة الزوج والبيت والإنتاج البيتي كصناعة الملابس وما يستجد من أعمال وهذه الأعمال تعطل المرأة عن أعمال أخرى لو فعلتها لكان لها فيها أجر وكذلك أعمال تخص الرجل يأخذ فيها أجراً ولا تأخذ المرأة ، وطلبت الفصل في القضية فأخبرها رسول الله ﷺ أن هذه الأعمال للمرأة رسالة عظيمة كرسالة الرجل تعدل في الأجر والثواب ما ذكرت من أعمال الرجال .

وأما إذا استطاعت المرأة أن تقوم بأعمال تناسبها كمشاركة المجاهدين وعيادة المريض والحج بعد أدائها لمهمتها الأولى فلها أجر عليها كذلك يوازي أجر الرجل ولا حرج على فضل الله سبحانه ، ولهذا كان كثير من النساء على عهد الرسول ﷺ يتطوعن في أعمال البر والتمريض ومشاركة الغزاة في

---

(1) الإصابة لابن حجر ٤ / ٢٢٩ ، والاستيعاب لابن عبد البر هامش الإصابة ٤ / ٢٣٣ ، وأعلام النساء ١ / ٨٦ .

سبيل الله سبحانه وتعالى .

ولا شك أن أكبر خدمة تقدم إلى المجتمع هي تنشئة الأجيال الصالحة ، وإسناد الرجل وحضه على الخير وتشجيعه على البر وإسعاد الأسرة واستقرارها هذه كلها تعتبر آية من آيات الله للمجتمع وتعتبر هدية للأمة قال تعالى :

— ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ الروم : ٢١ .

نعم آيات ، آيات السكن للمجتمع ، آيات المودة والرحمة ، آيات التفرغ للعمل الصالح ، آيات تخريج الذرية الصالحة .

عن ابن عباس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ خطب سودة وكان لها خمس صبية أو ستة ، فقالت والله ما يمنعني منك وأنت أحب البرية إليَّ ولكني أكره أن يضغب هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية ، فقال لها رسول الله ﷺ : « يرحمك الله إن خير نساء ركبن على أعجاز الإبل صالح نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه لبعل في ذات يده » (١) .

نشاطات أخرى :

وهناك نشاطات أخرى تبرز فيها المرأة ، من هذه النشاطات :

١ — حقوق الجار .

٢ — التكافل الاجتماعي ورعاية الأسر الفقيرة .

٣ — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤ — الإصلاح بين البيوت .

٥ — العناية بالأيتام (كافل اليتيم) .

٦ — العناية بالشيخوخة وأصحاب العاهات .

---

(١) حديث متفق على صحته ، رواه البخاري ٩ / ١٠٧ في النكاح ، ومسلم ٢٥٢٧ فضائل الصحابة والمسند ٢ / ٢٦٩ .

٧ ــ الرفق بالحيوان .

٨ ــ الإسعافات والتمريض .

٩ ــ تعليم العلم وتعلمه .

١٠ ــ حضانة الصغار .

١١ ــ تعليم الحرف والصناعات المنزلية .

١٢ ــ تعليم الاقتصاد المنزلي .

١٣ ــ ديكورات المنازل وكيفية إدخال البهجة على الأسرة .

١٤ ــ تيسير الزواج بين المسلمين .

كل ذلك وسائل للدعوة إلى الله وجمع الأسر على الإيمان وربط المؤمنين بعقيدة الأخوة الإسلامية ورعاية وكفالة الأسرة المسلمة وإعدادها إعداداً كريماً .

الجمعيات النسائية :

برزت فكرة الجمعيات النسائية في الغرب لأن المرأة الغربية كانت مهضومة الحقوق ، فكانت المرأة عندهم حيواناً نجساً لا روح له ولم تكن زوجة .. هكذا اعتبروها في القديم ، فلما أرادوا إنصافها في المؤتمر الفرنسي سنة ١٥٨٦ كان جهد ما قرروه لها أنها إنسان وليست حيوانا .. إنسان خلق لخدمة الرجل وظلت المرأة تكافح عندهم إلى اليوم حتى تأخذ حقوقها الإنسانية .

أما الإسلام فلا يعرف هذه التفرقة بين الرجل والمرأة وجاء من أول يوم بالمساواة والأهلية لكل من الرجل والمرأة على سواء :

ــ ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ الحجرات : ١٣ .

وجعل لهن بيعة في الدخول في الإسلام وتحمل تبعاته كالرجل :

ـ ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ﴾.

إلى أن قال :

ـ ﴿ فبايعهن واستغفر لهن الله ﴾ الممتحنة : ١٢ .

وقال :

ـ ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ النساء : ١٢٤ .

وجعل لها حقا في المال والميراث :

فبينما كان قاسم أمين ودعاة التغريب يريدون تحرير المرأة وتغيير أحوالها تغييراً كاملا ، ودفعها دفعاً إلى نبذ التقاليد الإسلامية كانت ملك تسعى إلى إصلاح حالها بمعنى أن ترد مَلَكْ ماخسرته من مكاسب منحها الإسلام إياها بسبب ظلم الرجل وتخلفه في عصور الجمود والتخلف .

وألفت ملك لذلك الجمعيات النسائية وأثرت تأثيراً صالحاً في المجتمع المصري المسلم ، وكانت ملك أول امرأة مصرية تمثل النساء في مؤتمر حكومي عام ١٩١١ لبحث شتى الإصلاحات التي تريد بحثها الحكومة وتقدمت فيه بمشروع لإصلاح حال المرأة يتكون من النقاط التالية (١) :

١ ـ تعليم البنات الدين الصحيح ، أي تعاليم القرآن والسنة .

٢ ـ تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الأولي إجبارياً لكل الطبقات .

٣ ـ تعليم التدبير المنزلي علماً وعملا ، وقانون الصحة ـ وتربية الأطفال والإسعافات الأولية .

---

(١) أسس التقدم العلمي فهمي جدعان ص ٤٧٩ ، إجلال خليفة الحركة النسائية ص ٢٣ ، ملك حفني ناصف : آثار باحثة البادية ص ٣٠٥ .

٤ ــ تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأكمله، وكذلك فن التعلم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر.

٥ ــ إطلاق الحرية في تعليم العلوم العالية لمن تريد.

٦ ــ تعويد البنات من صغرهن الصدق في القول والجد في العمل.

٧ ــ اتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج اثنان قبل أن يجتمعا بحضور محرم.

٨ ــ اتباع عادة النساء في الحجاب الشرعي « كشف الوجه والكفين ».

٩ ــ المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن المستورد من الأشياء بقدر الإمكان.

١٠ ــ جعل الطلاق وتعدد الزوجات بإذن القاضي.

وهذه المطالب تنم عن عقل وحكمة وحب في النهوض الصحيح للمرأة والمجتمع. فكانت ملك معتدلة عاقلة لأنها من أسرة كريمة متدينة: وقد مدحتها عائشة التيمورية فقالت في رثائها:

ويا خير النساء بلا خلاف ... وقدوتنا بلا أدنى نزاع
لقد أحييت ذكر نساء مصر ... وجددت العلا بلا انقطاع
وشيدت صروح طهر باذخات ... محصنة كتحصين القلاع

وجاء بعد ملك جملة من النساء المستغربات، وأقمن جمعيات نسائية تدعو إلى أفكارهن الغربية أمثال هدى شعراوي المتفرنسة، ودرية شفيق إلى أن قامت ثورة مصر. فتولت هي عملية التغريب والدعوة إليه وإشاعة السفور وتشجيعه، وتبديد شمل الأسرة وتقطيع أواصرها واستغلال سذاجة المرأة الشرقية بإعطاء الحقوق السياسية الموهومة.

نساء الصحوة الإسلامية:

نتيجة لوجود الموجة الصاخبة الداعية إلى السفور والتحرر كان لابد من

أن يتنبه الغيورون من المسلمين والمسلمات إلى هذا الخطر الزاحف ، فقامت نساء مؤمنات ورجال مؤمنون يصدعون بكلمة الحق ويفضحون الدجل والخداع الذي يملأ الصحف والمجلات المأجورة ، ويظهرون نوايا وأغراض المتورطين في خيانة مبادئ وأهداف الأمة الإسلامية من العملاء والمفسدين ، قامت جماعة إسلامية لتجالد الباطل وصدق الله :

ـ ﴿ **كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ﴾ الرعد : ١٧ .

ـ ﴿ **بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾ الأنبياء : ١٨ .

وقامت بجانب هذه الجماعات أقسام نسائية للأخت المسلمة الداعية إلى الله ، ووجد القلم النسائي المسلم ، وفضلا عن ذلك فقد وجدت الجمعيات النسائية المنفصلة مثل جمعية السيدات المسلمات .

واستطاعت هذه الجمعيات أن تؤثر في المجتمع على قلتها وأن ترد صلف كثير من الهجمات على المرأة المسلمة واتهامها بالتخلف ، كما استطاعت أن تهدد فعلا مستقبل التغريب في مصر . وكانت بعض القيادات الإسلامية للسيدات على مستوى المسئولية ، مثل السيدة الفاضلة زينب الغزالي ، والسيدة الفاضلة حميدة قطب . والسيدة الفاضلة أمينة قطب ، والسيدة الفاضلة حرم الأستاذ الهضيبى والسيدة الفاضلة آمال العشماوى ، والسيدة الفاضلة علية الهضيبى والسيدة الفاضلة خالدة حسن الهضيبى .

زينب الغزالى والعمل الإسلامى :

قامت السيدة الفاضلة زينب الغزالى بقيادة العمل النسائى فى الشرق فى فترة من أصعب فترات التاريخ الحديث ، حيث تكالب على الإسلام الأعداء من كل حدب وصوب مع حكومة مسلطة قاهرة ، يتحكم فيها العسكريون بدكتاتورية رهيبة أخافت القلوب وأفزعت النفوس وأخذت

بالظنة ، وحاسبت المسلم الملتزم حسابا عسيرا وعلقت على المشانق رواد الحركة الإسلامية ومفكريها وفتحت السجون والمعتقلات لكل غيور على دينه ودعوته ، وشردت الأسر ويتمت الأطفال وأجاعت البطون وأطلقت أيدى الجلادين ذات اليمين وذات الشمال واستباحت الأموال والأعراض فى سبيل كبت كل صوت ينادى بالإيمان والقرآن دستورا للحياة .

فى هذا الجو الكئيب دخلت زينب الغزالى أتون المعركة لتصارع مع المجاهدين طوابير الظلمة وصولة الفراعنة .

وتحكى زينب الغزالى صلتها بالإخوان المسلمين بعد تأسيسها جماعة السيدات المسلمات ، فتقول : كان أول لقاء لى مع الإمام الشهيد حسن البنا عقب محاضرة ألقيتها على الأخوات المسلمات فى دار الإخوان المسلمين وكانت يومئذ فى العتبة [1] . وكان الإمام المرشد فى سبيله لتكوين قسم للأخوات المسلمات وبعد مقدمة عن ضرورة وحدة صفوف المسلمين واتفاق كلمتهم دعانى إلى رئاسة قسم الأخوات المسلمات ، وكان هذا يعنى دمج جماعتى التى أنشأتها وهى جمعية السيدات المسلمات — التى أعتز بها — فى الإخوان المسلمين واعتبارها جزءا منها ، ولم أعد بأكثر من مناقشة الأمر مع الجمعية العمومية للسيدات المسلمات ، التى رفضت الاقتراح وإن حبذت وجود تعاون وثيق بين الهيئتين ثم دارت الأحداث بسرعة سنة ١٩٤٨ وصدر قرار الحل لجماعة الإخوان ومصادرة أملاكهم وإغلاق شعبهم ، وزج الآلاف فى المعتقلات وقامت الأخوات المسلمات فى حركة الإخوان المسلمين بنشاط يشكرن عليه وكانت إحداهن السيدة تحية الجبيلى زوجة أخى وابنة عمى ومنها عرفت الكثير من التفاصيل . ولأول مرة وجدت نفسى مشتاقة إلى مراجعة كل آراء الأستاذ البنا وإصراره على الاندماج الكلى ....

---

(١) مكان وسط القاهرة .

إلى أن قالت : ثم اتصلت بالأستاذ المرشد وأرسلت له خطاباً صغيراً أقول فيه :

سيدى الإمام حسن البنا .

زينب الغزالى تقدم إليك وهى عارية من كل شىء إلا من عبوديتها لله وتعبيد نفسها لخدمة دعوة الله . وأنت اليوم الإنسان الوحيد الذى يستطيع أن يبيع هذه الأمَةَ بالثمن الذى يرضيه لدعوة الله تعالى :

وفى انتظار أوامرك وتعليماتك سيدى الإمام ..... » .

والتقيت بالأستاذ البنا وقلت له « اللهم إنى أبايعك على العمل لقيام دولة الإسلام وأرخص ماأقدم فى سبيلها دمى ، والسيدات المسلمات بشهرتها » فقال : وأنا قبلت البيعة وتظل السيدات الآن على ماهى عليه » وبعد ذلك بقليل اغتيل الإمام البنا رحمهُ الله وظل الإخوان فى السجون إلى أن أعيدت الجماعة مرة أخرى وتتابعت الأحداث وجاءت أحداث ١٩٥٤ واعتقل الأخوان مرة أخرى وحوكموا وصدرت أحكام الإعدام على قادتهم من مفكرى وقمم القيادات الإسلامية فى العالم مثل الشهيد المستشار عبدالقادر عودة . وصاحب الفضيلة العالم الأزهرى الورع الشيخ محمد فرغلى وإخوانه الكرام ، حتى المجاهد الكبير الإمام حسن الهضيبى حكموا عليه بالإعدام ولم ينفذ ، فقد أصيب فجأة بذبحة شديدة فى القلب نقل على أثرها للمنزل وقرر الأطباء أنه لن يعيش أكثر من ساعات .. وهنا ظهر عبد الناصر فأصدر عنه عفوا متوقعا أن يقرأ نعيه فى الصحف صباح اليوم التالى . ولكن الله أحبط كيده وعاش الإمام .

وقامت زينب الغزالى هى وكثير من الأخوات المسلمات برعاية أسر المسجونين والمعتقلين الذين تركوا بغير عائل وحاصرتهم الدولة حتى لا تصل إليهم يد المعونة من أحد حتى يضطرهم الجوع إلى الانحراف قامت زينب وأخواتها بذلك العون المطلوب .

تخطيط الحكومة اللئيم :

حاول جمال عبد الناصر أن يغتالها فى أوائل فبراير سنة ١٩٦٤ بحادث تصادم متعمد وفر الفاعلون وذهبت إلى المستشفى فى حالة خطيرة ، ثم سلمها الله من ذلك ثم حيكت لها التهم وقبض عليها سنة ١٩٦٥ وعذبت حتى تتقول وتخضع لمرادهم فى هدم الحركة الإسلامية وتترك دعوة الإسلام فامتنعت ، فصب عليها العذاب صبا بما لا تطيقه الرواسى فاحتسبت هى وزميلاتها اللائى كن يدعون إلى الإسلام وكلما زاد العذاب زاد الصبر والاحتساب قائلة ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** ﴾ وقد كتبت فى ذلك مذكرات بعنوان « أيام من حياتى » تشرح فيها ماجدث معها ومع المجاهدات المسلمات مما لا يصدقه عقل أو يخطر على بال شيطان (١) .

ثم حكم عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة وعلى حميدة قطب بعشر سنوات وتفاوتت الأحكام على النساء وكان هذا أول عمل إجرامى ضد المرأة فى التاريخ الحديث ، عمل ما أقدم عليه حتى المستعمر والغاصب فى أيام الاحتلال والظلم .

وقد خرجت السيدة زينب من السجن لتجاهد ما استطاعت إلى ذلك سبيلا إلى اليوم وقد أثبت التاريخ أنها أصلب عودا من أى امرأة باشرت عملا دعويا أو سياسيا فى العصر الحديث .

آل قطب :

دخل ذلك الجهاد الشاق آل قطب « حميدة قطب » وقد تكلمنا عنها حيث دخلت السجن مع زميلاتها وذاقت من العذاب ماذاقت وأخذت فى نهاية الأمر عشر سنوات سجن .

---

(١) انظر فى ذلك كتابها : أيام من حياتى .

وكذلك دخلت المحنة أمينة قطب الشاعرة الأديبة وضربت مثلا رائعا فى الثبات والتضحية والوفاء ، كما أرادت مع ذلك أن تضرب المثل فى المواساة والتضحية والإسناد لرجال الإيمان فى محنتهم الطويلة فارتبطت فى السجن وتزوجت بالأستاذ كمال السنانيرى الذى سجنه عبد الناصر وحكم عليه بالسجن مدى الحياة « ٢٥ عاما » وتقول هى فى ذلك : كان هذا الارتباط بالمجاهد كمال السنانيرى وهو داخل السجن قمة التحدى للحاكم الفرد الطاغية الذى قرر أو تقرر له من قبل صانعيه ، أن يقضى على دعاة الإسلام إما بالقتل أو الإهلاك بقضاء الأعمار داخل السجون . وانتظرت العروس السجين حتى خرج من السجن ودخلت على عريسها ولكن الطاغوت لم يمهل العروسين فأخذ الزوج ثانية إلى السجن والتعذيب حتى يقر للطاغية بالذل فأبى المجاهد الكبير واستشهد تحت العذاب دون أن يعطى للجلادين مايريدون .

فانطلقت المجاهدة العزيزة والزوجة الحنون ترثيه بقلمها السيال العذب الحنون تقول :

ماعدت أنتظر المجىء ولا الحديث ولا اللقاء
ماعدت أرقب وقع خطوك مقبلا بعد انتهاء
ماعدت أهرع حين تقبل باسما رغم العناء
وأضىء نور السلم المشتاق ينعم بارتقاء
ويضىء بيتى بالتحيات المشعة كالرجاء
ونعيد تعداد الدقائق كيف وافانا المساء
وينام جفنى مطمئنا لا يؤرقه عناء
ما عدا يطرق مسمعى فى الصبح صوتك بالدعاء

إلى أن تقول تصور لقاءه وإجابته لنداء ربه وفرحه بالجنان والأحباب من المجاهدين :

ومضيت كالمشتاق كالولهان حبا للنداء

وهل التقيت بالأحباب ؟ مالون اللقاء ؟

فى حضرة الديان فى الفردوس من فيض العطاء

وبدار حق قد تجمعتم بأمن واحتماء

إن كان ذاك فمرحبا بالموت مرحى بالدماء

فلسوف ألقاكم هناك وتختفى دار الشقاء

ولسوف ألقاكم أجل ، وعد يصدقه الوفاء

ونثاب أياما قضيناها عناء وابتلاء

وسنحتمى بالخلد لا نخشى فراقا أو فناء

وهكذا عاشت المجاهدات فى حضن الآلام والفواجع ثابتات الخطى فى القرن العشرين .

الفصل الثالث

دروس للداعيات على طريق الدعوة ونصائح لهن

المبحث الأول : دروس للداعيات على طريق الدعوة :

هناك دروس يجب أن يلتفت إليها الداعي والداعية على طريق الدعوة إلى الله تعالى على حد سواء ، ولكنها في الحقيقة قد تكون ألزم للداعيات المسلمات ، من هذه الدروس :

١ ـ الثبات عند الفواجع :

لا شك أن طريق الدعوة دائماً محفوف بالأخطار وخاصة في العصر الحديث وهذا هو طريق الدعوات مصداقاً لقوله تعالى :

ـ **﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾** الرعد : ١٧ .

ولأن الحق لابد أن يجد مقاومة من الباطل والسيدات قد تغلبهن العاطفة وقد يتسرب إليهن بعض من الخوف ، وخاصة في عصر الجبروت ، ولكن الاستعانة بالله تبارك وتعالى تذهب ذلك والاحتساب يساعد عليه .

أم إسحاق الغنوية :

هلعت أم إسحاق على قتل أخيها إسحاق فدخل عليها رسول الله فتوضأ عندها فوجدها جزعة فأخذ كفاً من الماء فنضحه في وجهها . قالت أم حايم بنت دينار الراوية : فلقد كانت تصيب أم إسحاق بعد ذلك

المصيبة العظيمة ، فترى الدمع في عينيها ولا تسيل على خدها ، ثم واساها رسول الله ﷺ فأكل معها وأكلت مع رسول الله ﷺ وناولها رسول الله ﷺ عرقاً من اللحم وقال لها أصيبي من هذا يا أمّ إسحاق ، فلما أكلت وشبعت قالت : يا رسول الله إني نسيت أني كنت صائمة ، فقال ذو اليدين : الآن بعدما شبعت ، فقال النبي ﷺ : « إنما هو رزق ساقه الله إليك » (١) .

والصبر والثبات يعطي المرأة قوة وقدرة على التصرف في الأمور وقد أراد الرسول لنساء المسلمين ذلك فالإسلام يريده .

وقد تأتي المواقف الصعبة فلا يثبت أمامها إلا القوي ويكون في ذلك الخير ويكون هذا الثبات دائماً في صالح المسلمين .

أزدة بنت الحارث بن كلدة :

مجاهدة ثابتة خاضت ساحة الوغى بثبات واقتدار وتمكنت من صنع حيلة تسببت في نصر المسلمين نصراً مؤزراً .

ذكر المؤرخون أن أهل ميسان (٢) جمعوا للمسلمين جمعاً وعليهم قائدهم الفيلكان فلقيهم المغيرة بن شعبة على نهر البصرة ، ووقع جنود المسلمين في حرج فقالت أزدة بنت الحارث للنسوة اللاتى خرجن خلف المجاهدين : إن رجالنا فى نحر العدو ونحن خلوف ، ولآمن أن يخالفوا إلينا وليس عندنا ما يمنعنا ، وأخرى أخاف أن يكثر العدو على المسلمين فيهزموهم ، فلو خرجنا لأمنا مما نخاف من مخالفة العدو إلينا ويظن المشركون أنا عدد ومدد قد أتى المسلمين فيكسرهم ذلك وهي مكيدة فأجبنها إلى ما أرادت فعقدت لواء من خمارها واتخذت النساء رايات من خمرهن ومضين

(١) الإصابة في تاريخ الصحابة لابن حجر ٤/٤١٣ .

(٢) ميسان : كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط .

وهي أمامهن وهي تقول :

يا ناصر الإسلام صفاً بعد صف . إن تهزموا وتدبـروا عنـا نخف
أو يغلبوا يغمزوا فينا القلف

ثم انتهت إليهم والمشركون يقاتلونهم ، فلما رأى المشركون ذلك وأبصروا الرايات مقبلة ، ظنوا أن مدداً آتٍ للمسلمين فانكشفوا وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وفتح الله على المسلمين بواسطتها (١) . وكان لثبات أزدة الفضل في ذلك .

وهناك نساء لهن سمة ورأى وهيبة في وسط أي مجتمع وذلك ما تحقق لفاطمة بنت قيس الفهرية من المهاجرات الأول مع رسول الله ﷺ وكانت زوجة لأبي عمر بن حفص ، قال الزبير فيها : كانت امرأة نجوداً (٢) شجاعة صاحبة رأي ، اجتمع عندها في بيتها الصحابة من أصحاب الشورى عند مقتل عمر ليروا ماذا يكون من أمر الخلافة وخطبوا خطبهم المشهورة .

وروت عن النبي ﷺ ٢٤ حديثاً ، تزوجت أسامة بن زيد وكانت عظيمة لا تهاب المواقف (٣) .

كما أن بعض مواقف الظلم قد تنخلع منها القلوب ولكنها عند أصحاب العقائد والإيمان وأصحاب الهمم لا تنال منهم .

نائلة زوجة عثمان بن عفان :

عاشت نائلة في بيت عثمان معززة مكرمة فأخلصت له ووقفت إلى

---

(١) أعلام النساء ١/ ٤١ ، تاريخ الطبري وفتوح البلدان للبلاذري .

(٢) النجود : المرأة النبيلة المهابة الشجاعة .

(٣) طبقات ابن سعد ، والاستيعاب لابن عبد البر على الإصابة ٤ / ٣٧١ ، وأعلام النساء ٤ / ٩٢ .

جانبه وعرضت نفسها للهلاك من أجله وحين اشتدت عليه المحنة وأحكم عليه الحصار صمدت معه ، وتلقت ضربات السيوف بأيديها قبل أن تصل إليه .

فلما ألقي الرجال بحبالهم على أسوار منزل عثمان ودخلوا عليه أسرعت نائلة تنشر شعرها .

فقال لها عثمان : خذي خمارك فإن جَمَّةَ شعرك أعظم عندي من دخولهم علي ، وحين هجم عليه أحدهم وهوى عليه بالسيف تلقت نائلة السيف بيدها عن زوجها فقطعت أناملها ، فصرخت على رباح غلام عثمان فأسرع نحو الرجل فقتله . بينما كانت تهرع لإمساك سيف رجل ثان تمكن أن يحز أصابع يدها الأخرى وهو يدخل السيف في بطن عثمان فيقتله وهرب القتلة ، وانتقل الخبر إلى المدينة فحل الوجوم والقلق على وجوه الناس وتركت جثته فلم تدفن خوف هياج المتمردين ولكن نائلة على ما بها جمعت الناس ليلا وتقدمتهم بسراج تضيء الطريق حتى تم دفنه والصلاة عليه غير هيابة ولا وجلة ، وظلت وفية لعثمان ، فلم تتزوج وكانت من أجمل النساء كلما جاءها خاطب ردته ، وخطبها معاوية فأبت أن تتزوج ثم قالت للنساء : ما يعجب الخطاب فيّ ، قلن : ثناياك وكانت مليحة وأملح ما فيها ثغرها ، فخلعت ثناياها وأرسلت بهن إلى معاوية ، وحين سئلت لم صنعت هذا بفمها الجميل؟ قالت : حتى لا يطمع فيّ الرجال بعد عثمان رضي الله عنها (١) .

آمنة بنت الشريد :

بعد مقتل علي بن أبي طالب في الفتنة المعروفة شن معاوية حملة على أتباعه ولاحقهم ومن الذين لاحقهم زوج آمنة بنت الشريد ، ولم يجد معاوية

(١) انظر في ذلك : مائة أوائل من النساء ، سليمان سليم ص ٢٥٣ ، الطبري ٣ / ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٣ ، ٤١٣ ، ٥٦٢ .

الزوج فقبض على الزوجة حتى يصل إلى الزوج وزجها في السجن ثم تمكن بعد ذلك من الإمساك بزوجها وقتله . ثم قطع رأسه وأرسلها إليها في السجن وبينما كانت آمنة قابعة في سجنها المظلم تصلي وتعبد الله إذ بالباب يفتح ويدخل عليها رسول من معاوية ويلقي في حجرها رأس زوجها عمر بن الحمق دفعة واحدة . فارتاعت ونظرت إلى الرأس ولكنها تماسكت ومدت يدها نحو الرأس والدموع في عينيها وهي تقول : واحزناه ، نفيتموه عني طويلا ، وأهديتموه إلي قتيلا ، فأهلا وسهلا بمن كنت له غير قالية ، وأنا له اليوم غير ناسية ، ثم رفعت رأسها نحو رسول معاوية الذي جاء بالرأس وقالت :

ارجع إليه وقل له : يتم الله ولدك ، وأوحش منك أهلك ، ولا غفر الله لك ذنبك ، فأرسل إليها معاوية يؤنبها على هذا الكلام ويقول : آأنت يا عدوة الله صاحبة هذا الكلام الذي بلغني؟ فقالت غير وجلة : نعم . غير نازعة عنه ولا معتذرة منه ولا منكرة له فلعمري لقد اجتهدت بالدعاء إن نفع الاجتهاد وإن الحق لمن وراء العباد ، وما بلغك شيء من جزائك ، وإن الله بالنقمة من ورائك [1] .

نعم الشخصيات القوية القادرة لها مجال في زعزعة الباطل وفي الوقوف أمامه إن أرادت ، وفي الصمود والثبات تكون مثلا للضعفاء ومثالهم على التقدم وأثراً يظل على مدى الأيام ، وقد رأينا في العصر الحديث كثيراً من السيدات المسلمات وقفن في وجه الظلم والطغيان عند الشدة وكن حديث الركبان والأيام .

---

(١) مائة أوائل من النساء ص ٣٢٣ .

٢ ـ ضرب المثل الحي :

لا شك أن القدوة لها دخل كبير في الدعوة إلى الله وقد تكلمنا في هذا من قبل ولكن هناك أمثلة حية تعيش في المجتمعات تكون كالأبرار بالنسبة للصالحين ، هم خيار من خيار ، وهذا يجب أن يكون في الدعاة إلى الله والمرموقات في الدعوة إلى الله بنوع خاص : ولعل هذا المعنى الذي أريد ، يوضحه قول الحق سبحانه لأزواج النبي :

ـ ﴿ **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن** ﴾ .

إلى أن يقول :

ـ ﴿ **وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ الأحزاب : ٣٣ .

وضرب المثل الحي يكون أول ما يكون في البيت في الأسرة مع الزوج قبل أن يكون مع الناس في الخارج : ولنضرب لذلك مثلا :

زينب بنت حدير :

من ربات العقل والرأي والكمال : قالت لزوجها شريح القاضي صاحب العقل والرأي عند الزواج ليلة الدخول عليها :

على رسلك إن الحمد لله أحمده وأستعينه ، إني امرأة عربية ولا والله ما سرت مسيرة قط أشد علي منه ، وأنت غريب لا أعرف أخلاقك فحدثني بما تحب فآتيه وما تكره فأنزجر عنه ، فقال شريح : الحمد لله ، وصلى الله على محمد ، قدمت خير مقدم ، قدم على أهل دار ، زوجك سيد رجالهم ، وأنت سيدة نسائهم أحب كذا وأكره كذا . فبات شريح بأنعم ليلة وأقام عندها ثلاثاً ، ثم خرج إلى مجلس القضاء ، فكان لا يرى يوماً إلا هو أفضل من

الذي قبله ، ثم قال فيها :

رأيت رجالا يضربون نساءهم ... فشلت يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها في غير جرم أتت به ... إليّ فما عذري إذا كنت مذنباً
فتاة تزين الحلي إن هي حليت ... كأن بفيها المسك خالط محلبا

آمنة الرملية :

داعية عابدة مثلا في الزهد والتقوى والسلوك الحسن ، كان أكثر أهل زمانها من الصلحاء في القرن الثالث الهجري يترددون عليها ويتبركون بها ويطلبون منها الدعاء .

دخل عليها بعض الصالحات يوماً فقلن لها : نسألك الدعاء فقالت : لو أن الخاطبين خرسوا ما تكلمت عجوزكم من البكم ولكن الدعاء سنة ، ثم قالت : جعل الله قراكم من بيتى الجنة ، وجعل ذكر الموت بيني وبينكم على بال وحفظ علينا الإيمان وهو أرحم الراحمين .

واعتل بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية وإنها لعنده إذ دخل الإمام أحمد بن حنبل يعوده ، فقال : من هذه ؟ فقال : هذه آمنة الرملية بلغها علتنا فجاءت من الرملة تعودني ، فقال : فسلها تدعو لنا ، وفي رواية : فأرسلها تدعو لنا ، فقالت : اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما (١).

يتصور الإنسان امرأة بلغت من الصلاح والقرب أن تدعو لأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث ، وأن يطلب منها الدعاء .

إنها منزلة كبيرة لا شك أنها وصلت إليها عن مجاهدة وعن ثقة ونفس

(١) صفة الصفوة ٤ / ٣٠٥ ، وأعلام النساء ١ / ١٠ ، ولواقح الأنوار في طبقات الأخيار للشعراني .

عالية ، فامرأة مثل هذه ماذا يكون كلامها وحديثها إذا هي دعت إلى الله وسط الناس.

٣ ــ الثقافة والاطلاع:

يجب أن تزود الأخت الداعية عقلها بأصح الحقائق وأقوى المعاني وأصدق المعارف فإن العقل بذلك ينضج ، وتزداد طاقات إدراكه وتتسع آفاقه ويسمو مستواه.

وليس من قبيل التعصب الأعمى أن نذكر أن القرآن الكريم هو بحق خزانة هذه المعارف والحقائق ... ولا يوجد كلام يليه في هذه المرتبة على وضوح وسهولة مأخذ ــ إلا صحيح ما أثر عن رسول الله ﷺ.

فعلى الأخت الداعية أن تتأمل فيما تقرأ من نصوص الإسلام ، وأن تستخلص ما يرد عليها من أصول المعاني وأن تعرف موقع كل أصل في هذا الوجود ، أو ما يتناوله كل أصل من تنظيم المجتمع ، أو تهذيب الخلق أو تثبيت العقيدة أو إمداد العقل بالمعرفة السليمة ... ثم تثبيت ما تدركه في ذهنها بمختلف الوسائل ، فإنها إنما تثبت أهدى المصابيح وأضوأ السرج ، وقد خاطب القرآن الكريم أمهات المؤمنين بذلك حين قال:

ــ ﴿ **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً** ﴾ الأحزاب : ٣٤ .

كما يجب على الداعية أن تعرف وتطّلع على التاريخ الإسلامي والعالمي والمعارك السياسية ونشاط العقل ومجاهدة النفس.

كما يجب أن تثقف نفسها بما تستطيع من معارف العصر المتنوعة في الاجتماع والاقتصاد والصحة ومبادئ العلوم وما يضطرب فيه الناس سياسياً

واجتماعياً وخلقياً من غي ورشد ورذيلة وفضيلة وانحراف واستقامة بحيث تعود نفسها أن تحكم على ما ترى وتسمع وتقرأ، حكماً يستهدي مقاييس الإسلام.

كما يجب أن تقرأ الصحف اليومية، والمجلات الأسبوعية والشهرية والكتب السهلة والنشرات العلمية والأدبية كلها، هذا وقد كانت المرأة على عهد الرسول ﷺ حريصة كل الحرص على العلم والتعلم.

عن عبد الله بن مسعود قال: أرسلت أمي ليلة لتبيت عند رسول الله ﷺ لتنظر كيف يوتر، فباتت عنده فصلى ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان آخر الليل وأراد الوتر قرأ ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ في الركعة الأولى وقرأ في الثانية ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ثم قعد ثم قام ولم يفصل بينهما بسلام ثم قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ حتى إذا فرغ كبر ثم قنت فدعا ما شاء الله أن يدعو ثم كبر وركع، الإصابة ٤/٤٥٣.

إلى هذا الحد كانت النساء تحاول أن تتعلم وأن ترى فتبيت أم عبد الله عند أزواج النبي ﷺ لترى صلاة رسول الله ﷺ.

منهج تعليمي ينبغي على الأخت أن تقرأ منه ما تريد:

١ ــ العقائد	للإمام الشهيد حسن البنا
٢ ــ الله في العقيدة الإسلامية	للإمام الشهيد حسن البنا
٣ ــ الخصائص العامة للإسلام	الدكتور يوسف القرضاوي
٤ ــ فقه السنة ــ الجزء الأول	الشيخ سيد سابق
٥ ــ المصحف المفسر	للشيخ عبد الجليل عيسى
٦ ــ في ظلال القرآن	للأستاذ سيد قطب
٧ ــ رياض الصالحين	للنووي

٨ ـ فقه السيرة	محمد الغزالي
٩ ـ الدعوة إلى الله	للدكتور توفيق الواعي
١٠ ـ الحكم وقضية تكفير المسلم	سالم البهنساوي
١١ ـ ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين	أبو الحسن الندوي
١٢ ـ ثقافة الداعية	للدكتور يوسف القرضاوي
١٣ ـ المؤامرة على المرأة المسلمة	للدكتور السيد فرج
١٤ ـ تعريف عام بدين الإسلام	للشيخ علي الطنطاوي
١٥ ـ التبشير والاستعمار	للدكتور عمر فروخ
١٦ ـ طريق الدعوة	للأستاذ مصطفى مشهور
١٧ ـ حصوننا مهددة من الداخل	للدكتور محمد حسين
١٨ ـ الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية	للدكتور توفيق الواعي

٤ ـ الاقتصاد في الزينة :

كما يجب على الأخت المسلمة الاقتصاد في الزينة ما أمكن خصوصاً تلك التي ترهق الأسرة وتدعو إلى الفتنة خارج البيت .

كما لا يجب أن يكون هم المسلمة هو الزينة فقط ، وليس معنى هذا أن زينة المرأة المسلمة في أسرتها وبيتها محرمة إذا كانت لا تتجاوز حدود التعاليم ولكن ينبغي أن لا يكون هم المرأة وشغلها الشاغل هو الزينة والبهرج فقط وإنما هناك أمور أخرى تحتاجها الحياة ويسعى إليها المسلم .

روى ابن حجر في الإصابة في معرفة الصحابة عن ميمونة بنت سعد أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مثل الرافلة في الزينة كمثل الظلمة لا نور لها » (١) أي تشغلها وتغتر بها بدون عمل أو غاية وإنما النور في العمل ونفع

(١) الإصابة ٣٩٩/٤ .

الناس والاستفادة بالهدي والنور ونشره بين الناس والعمل بما يرضي الله تعالى .

وحينما تنفتح الشهوة للزينة تنفتح للمال وحب جمعه من أي طريق لذلك الغرض لصرفه فيما لا ينفع .

وهناك نساء تنفتح شهوتهن للمغنم والمال ولا تنفتح للنصر أو معالي الأمور .

فاطمة بنت شيبة :

تزوجها عقيل بن أبي طالب ودخل عليها يوم حنين فقالت له بعد الغزوة : ماذا غنمتم ، لم تسأل عن الفتح ولا عن النصر ولا عن الناس . فناولها إبرة ، فإذا منادي النبي ﷺ ينادي أن أدوا الخياط والمخيط فأخذ الإبرة فألقاها في المغنم (١) .

فاطمة بنت الضحاك الشقية :

تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير ، فاختارت الدنيا ، ففارقها ، فافتقرت بعد ذلك وكانت تلتقط البعر من الطريق ، وتقول أنا الشقية اخترت الدنيا (٢) .

٥ ـ عدم احتقار أي عمل :

يجب أن يبتعد التعالي والغرور عن الأخت الداعية ، وكل عمل مهما كان صغيراً في سبيل الله فهو عمل طيب له ثوابه فلا تحتقرن أي أخت أي عمل لصغره .

---

(١) المرجع السابق ٤/٤٧٠ .
(٢) المرجع السابق ٤/٣٧١ .

أم محجن :

امرأة سوداء كانت تقم المسجد فتفقدها رسول الله ﷺ فأخبر أنها قد ماتت ، فقال : ألا آذنتمونى بها ؟ فخرج فصلى عليها وكبر أربعاً ، وقيل : إن رسول الله ﷺ مر على قبر حديث عهد بدفن فقال متى دفن هذا؟ فقيل : هذه أم محجن التي كانت تقم المسجد ، فقال : أفلا آذنتموني؟ قالوا : كنت نائماً فكرهنا أن نوقظك فصلى عليها وكبر أربعاً .

٦ ـ عدم احتقار عاص :

فمن يدري فربما كان بعد قليل أكرم الناس إسلاماً . قال ﷺ : ورب معاند اليوم يكون هو بطل الفكرة غداً ، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال : « تجدون الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية قبل أن يقع فيه ، وتجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه » البخاري ٢١٧/٤ .

مارية القرشية :

الذي حبس عندها المشركون خبيب بن عدي ليقتلوه أي كانت سجان أحد المؤمنين المحكوم عليهم بالإعدام ، أسلمت وحسن إسلامها وروت ما روته عن خبيب فترة حبسه وعن ثباته وإكرام الله له .

قالت : كان يتهجد بالقرآن فإذا سمعته النساء بكين ورفقن عليه فقلت له : هل لك من حاجة قال : لا . إلا أن تسقيني العذيب ولا تطعميني ما ذبح على النصب وتخبريني إذا أرادوا قتلي فلما أرادوا قتله أخبرته ، فوالله ما اكترث بذلك وقال ابعثي لي بجريدة أستصلح بها ، فبعثتها له مع ابني ثم ندمت فنظر إلي فرآني خائفة على ولدي منه فقال : لا تخافي ما كنت لأقتله

ولا يستحل في ديننا الغدر . وقالت : وكان خبيب محبوساً لا يدخل عنده أحد وكنت أطلع عليه من خلف الباب وفي يده قطف من العنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم في الأرض حبة عنب (١) .

٧ ـ التعاون في أمر الدعوة :

ممكن أن تكون النساء عنصرا فعالا جداً في الدعوة مع الرجال وأن يكن موطن أسرار وحلقات اتصال وخصوصاً في أوقات الشدة وأن يدعن الغيرة بينهن ويحتسبن العمل لله سبحانه كما كانت تفعل ذلك الصحابيات رضي الله عنهن .

روى الطبراني بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أسلم أبو بكر قام خطيباً فدعا بدعاء رسول الله ﷺ إلى الله ورسوله فثار المشركون فضربوه « الحديث » وكانت أم أبي بكر قد أسلمت قبل ذلك ، فحمل إليها أبو بكر لا يدري شيئاً من كثرة الإيذاء والضرب فلما أفاق سأل عن رسول الله ﷺ فقالت له أمه : لا ندري ، فقال لها : سلي أم جميل بنت الخطاب وكان معها سر تحركات رسول الله ﷺ ، فذهبت إليها أم أبي بكر فلم تخبرها بشيء وحضرت معها إلى أبي بكر ، فقال أبو بكر الصديق لأم جميل لا عين عليك من أمي ـ أي قد أسلمت فلا خوف من إذاعة خبر رسول الله أمامها ـ فأخبرته من أمر رسول الله ﷺ وأنه سالم بخير وهو في دار الأرقم بن أبي الأرقم » أخرجه الطبراني (٢) .

فقد كانت النساء منظمات ومدربات على الدعوة في جميع مراحلها رضي الله عنهن .

---

(١) المرجع السابق ٣٩٢/٤ .   (٢) الإصابة ٤٢٩/٤ .

المبحث الثاني : نصائح عامة :

١ ــ لا بد للأسرة المسلمة من وجود مكتبة إسلامية مناسبة حسب الطاقة المالية .

٢ ــ يجب الاهتمام بحفظ مجموعة من القصائد والأناشيد الإسلامية لبث الحماس .

٣ ــ أن يكون هناك ورد يومي للقرآن تلاوة وحفظا وتفسيرا .

٤ ــ أن تكوني شديدة الحياء فيما يستحى منه ، دقيقة الشعور عظيمة التأثر بالحسن وتسري له ، والقبيح وتتألمي له وأن تكوني متواضعة في غير ذلة .

٥ ــ أن تكوني عادلة صحيحة الحكم في جميع الأحوال في الغضب والرضا .

٦ ــ أن تكوني رحيمة القلب كريمة سمحة تصفو وتصفح وتلين وتحلم ، وترفق بالإنسان والحيوان . جميلة المعاملة حسنة السلوك مع الناس جميعاً ، محافظة على الآداب الإسلامية .

٧ ــ أن تجيدي اللغة العربية إلقاء وكتابة وتكثري من المطالعات المفيدة وأن تتعلمي ما أمكن لغة أجنبية لدعوة غير المسلمات إن أمكن .

٨ ــ أن تخدمي الثروة الإسلامية بأن تشجعي وتعلني عن كل ما هو إسلامي من إنتاج وبنوك وصناعة وتجارة وأن تحرصي على القرش فلا تضعيه إلا في يد إسلامية في أوطان المسلمين .

٩ ــ أن تحسني التصرف في الأموال وأن يكون لك ولو قليلا شئ من المال في الاستثمار الحلال .

١٠ ــ أن تعملي على إحياء العادات الإسلامية وإماتة العادات الدخيلة وأن تتحري السنة المطهرة بالحسنى والذوق السليم والحكمة وبما لا

يؤدي إلى النفور ، والتدرج إلى الغاية مطلوب .

١١ ــ أن تديمي مراقبة الله تعالى في السر والعلن وأن تتقربي إلى الله بالنوافل في الصيام والصلاة ، وأن يكون اللسان رطباً بذكر الله .

١٢ ــ استحباب الطهارة وإحسانها وأن يعمل الإنسان على أن يظل على وضوءٍ إن أمكن إلى ذلك سبيلا .

١٣ ــ تجديد التوبة والاستغفار والندم على الجهل فيما فات وعدم معاشرة المفسدين أو الجلوس معهم إلا بقصد الدعوة أو الإرشاد إن وجد الإنسان في نفسه القدرة على ذلك .

المبحث الثالث : آراء حول انطلاقة المرأة المعاصرة :

مما لا شك فيه أن هناك تخلفاً فى انطلاقة المجتمع الإسلامى ، وهناك قصورا معينا فى تطبيق الإسلام وفهمه وهذا هو سبب التخلف أو من الأسباب الجوهرية فى تخلف الأمة ، ولهذا انطلقت الأقلام تبحث عن هذا القصور محاولة إصلاحه واستدراكه .

ونالت المرأة هى الأخرى مانال الرجل وحاق بها ماحاق به ، وقد شخصت الأمراض والعلل فى كثير من المجالات ، وجرت محاولات أخرى لتشخيص باقى العلل والأمراض .

ومن الأمور التى يجرى تشخيصها أحوال المرأة وانطلاقتها فى الحياة ورأى الإسلام فى ذلك وحدود هذا ومعالمه .

ونحن نقدم فى هذه الصفحات اجتهادات البعض من علماء الإسلام ودعاته ، واقتراحات بعض الهيئات الإسلامية فى هذا المجال بدون تعليق ، وبدون حذف أو إضافة ليكون ذلك إنارة للطريق وإسهاما فى مجال العمل والانطلاق إلى آفاق أجدى للعمل وأرحب فى الفهم ، فنقدم :

١ ـ رأيا للدكتور يوسف القرضاوى : عميد كلية الشريعة بقطر.

٢ ـ ورأيا للشعبة القانونية للإخوان المسلمين .

أولا : رأى الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى :

حول ترشيح المرأة للمجالس النيابية

المرأة إنسان مكلف مثل الرجل ، مطالبة بعبادة الله تعالى ، وإقامة دينه ، وأداء فرائضه ، واجتناب محارمه ، والوقوف عند حدوده ، والدعوة إليه ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وكل خطابات الشارع تشملها ، إلا ما دل دليل معين على أنه خاص بالرجال ، فإذا قال الله تعالى : ﴿ **يأيها الناس** ﴾ أو ﴿ **يأيها الذين آمنوا** ﴾ فالمرأة داخلة فيه بلا نزاع .

ولهذا لما سمعت أم سلمة رضي الله عنها النبي ﷺ يقول : « أيها الناس » وكانت مشغولة ببعض أمرها ، هرعت لتلبية النداء ، حتى استغرب بعضهم سرعة إجابتها ، فقالت لهم : أنا من الناس .

والأصل العام : أن المرأة كالرجل فى التكليف إلا ما استثني ، لقوله تعالى ﴿ **بعضكم من بعض** ﴾ (آل عمران : ١٩٥) وقوله ﷺ : « إنما النساء شقائق الرجال » رواه أحمد ، والترمذي ، وأبو داود ، والدارمي .

والقرآن الكريم يحمل الجنسين : « الرجال والنساء جميعا ، مسئولية تقويم المجتمع وإصلاحه وهو ما يعبر عنه إسلاميا بعنوان (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) . يقول الله تعالى : ﴿ **والمومنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله** ﴾ (التوبة : ٧١) .

ذكر القرآن فى هذا المقام سمات أهل الإيمان ، بعد أن ذكر سمات أهل النفاق بقوله : ﴿ **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ...** ﴾ التوبة : ٦٧ .

فإذا كانت المنافقات يقمن بدورهن فى إفساد المجتمع ، بجانب الرجال المنافقين فإن على المؤمنات أن يقمن بدورهن فى إصلاح المجتمع ، بجانب الرجال المؤمنين .

وقد قامت المرأة بدورها فى عهد النبي ﷺ ، حتى إن أول صوت ارتفع فى تصديق النبي عليه الصلاة والسلام ، كان صوت امرأة هى خديجة رضى الله عنها ، وأول شهيد فى سبيل الإسلام كان امرأة ، هي سمية أم عمار ، رضي الله عنها .

حتى إن منهن من قاتل مع النبي ﷺ فى « أحد » و « حنين » .. وغيرهما . وحتى جاء فى تراجم البخارى : « باب غزو النساء وقتالهن » . والناظر فى أدلة القرآن والسنة يجد أن الأحكام فيهما عامة للجنسين ، إلا مااقتضته الفطرة فى التمييز بين الزوجين : الذكر والأنثى ، وما أعد له كل منهما ، فللمرأة أحكامها الخاصة بالحيض والنفاس والاستحاضة والحمل والولادة والإرضاع والحضانة ونحوها .

وللرجل درجة القوامة والمسئولية عن الأسرة ، ولها عليه حق الإنفاق والرعاية .

وهناك أحكام تتعلق بالميراث ، جعل فيها للذكر مثل حظ الأنثيين ، والحكمة فيها واضحة ، وهى مبنية على تفاوت الأعباء والتكاليف المالية بين الرجل والمرأة .

وأحكام أخرى تتعلق بالشهادة فى المعاملات المالية والمدنية ، وقد

جعلت شهادة المرأتين فيها كشهادة رجل . وهي أيضا مبنية على اعتبارات واقعية وعملية روعي فيها الاستيثاق في البينات ، احتياطا لحقوق الناس وحرماتهم .

لذلك وجد من الأحكام ماتقبل فيه شهادة امرأة واحدة ، كما في الولادة والرضاع .

تنبيهات مهمة :

وأود أن أنبه هنا على جملة أمور مهمة :

الأول : أننا يجب ألا نلزم أنفسنا إلا بالنصوص الثابتة الصريحة الملزمة . أما ما لا يثبت من النصوص كالأحاديث الضعيفة ، أو ما كان محتملا في فهمه لأكثر من وجه ، وأكثر من تفسير (مثل ما جاء في شأن نساء النبي) . فليس لأحد أن يلزم الأمة بفهم دون آخر ، وخصوصا في الأمور الاجتماعية العامة التي تعم بها البلوى ، وتحتاج إلى التيسير .

الثاني : أن هناك أحكاما وفتاوى لانستطيع أن نفصلها عن عصرها وبيئتها . ومثلها قابل للتغير بتغير موجباته . ولهذا قرر المحققون أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال والعرف .

وكثير مما يتصل بالمرأة من هذا النوع ، فقد أصابه التشدد والتغليظ حتى حرم عليها الذهاب إلى المسجد ، برغم معارضة ذلك للنصوص الصحيحة الصريحة . ولكنهم قدموا الاحتياط وسد الذريعة على النصوص ، بناء على تغير الزمان !

الثالث : أن العلمانيين اليوم يتاجرون بقضية المرأة ، ويحاولون أن يلصقوا بالإسلام ماهو براء منه ، وهو أنه جار على المرأة ، وعطل مواهبها

وقدراتها ويحتجون لذلك بممارسات بعض العصور المتأخرة ، وبأقوال بعض المتشددين من المعاصرين .

نظرة فى الأدلة :

على هذا الأساس يجب أن ننظر فى موضوع دخول المرأة فى (مجلس الشعب) ومشروعية ترشيحها ، ومشروعية انتخابها لهذه المهمة .

آية ﴿ وقرن فى بيوتكن ﴾ :

فمن الناس من يرى ذلك حراما وإثماً مبينا ، ولكن التحريم لايثبت إلا بدليل لاشبهة فيه . والأصل فى الأشياء والتصرفات الدنيوية الإباحة ، إلا ما قام الدليل على حرمته ، فما الدليل على التحريم ، الذي يسوقه هؤلاء ؟

بعضهم يستدل هنا بقوله تعالى : ﴿ **وقرن فى بيوتكن** ﴾ فلا يجوز للمرأة أن تدع بيتها إلا لضرورة أو حاجة .

وهذا الدليل غير ناهض :

أولا : لأن الآية تخاطب نساء النبي كما هو واضح من السياق ، ونساء النبي لهن من الحرمة ، وعليهن من التغليظ ما ليس على غيرهن . ولهذا كان أجر الواحدة منهن إذا عملت صالحا مضاعفا ، كما جعل عذابها إذا أساءت مضاعفا أيضا .

وثانيا : أن أم المؤمنين عائشة مع هذه الآية ، خرجت من بيتها ، وشهدت (معركة الجمل) استجابة لما تراه واجبا دينيا عليها ، وهو القصاص من قتلة عثمان ، وإن أخطأت التقدير فيما صنعت ، كما ورد عنها رضى الله عنها .

وثالثا : أن المرأة قد خرجت من بيتها بالفعل ، وذهبت إلى المدرسة والجامعة ، وعملت فى مجالات الحياة المختلفة ، طبيبة ومعلمة ومشرفة وإدارية وغيرها ، دون نكير من أحد يعتد به مما يعتبره

الكثيرون إجماعا على مشروعية العمل خارج البيت للمرأة بشروطه .

ورابعا : أن الحاجة تقتضى من(المسلمات الملتزمات) أن يدخلن معركة الانتخاب فى مواجهة المتحللات والعلمانيات اللائي يزعمن قيادة العمل النسائي والحاجة الاجتماعية والسياسية قد تكون أهم وأكبر من الحاجة الفردية التى تجيز للمرأة الخروج إلى الحياة العامة .

وخامسا : أن حبس المرأة فى البيت لم يعرف إلا أنه كان فى فترة من الفترات ــ قبل استقرار التشريع ــ عقوبة لمن ارتكبت الفاحشة ﴿ **فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا** ﴾ (النساء : ١٥) فكيف يظن أن يكون هذا من الأوصاف اللازمة للمرأة المسلمة فى الحالة الطبيعية ؟

سد الذرائع :

وهناك من ينظر إلى الأمر من زاوية أخرى ، هي زاوية (سد الذرائع) . فالمرأة عندما ترشح للبرلمان ، ستتعرض فى أثناء الدعاية الانتخابية للاختلاط بالرجال وربما الخلوة بهم ، وهذا حرام ، وما أدى إلى الحرام فهو حرام .

ولاشك أن سد الذرائع مطلوب ، ولكن العلماء قرروا أن المبالغة فى سد الذرائع كالمبالغة فى فتحها ، قد يترتب عليها ضياع مصالح كثيرة ، أكبر بكثير من المفاسد المخوفة .

وهذا الدليل يمكن أن يستند إليه من يرى منع المرأة من الإدلاء بصوتها فى الانتخاب خشية الفتنة والفساد ، وبهذا يضيع على الإسلاميين أصوات كثيرة ، كان يمكن أن تكون في صفهم ضد اللادينيين .. ولاسيما أن أولئك يستفيدون من أصوات النساء المتحللات من الدين .

وقد وقف بعض العلماء يوما فى وجه تعليم المرأة ، ودخولها المدارس والجامعات من باب سد الذرائع حتى قال بعضهم : تعلم القراءة لا الكتابة ! حتى لا تستخدم القلم فى كتابة الرسائل الغرامية ونحوها ! ولكن غلب التيار الآخر ، ووجد أن التعلم فى ذاته ليس شرا ، بلى ربما قادها إلى خير كثير .

ومن هنا نقول : إن المسلمة الملتزمة ـــ إذا كانت ناخبة أو مرشحة ـــ يجب أن تتحفظ فى ملاقاتها للرجال من كل ما يخالف أحكام الإسلام ، من الخضوع بالقول أو التبرج فى الملبس أو الخلوة بغير محرم ، أو الاختلاط بغير قيود . وهو أمر مفروغ منه من قبل المسلمات الملتزمات .

المرأة والولاية على الرجل :

وهناك من يستدلون على منع المرأة من الترشيح للمجلس النيابي بأن هذا ولاية على الرجال ، وهي ممنوعة منها ، بل الأصل الذي أثبته القرآن الكريم أن الرجال قوامون على النساء ، فكيف نقلب الوضع وتصبح النساء قوامات على الرجال ؟

وأود أن أبين هنا أمرين :

الأول : أن عدد النساء اللائي يرشحن للمجلس النيابي سيظل محدودا ، وستظل الأكثرية الساحقة للرجال ، وهذه الأكثرية هى التى تملك القرار ، وهي التى تحل وتعقد فلا مجال للقول بأن ترشيح المرأة للمجلس سيجعل الولاية للنساء على الرجال !

الثاني : أن الآية الكريمة التى ذكرت قوامة الرجال على النساء ، إنما قررت ذلك في الحياة الزوجية ، فالرجل هو رب الأسرة ، وهو المسئول عنها ، بدليل قوله تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض . وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ . (سورة النساء : ٣٤) فقوله : « بما أنفقوا من أموالهم » يدلنا على أن المراد القوامة على الأسرة ، وهي الدرجة التى

منحت للرجال فى قوله تعالى : ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة** ﴾ سورة البقرة : ٢٢٨ .

ومع قوامية الرجل على الأسرة ، ينبغي أن يكون للمرأة دورها ، وأن يؤخذ رأيها فيما يهم الأسرة ، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم فى مسألة فطام الرضيع ﴿ **فإن أرادا فِصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما** ﴾ سورة البقرة : ٢٣٣ .

وكما جاء فى الحديث الذي رواه أحمد : « آمروا النساء فى بناتهن » أي استشيروهن فى أمر زواجهن .

أما ولاية بعض النساء على بعض الرجال ــ خارج نطاق الأسرة ــ فلم يرد مايمنعه بل الممنوع هو الولاية العامة للمرأة على الرجال .

والحديث الذي رواه البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعا : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » إنما يعني الولاية العامة على الأمة كلها أي رئاسة الدولة ، كما تدل عليه كلمة (أمرهم) فإنها تعني أمر قيادتهم ورياستهم العامة . أما بعض الأمر فلا مانع أن يكون للمرأة ولاية فيه ، مثل ولاية الفتوى أو الاجتهاد ، أو التعليم أو الرواية والتحديث أو الإدارة ونحوها ، فهذا مما لها ولاية فيه بالإجماع ، وقد مارسته على توالي العصور ، حتى القضاء أجازه أبو حنيفة فيما تشهد فيه ، أى فى غير الحدود والقصاص ، مع أن من فقهاء السلف من أجاز شهادتها فى الحدود والقصاص ، كما ذكر ابن القيم فى (الطرق الحكمية) . وأجازه الطبري بصفة عامة ، وأجازه ابن حزم ، مع ظاهريته ، وهذا يدل على عدم وجود دليل شرعي صريح يمنع من توليها القضاء ، وإلا لتمسك به ابن حزم ، وجمد عليه ، وقاتل دونه كعادته .

وسبب ورود الحديث المذكور يؤيد تخصيصه بالولاية العامة ، فقد بلغ النبي ﷺ أن الفرس بعد وفاة امبراطورهم ، ولوا عليهم ابنته بوران بنت

كسرى ، فقال : لن يفلح قوم .. الحديث .

شبهة وردها :

ومن الشبهات التى أثارها بعض المعارضين لترشيح المرأة فى المجلس النيابي قولهم : إن عضو المجلس أعلى من الحكومة نفسها ، بل من رئيس الدولة نفسه ، لأنها ـ بحكم عضويتها فى المجلس ـ تستطيع أن تحاسب الدولة ورئيسها ، ومعنى هذا أننا منعناها من الولاية العامة ، ثم مكناها منها بصورة أخرى .

وهذا يقتضي منا إلقاء الضوء بالشرح والتحليل لمفهوم العضوية فى المجلس الشوري أو النيابي .

مهمة عضو المجلس النيابى : ومن المعلوم أن مهمة المجالس النيابية فى الأنظمة الديمقراطية الحديثة ذات شقين . هما : المحاسبة والتشريع . وعند تحليل كل من هذين المفهومين يتضح لنا مايأتى :

معنى المحاسبة : المحاسبة فى تحليلها النهائى حسب المفاهيم الشرعية ، ترجع إلى مايعرف فى المصطلح الإسلامى بـ (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) و بـ (النصيحة فى الدين) وهى واجبة لأئمة المسلمين وعامتهم . والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والنصيحة مطلوبة من الرجال والنساء جميعا . والقرآن الكريم يقول بصريح العبارة : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ . والرسول ﷺ حين قال ـ فيما رواه مسلم ـ « الدين النصيحة ... لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » لم يجعل ذلك مقصورا على الرجال وحدهم . وقد رأينا المرأة ترد على أمير المؤمنين عمر فى المسجد . فيرجع عن رأيه إلى رأيها . ويقول أصابت المرأة وأخطأ عمر . كما رواه ابن كثير . وقد استشار النبى ﷺ أم سلمة فى غزوة الحديبية ، فأشارت عليه بالرأى السديد . وقد

بادر إلى تنفيذه . فكان ورائه الخير .

ومادام من حق المرأة أن تنصح وتشير بما تراه صوابا من الرأى . وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقول : « هذا صواب وهذا خطأ ، بصفتها الفردية فلا يوجد دليل شرعى يمنع من عضويتها فى مجلس يقوم بهذه المهمة . والأصل فى أمور العادات والمعاملات الإباحة ، إلا ماجاء فى منعه نص صحيح صريح . وما يقال من أن السوابق التاريخية فى العصور الإسلامية . لم تعرف دخول المرأة فى مجالس الشورى . فهذا ليس بدليل شرعى على المنع . فهذا مما يدخل فى تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال . والشورى لم تنظم فى تلك العصور تنظيما دقيقا لا للرجال ولا للنساء . وهى من الأمور التى جاءت فيها النصوص مجملة مطلقة . وترك تفصيلها وتقييدها لاجتهاد المسلمين ، حسب ظروفهم الزمانية والمكانية وأوضاعهم الاجتماعية . ونحن الآن نتيح للمرأة أعمالا لم تكن معروفة من قبل . وتنشىء لها المدارس والكليات التى تضم الملايين من الفتيات . وتخرج معسات وطبيبات ومحاسبات وإداريات . وبعضهن مديرات لمؤسسات فيها رجال ، فكم من معلم فى مدرسة بنات تديرها امرأة . وكم من أستاذ فى كليات بنات عميدتها امرأة . وكم من موظف فى شركة أو مؤسسة تديرها امرأة أو تملكها امرأة . وقد يكون زوج المرأة نفسه مرؤوسا لها فى المدرسة أو الكلية أو المستشفى . أو المؤسسة التى تديرها ، وهى مرؤوسة له إذا عادت إلى البيت .

والقول بأن مجلس الشعب أو الشورى أو الأمة ــ حسب تسمياته المختلفة ــ أعلى مرتبة من الحكومة أو السلطة التنفيذية نفسها ، ومنها رئيس الدولة ، لأنه هو الذي يحاسبها قول غير مسلم على إطلاقه .

فليس كل محاسب أعلى منزلة ممن يحاسبه . إنما المهم أن يكون له حق المحاسبة وإن كان أدنى منه .

فمما لاريب فيه أن أمير المؤمنين ، أو رئيس الدولة أعلى منزلة ، وأعلى سلطة فى الدولة ومع هذا نجد أن من حق أدنى فرد فى رعيته أن ينصح له ، ويحاسبه ويأمره وينهاه ، على نحو ما قاله الخليفة الأول : « إن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فقوموني » .

وما قاله الخليفة الثانى : من رأى منكم فيّ اعوجاجا فليقومني .

ولا ينكر أحد أن من حق المرأة أن تحاسب زوجها ــ وهو القوام عليها فى شئون البيت والنفقة . وتقول له : لم اشتريت هذا ؟ ولم أكثرت من هذا ؟

على أننا لو سلمنا بأن سلطة المحاسب أعلى ممن يحاسبه ، فهذا إنما يثبت للمجلس بصفته الجماعية ، فالمجلس بهذا الوصف أعلى من السلطة التنفيذية فيما هو من حقه واختصاصه وما دام المجلس مكونا فى أغلبيته من الرجال ، فلا محل للقول بأن المرأة أصبحت لها ولاية على الرجل بذلك . إنما يصدق هذا القول لو كان المجلس كله أو جله من النساء .

جانب التشريع فى المجلس :

والشق الثاني من مهمة مجلس الشعب يتعلق بالتشريع .

وبعض المتحمسين يبالغون فى تضخيم هذه المهمة ، زاعما أنها أخطر من الولاية والإمارة . فهي التي تشرع للدولة . وتضع لها القوانين ، لينتهي إلى أن هذه المهمة الخطيرة الكبيرة لايجوز للمرأة أن تباشرها .

والأمر فى الحقيقة أبسط من ذلك وأسهل ، فالتشريع الأساسي إنما هو لله تعالى ، وأصول التشريع الآمرة الناهية هى من عند الله سبحانه ، وإنما عملنا نحن البشر هو استنباط الحكم فيما لانص فيه . أو تفصيل مافيه نصوص عامة . وبعبارة أخرى عملنا هو (الاجتهاد) في الاستنباط والتفصيل والتكييف .

والاجتهاد فى الشريعة الإسلامية باب مفتوح للرجال والنساء جميعا . ولم يقل أحد : إن من شروط الاجتهاد ـــ التي فصل فيها الأصوليون ـــ الذكورة ـــ وأن المرأة ممنوعة من الاجتهاد .

وقد كانت أم المؤمنين عائشة من مجتهدات الصحابة ومن المفتيات بينهن ، ولها مناقشات واستدراكات على علماء الصحابة ، جمعت فى كتب معروفة .

صحيح أنه لم ينتشر الاجتهاد بين النساء فى تاريخنا انتشاره فى الرجال ، وذلك راجع إلى عدم انتشار العلم بين النساء ، لظروف تلك العصور وأوضاعها . على خلاف ماعليه الحال اليوم . فقد أصبح عدد المتعلمات من النساء مساويا أو مقاربا لعدد المتعلمين من الرجال ، وفيهن من النوابغ ما قد يفوق بعض الرجال . والنبوغ ليس صفة للذكور ، فرب امرأة أوتيت من المواهب ما يعز على بعض الرجال الحصول عليه .

وقد حكا لنا القرآن قصة ملكة سبأ . وماأوتيت من سداد الرأي والحكمة ، في موقفها من سليمان عليه السلام ، منذ تلقت رسالة من الهدهد ، وكيف استشفت من رسالته الموجزة الجدية والالتزام ، وكيف جمعت الملأ من أشراف قومها ، على طريقتها فى الحكم ﴿ **ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون** ﴾ وكيف فوض الرجال الأشداء الأمور إليها مختارين ، لتتصرف فيها بحكمتها قالوا : ﴿ **نحن أولو قوة وأولو بأسٍ شديد ، والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين** ﴾ .

وكيف تصرفت بعد ذلك بمنتهى الذكاء والأناة ، مع نبي الله سليمان ، حتى انتهى أمرها إلى أن أسلمت ﴿ **مع سليمان لله رب العالمين** ﴾ .

وحكاية هذه القصة فى القرآن الكريم ليس عبثا ، بل يدل على أن المرأة قد يكون لها من البصيرة وحسن الرأي والتدبير ، فى شئون السياسة

والحكم ما يعجز عنه كثير من الرجال .

ومما لاجدال فيه أن ثمت أمورا فى التشريع تتعلق بالمرأة نفسها ، وبالأسرة وعلاقاتها ينبغى أن يؤخذ رأي المرأة فيها . وألا تكون غائبة عنها ، ولعلها تكون أنفذ بصرا فى بعض الأحوال من الرجال .

والمرأة التى ردت على عمر رضى الله عنه فى المسجد ، كان ردها متصلا بأمر تشريعى يتعلق بالأسرة ، وهو تحديد المهور بحد أقصى ، وكانت مناقشة المرأة سببا في عدول عمـر عن إصدار قانونه بتحديد الصداق .

وهناك قوانين أو قرارات أصدرها عمر رضى الله عنه كان للمرأة يد فى إصدارها مثل قانون عدم تغييب الزوج فى الجيش عن زوجته أكثر من ستة أشهر . فقد سأل ابنته حفصة : ماأكثر ماتصبر المرأة عن زوجها ؟ فقالت : أربعة أشهر أو ستة أشهر .

وكان قد أفزعه شِعْرُ تلك المرأة التى أرَّقتها الوحدة ، وأقلقتها الوخشة ، فأنشدت وهي نائمة على سريرها :

تطـاول هذا الليـل واسودّ جانبـه
وأرّقنـــي ألّا حبـيب ألاعبـــه

فو الله لولا الله تخشى عواقبـــه
لحرك من هذا السريـر جوانبـه !

وكذلك قانونه الذي فرض به عطاء لكل مولود فى الإسلام ، بعد أن كان لا يفرض إلا لمن فطمته أمه . كانت الأمهات يعجلن بفطام أطفالهن قبل الأوان ، رغبة في العطاء ، فلما سمع يوما بكاء طفل متواصلا شديدا ، وسأل أمه عن سر هذا البكاء ، فقالت له وهي لاتعرفه : إن أمير المؤمنين لايفرض العطاء إلا للفطيم . لذا فطمته مبكرا فهو يبكى . فقال عمر : ويح عمر ، كم قتل من أطفال المسلمين ! وأعلن بعدها تعميم العطاء لكل مولود .

على أننا حين نقول بجواز دخول المرأة فى مجلس الشعب . لايعني ذلك أن تختلط بالرجال الأجانب عنها ، بلا حدود ولا قيود ، أو يكون ذلك على حساب زوجها وبيتها وأولادها ، أو يخرجها ذلك عن أدب الاحتشام فى اللباس والمشى والحركة والكلام ، بل كل ذلك يجب أن يراعى بلا ريب ولا نزاع من أحد .

وهذا مطلوب من المرأة فى مجلس الشعب ، والمرأة فى مجلس الجامعة ، والمرأة في مجلس الكلية ، والمرأة فى عملها خارج البيت أيًّا كان هذا العمل .

ومن المطلوب فى دولة تراعي آداب الإسلام أن يكون للنساء موقعهن الخاص فى المجلس ، صفوف خاصة ، أو ركن خاص لهن ، أو نحو ذلك ، مما يوفر لهن جوًّا من الطمأنينة والبعد عن أى فتنة يخافها المتوجسون .

هذا وبالله التوفيق

ثانيا : رأى الشعبة القانونية للإخوان المسلمين :

حقوق الأفراد فى مشروع الدستور المقترح(١)

قد أفاد المشروع – كما سبق أن ذكرنا – من حيث الصياغة من وثيقة الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ . وقد جعل هذا الباب متضمنا الحقوق الاجتماعية والفردية .

ونصت المادة ٧٧ « يولد الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق والحريات بدون أى تمييز بحسب الأصل أو اللغة أو الدين أو اللون ، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الأخوة » (٢) .

وقد جاءت هذه المادة تنص على الحقوق والحريات بصيغة عامة فصّلتها من بعدها المواد الواردة في الباب . وهذه الحقوق هى من الحقوق

(١) انظر مشروع دستور إسلامى للدولة المصرية والذى نشر ضمن رسائل الشعبة القانونية للإخوان المسلمين وصوتت عليه الهيئة التأسيسية للإخوان بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ .

(٢) توافق نص المادة الأولى من وثيقة حقوق الإنسان الصادرة عام ١٩٤٨ .

العامة اللازمة للإنسان باعتباره فردا فى مجتمع ولا يمكنه الاستغناء عنها وهي مقررة لحمايته في نفسه وحريته وماله [١] . ويقسم علماء القانون هذه الحقوق إلى قسمين ، الأول المساواة وقد تنوعت إلى أنواع ، منها مساواة أمام القانون وأخرى أمام القضاء . والقسم الثاني الحرية وقد تنوعت إلى أنواع منها الحرية الشخصية وحق التملك وحرمة المسكن وحرية العقيدة والعبادة ، وحرية الرأى والتعليم ...

وقد أكدت هذا المعنى السابق أيضا المادة ٧٨ بنصها « لكل فرد الحق في الحياة وفي الحرية وفي المساواة أمام القانون وفي أن يعيش آمنا مطمئنا » .

أما الحقوق السياسية فرغم أنه لم يرد ذكرها بالنص إلا أننا نفهم من ذلك أنها من الحقوق العامة ، وهي عند القانونيين الحقوق التي يكتسبها الشخص باعتباره عضوا في هيئة سياسية مثل حق الانتخاب والترشيح وتولي الوظائف العامة في الدولة [٢] أو هي الحقوق التي يساهم الفرد بواسطتها في إدارة شؤون الدولة أو في حكمها [٣] .

وأما الحرية الشخصية لدى القانونيين فتعني حرية الفرد في الرواح والمجيء وحماية شخصه من أى اعتداء ، وعدم جواز القبض عليه أو معاقبته أو حبسه إلا بمقتضى القانون وحريته في التنقل والخروج من الدولة والعودة إليها [٤] .

ونلحظ أن صيغة المواد الثماني عشر التي يتضمنها الباب الرابع قد أوردها المشروع عامة عدا ثلاثا منها جاءت بصيغة خاصة . فالأولى قد

---

(١) المرحوم الدكتور السنهورى والدكتور حشمت أبو ستيت : أصول القانون ، ص ٢٦٨ .
(٢) المرحوم الدكتور السنهورى والدكتور حشمت أبو ستيت : أصول القانون ، ص ٢٦٨ .
(٣) المرحوم الدكتور جابر جاد عبد الرحمن : القانون الدولي الخاص ص ٢٧٢ .
(٤) الدكتور عز الدين عبد الله : القانون الدولي الخاص ج ١ ص ٢٨٧ .

نصت على أحقية التمتع لكل فرد مما يعني كل إنسان وطني أو أجنبي أذن له بالإقامة في البلاد ، والثانية قد قصرت صياغتها على حقوق المواطنة وهي الحقوق ذات الصلة بالحقوق العامة والسياسية .

تصدرت هذه الحقوق بمادتين ٧٧ ، ٧٨ تكرّس ما جاء به الإسلام الحنيف ويعلن الأخوة الإنسانية ويبشر بالدعوة إلى العالمية ويبطل كل عصبية ويسلك إلى تحقيق هذه الدعوة كل السبل النظرية والعملية .

وكلتا المادتين تبدآن بأصل الخليقة وهو الحق في الحياة . وهي تقرر وحدة الجنس والنسب للبشر جميعا كما أوضحها القرآن الكريم بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يأأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ سورة النساء : ١ .
ويقول ﴿ **يأأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ (سورة الحجرات ، آية : ١٣) « فالناس لآدم ، وآدم من تراب لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى » (١) والمساواة التامة هي شعار الإسلام في الحقوق والواجبات . فالجنس الإنسانى مكرم كله ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾ سورة الإسراء : ٧٠ . والحقوق الروحية فيه فضلا عن الحقوق المدنية والسياسية والفردية والاجتماعية مقررة للجميع على السواء ، لا تختلف المرأة في التمتع بها عن الرجل وكلاهما خلق من نفس واحدة . فالمرأة على هذا أخت الرجل ، والرجل أخ المرأة .. والذكر شقيق الأنثى ، والأنثى شقيقة الذكر لأنهما انحدرا من أب واحد وأم واحدة وفي ذلك يقول الرسول ﷺ « إنما النساء شقائق الرجال » ولهذه الأخوة مقتضيات كثيرة : منها أن

(١) من خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع .

المرأة كفء الرجل في إنسانيته ، ومساوية له في القدر ، ولا نستطيع أن نحكم بالأخوّة بينهما دون أن نقرر تلك المساواة والمماثلة .

والمرأة لا تفترق في مساواتها بالرجل أمام القانون في حكم المادة ٧٨ التي أوردت « لكل فرد الحق في الحياة وفي الحرية وفي المساواة أمام القانون وفي أن يعيش آمنا مطمئنا » .

يقودنا إلى هذا التفسير الذى نأخذ به ما ورد في مقدمة مشروع الدستور المقترح من اعتماده في جوهره على الإسلام فهو مستمد في أصوله من أحكام القرآن وسنة الرسول وأساليب الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ، كذلك إذا فصلت نصوصه على هذا النحو بدا مسايرا لأصلح ما في النظم الدستورية المعاصرة .

فالإسلام يرفع قيمة المرأة ويجعلها شريكة الرجل في الحقوق والواجبات . والتفريق بينهما في بعض منها إنما جاء تبعا للفوارق الطبيعية التى لا مناص منها بين الرجل والمرأة ، وتبعا لاختلاف المهمة التي يقوم بها كل منهما وصيانة للحقوق الممنوحة لكليهما .

وقد اعترف الإسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك وبحقوقها السياسية كاملة أيضا ، وعاملها على أنها مخلوق كامل الإنسانية له حق وعليه واجب ، يشكر إذا أدى واجبه ويجب أن تصل إليه حقوقه (١) . فقد جعلها صنو الرجل في طلب العلم وهو فريضة على كل منهما كما قال الرسول ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم

---

(١) حسن البنا في مقاله عن « المرأة المسلمة » نشر في الجزئين الثامن والعاشر من مجلة المنار عام ١٩٤٠ حيث خلف محمد رشيد رضا في تحريرها .

(٢) الإصابة ج ٧ ص ١٢٠ .

ومسلمة » . وقد ضرب المثل في ذلك فيما يرويه البلاذرى في « فتوح البلدان » حيث طلب إلى الشفاء العدوية أن تكمل ما بدأته في تعليم زوجه حفصة — رضي الله عنها — ابنة عمر بن الخطاب وكم تذكر لنا كتب التاريخ عن نساء بلغن شأوا في العلم إلى أن صرن معلمات يأخذ عنهن بعض الأئمة . ففيما يرويه ابن خلكان في وفيات الأعيان أن السيدة نفيسة رضي الله عنها سليلة على بن أبي طالب كرّم الله وجهه كانت تلقي في بيتها بمصر دروسا حيث أخذ عنها الإمام الشافعي ، كذلك عدّ أبو حيان من بين من أخذ عنهم العلم ثلاث نساء هن مؤنسة الأيوبية ابنة الملك العادل ، وشامية التيمية ، وزينب ابنة عبد اللطيف البغدادى الطبيب والمؤرخ الشهير في عصره .

وليس في الإسلام ما يمنع المرأة من الاشتغال بالأعمال الحرة كأن تكون تاجرة أو محترفة لأى حرفة تكسب منها الرزق الحلال ما دامت تختار لنفسها الأوساط الفاضلة وتلتزم خصائص العفة . وقد أعطاها الإسلام كافة الحقوق المدنية التي للرجل وهي لا تقل عنه شأنا في ممارستها ، فلها حق الوكالة والوصاية ولها كمال الحرية في قبول أو رفض من يأتي لخطبتها ولا حق لأبيها أو وليّها أن يجبرها على ما لا تريده ، قال رسول الله ﷺ « لا تزوّج الأيّم حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن » والأيّم هي الثيب فإذا زوجت دون أن تستأمر فالعقد باطل ، وإذا زوجت البكر دون أن تستأذن فهي بالخيار : إن شاءت أمضت العقد ، وإن شاءت أبطلته .

وما جاء في الثيب أن خنساء بنت خذام زوّجها أبوها وهي ثيب فكرهت ذلك ، فأتت رسول الله ﷺ فردّ زواجها (١) .

ومما جاء في البكر أن فتاة بكرا ذكرت لرسول الله ﷺ أن أباها زوجها وهي كارهة ، فخيّرها عليه السلام ... أي جعل لها الخيار في إبطال

---

(١) صحيح البخارى ج ٧ ص ١٨ ، أيضا : الإصابة ج ٨ ص ٦٥ .

العقد أو إمضائه ... وجاءت فتاة إليه ﷺ فقالت : إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ... فجعل الأمر إليها ، فقالت » : قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء »[1] . وذلك — في بابه — أول وأسمى ما نالت المرأة من الحرية والكرامة والاعتراف بشخصيتها ، وحقها في قبول أو رفض أى خاطب يتقدم لخطبتها ، في الوقت الذى كانت تباع فيه كالحيوان ، وتورث كالمتاع ، وتلعن في المعابد ولا يرعى لشخصيتها أى اعتبار .

والمرأة لها أن تتولى زواجها بنفسها إذا بلغت أهليتها ، وليس لأحد عليها من سبيل إذا كان كفؤًا والمهر مهر المثل ، وإن كان يستحسن أن يتولى عنها وليّها العقد كما هو في بعض المذاهب . فإن تولت هي الصيغة ما عدت ولا ظلمت ولا أثمت ، وكلامها نافذ في حدود سلطانها . ولم يكن ذلك بدعا في الشرع الإسلامي بل له مستند من الكتاب والسنة والقياس .

والمرأة لها في الإسلام نصيب في مباشرة حقوقها في الملكية والتصرف بأموالها متى بلغت أهليتها في ذلك ، لا تفترق في ذلك الشأن المتزوجة وغيرها . فلها أن تتعاقد وأن تبيع وتشترى وتهب وتوصى لا ينقص من ذلك الحق شرط إجازة زوج أو وليّ كما ظل ينص على ذلك القانون الفرنسي من اشتراط إجازة الزوج لصحة تصرفات زوجه حتى صدور تعديل له في ١٣ يوليو ١٩٦٥ مانحاً المرأة الفرنسية الحق في ممارسة إحدى الوظائف وحقها فيما تملك ناتجا عن هذه الممارسة ثم أردفه تعديل القانون المدنى الفرنسي في ٥ يوليو ١٩٧٤ حيث منحها الحقوق مطلقا .

والمرأة المسلمة تحتفظ باسمها لا تتخلى عنه كما أخذت بذلك القوانين الغربية وما تتبناه بعض المدعيات لحقوق المرأة في العالم الإسلامى وما يدرين أنهن بهذا التشبه ينقصن من حقوق المرأة . وقد تنبهت هذه القوانين الأوروبية

(١) السرخسي : المبسوط ج ٥ ص ٢ .

إلى هذه الحقيقة ، فبعد أن كانت المرأة المتزوجة تحمل اسم زوجها أصبح لها الحق أن تحتفظ باسمها العائلى الخاص ، ومثال ذلك القانون الصادر في ألمانيا الفيدرالية بتاريخ ١٤ يونيو ١٩٧١ والقانون الصادر في أول يوليو ١٩٧٦ اللذين أعطيا الزوجين حرية اختيار اسم الزوج أو اسم الزوجة أو كليهما معا وفي حالة الاختلاف بينهما فإن القانون يقرر إطلاق اسم أسرة الزوج . أما القانون الفرنسي الصادر في عام ١٩٧٨ فقد أعطى المرأة المتزوجة الحق في الاحتفاظ باسمها العائلي الخاص ، كذلك تسعى بعض الحركات النسائية في بلدان أوروبا الأخرى .

ونحسب أن قد صرنا في غير حاجة إلى إبداء الرأي في صلاحية المرأة لتولى وظائف الدولة ، إلا ما خصصه الإسلام من ذلك .

فللمرأة أن تلتحق بالجيش وقت الحرب في أعمال التمريض والإسعاف والخدمة ونحوها .. والأصل في الجهاد أنه فرض كفاية لا يجب على المرأة فإذا تقدمت إلى ذلك فخروجها مجاز وهو غير مكروه ، ولقد ثبت أن النساء كن يخرجن بإذن الرسول ﷺ مع الجيش لخدمة الرجال وتمريض الجرحى .. روى البخارى وأحمد عن الربيع بنت معوذ ، قالت « كنا نغزو مع رسول الله ﷺ : نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة » ، وروى مسلم وأحمد وابن ماجه عن أم عطية الأنصارية قالت : « غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات .. أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على الزمنى » .

وللمرأة أن تحمل السلاح في وقائع الحروب ولا ينكر عليها الإسلام ذلك ، والجهاد حين ينقلب من فرض كفاية إلى فرض عين يلحق الوجوب بالمرأة أيضا . يقول الغزالى في الوجيز في الفقه الشافعى فإن وطئ الكفار دار المسلمين تعين على كل من له قتالهم حتى العبد والمرأة « وقال مثل هذا القول خليل » وتعين الجهاد بفجاءة العدوان على امرأة . أما

الدسوق فيرى أن كل من يعينه الإمام للجهاد فإنه يتعين عليه ولو كان امرأة . وتخرج للجهاد ولو منعها الولي أو الزوج » .

وللمرأة في ذلك أن تمتشق السلاح ، وقد ورد في خبر الرميصاء زوج أبي طلحة ـــ في صحيح مسلم ـــ أنها اتخذت خنجرا يوم حنين ، فلما سألها زوجها عنه ، قالت « اتخذته : إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه » قال في نيل الأوطار : ولهذا بوّب البخارى « باب غزو النساء وقتالهن » .. وفي تتمة هذا الخبر أن زوجها لما سمع ذلك منها ذكره لرسول الله فقال لها عليه السلام « يا أم سليم إن الله عزّ وجل قد كفى وأحسن » وكان ذلك في أعقاب المعركة ، ولم ينكر عليها رسول الله شيئا مما صنعت .

وهذه أم عمارة ، نسيبة بنت كعب بن عمرو تخرج في أحد تصول وتجول بين يدى الرسول ، تنزع عن القوس ، وتضرب بالسيف وحولها من الغرّ المذاويد على وأبو بكر وعمر وسعد وطلحة والزبير والعباس وولداها وزوجها . فكانت من أظهر القوم أثرا ، وأعظمهم موقفا . وكانت لا ترى الخطر يدنو من الرسول حتى تكون سداده وملئا له حتى قال ﷺ « ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دونى » وأصيبت نسيبة في هذا اليوم بثلاثة عشر جرحا ، ثم تخرج في خلافة أبي بكر في حروب الردّة فتباشر القتال بنفسها حتى يقتل مسيلمة الكذاب وتعود وبها عشر جراحات بين طعنة وضربة في الموقعة التي اشتركت فيها وقد قطعت يدها رضي الله عنها .

ذلك بعض حديث عن المرأة المسلمة لم تدع للرجال خلة يستأثرون بها دونها ، كما أن المسلمات لم يتركن سبيلا من سبل العظائم ، ولا مشرفا من مشارف المكارم إلا وكن السابقات إليه ، الواثبات إلى غايته . وهن إن غشين الحرب لما دون القتال من إفاضة الرحمة ، وبذل المعونة ، لا يجدن بدّا من انتضاء السيوف إذا أجفل الرجال ورجفت قلوبهم . وكتب التاريخ

الإسلامى تحفل بمواقف النساء في مخاضات الدماء منها خولة بنت الأزور [١] وصفية بنت عبد المطلب[٢] وليلى بنت طريف أخت الوليد بن طريف الشيبانى بقية أبطال الخوارج الذين خرجوا على الخلفاء ، وقد خلفت أخاها على قيادة الجند وأطبقت بهم على جند الرشيد ، وقالوا لا تكون هذه إلا أخت الوليد لأن فعلها بفعله أشبه[٣] وغزالة الحرورية زوج شبيب بن يزيد قائد الخوارج وبطلهم . وكانت هي وزوجها يليان قيادة الخوارج ، وكان الحجاج بن يوسف يستمع خبرها فيمتلىء قلبه وهلا ورعبا . عرضت له في جندها وهو في أربعة آلاف فما لبث أن اختلط عليه الأمر ، وولى هاربا يخلط في قوله وقد عقل قلبه ولسانه وفي ذلك كتب عمران بن حطان إلى الحجاج وكان قد لحّ في طلبه[٤] :

أسد على وفى الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحى طائر
صدعت غزالة جمعه بعساكر تركت كتائبه كأمس الدابر

وكان حبيب بن مسلمة الفهرى رجلاغزاءللترك . فخرج ذات مرة إلى بعض غزواته ، فقالت له امرأته : أين موعدك ؟ قال : سرادق الطاغية ، أو الجنة إن شاء الله تعالى . قالت : إنى لأرجو أن أسبقك إلى أى الموضعين كنت به ، فجاء فوجدها في سرادق الطاغية ، تقاتل الترك[٥] .

تلك شذرات من حديث النساء في الجهاد عرضنا له في فترات متباينة في تاريخ الإسلام لنعلم أن المرأة لم تدع للرجل فضيلة يثنى عطفه

---

(١) انظر في سيرتها فتوح الشام للواقدى ص ٢٨ — ٢٩ .
(٢) انظر في سيرتها الأغاني للأصفهاني ج ٤ ص ١٤ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٣ .
(٣) انظر في سيرتها الأغاني ج ١١ ص ٩ وابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٧ .
(٤) الأغاني ج ١٦ ص ١٨ .
(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢ ص ١٤٣ .

بهاء. وما كان شيء من ذلك لجفوة في الخلق ، ولا نبْوة في الطبع ، وهن الخفرات اللواتي يفررن من المندبة ويرتمين على الموت ، وما كانت شجاعتهن أثرا من الغلظة ، وظمأ إلى الدماء ، ولكنها كما أسلفنا قوة فاضت بها وفرة الصبر ، وابتعثتها قوة اليقين .

أما توليتها الوظائف العامة فيبدو اختلاف الفقهاء فيه ، يقول الماوردى في الأحكام السلطانية(١) : إن جمهور الفقهاء على أن المرأة لا يجوز لها أن تلي القضاء مطلقا . وحجتهم في ذلك أن الإسلام يمنع المرأة ــ بالإجماع ــ من تولى الإمامة الكبرى « رياسة الدولة » لقوله عليه الصلاة والسلام « لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » .. قالوا : والقضاء من الولاية العامة فهو مقيس في الحكم عليها .

أما أبو حنيفة فقد ذهب إلى جواز أن تكون المرأة قاضيا في الأموال والنكاح والطلاق والرجعة وما يتعلق بها قياساً على شهادتها في ذلك ، فهي تقضي فيما يجوز أن تشهد فيه(٢) .

أما الطبرى فيذهب إلى جواز توليها القضاء مطلقا ، إذ لا يلقى بالا إلى القياس على الإمامة ويقول في ذلك « إن الأصل هو أن كل من يستطيع الفصل بين الناس فحكمه جائز ، إلا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى » أى أن المرأة ــ كالرجل ــ صالحة فى الأصل لتولّى الأحكام ، والفصل بين الناس ، وهذا حكم عام ، لا يخصصه إلا نص ، وقد ورد النص في حديث النهى عن تولى المرأة الإمامة الكبرى ، وتم الإجماع على العمل بذلك ، ومادام النص لم يستثن إلا الإمامة الكبرى فإن إلحاق القضاء بها يعتبر تخصيصا بلا مخصص .

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٦٢ .

(٢) نذكر هنا تصنيف شهادة النساء من حيث الاتفاق والاختلاف دون التفصيل المذكور في كتب الفقه : =

وهذا ما لايقبله الطبرى . كذلك هو رأى ابن القاسم وابن حزم وابن طراز الشافعى ورواية عن مالك في الإباحة المطلقة لقضاء المرأة في جميع الأحكام ، وحملا للقضاء على الفتيا .

والحسبة منصب من مناصب الحكم ، وهي أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإصلاح بكافة الطرق المشروعة ، وكان يشترط فيمن يتولاها أن يكون عدلا ، فقيها ، عالما بالأحكام الشرعية ، وكانت وظيفته مراقبة المكاييل والموازين ، مراقبا من تسول له نفسه الأمّارة بالسوء الغش ببخس أو تطفيف فيها . وكان لها دار خاصة بها فكان المحتسب يطلب جميع الباعة إلى هذه الدار(١) . فهي إذن في أعراف وظائف الدول المعاصرة وظيفة إدارية عامة . وقد استعملت فيها النساء ، فولّى الخليفة عمر بن الخطاب السيدة الشّفاء ولاية السوق وقد كانت من عقلاء النساء ومن المهاجرات الأول يعرف لها ذلك الرسول ﷺ فيزورها في بيتها ويقيّل عندها ، وكانت لها منزلة كبرى لدى خليفته عمر حتى إنه كان يقدمها في الرأي . كما تولت السيدة سمراء بنت نهيك الأسدية هذا المنصب أيضا وقد أدركت الرسول وعمرت طويلا وكانت تمر في الأسواق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتضرب الناس على ذلك بسوط معها .

ذلك شأن تولية المرأة الوظائف العامة وقد سقنا لها أمثلة لعدم

= (أ) شهادة النساء منفردات غير جائزة إلا فيما لا يطلع عليه الرجال مع خلاف حول العدد المطلوب بين المتفقين على المنع وخلاف من ابن حزم حول الجواز .

(ب) شهادة النساء جائزة في الأموال وحقوقها في جميع المذاهب وكبار المجتهدين كذلك هي جائزة في النكاح والطلاق والرجعة وما يتعلق بها عند أبي حنيفة وسفيان وابن حزم خلافا لمالك والشافعي .

(ج) شهادة النساء جائزة في الحدود والقصاص عند الجميع . وفيه خلاف سفيان الثوري في أحد قوليه حول القصاص (حسب رواية ابن حزم) وخلاف ابن حزم نفسه .

(١) عطية مشرفة : القضاء في الإسلام ط ١٩٤٤ ، ص ١٨٤ — ١٨٦ .

تعارضها مع مبادئ الإسلام . فما بال أهلية المرأة لتبعات الحياة ومساهمتها في بناء أوضاعها الصالحة . لا ريب أن القرآن الكريم يسوق ضروبا من إنصاف المرأة وتقديرا لا تتخلف فيه عن الرجل . فهما من المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وكلاهما يشمل كل ضروب الإصلاح في كل نواحي الحياة ، والمرأة في ذلك صنو الرجل . ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يضع صلاح المجتمع أمانة بين يدى كل مؤمن ومؤمنة ، وهذا الواجب كما يشمل مناصحة الناس بعضهم لبعض ، يشمل مناصحة أولياء الأمور الكبار ، وكل من إليهم من ذوى المناصب والولاية وفي ذلك يقول الرسول « الدين النصيحة .. لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » . وذلك يقتضي كل رجل وامرأة أن يحاول جهده الاتصال بشؤون الحياة العامة ومتابعة سير المجتمع ليستطيع أن يقدم ما لديه من رأى ونصيحة عن دراسة وتمحيص وتدبير رأى ، ورسول الله يجعل ذلك الاهتمام شارة الدخول في جماعة المسلمين بقوله « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » وشؤون المسلمين في أذهان الناس تضيق وتتسع بحسب ثقافة كل منهم وسعة آفاقه العقلية ، ومن هؤلاء من يهتم بإصلاح أداة الحكم بالنقد والتوجيه ، واقتراح سن القوانين ، وذلك هو ما يسمى بالاشتغال بالسياسة ، فما دور المرأة خلالها ؟ في كتابه الأحكام السلطانية يقول الماوردى « الناس فريقان أحدهما : أهل الاختيار حتى يختاروا إماما للأمة ، والثاني أهل الإمامة ، فأما أهل الاختيار فالشروط المعتبرة فيهم ثلاثة ، أحدها : العدالة الجامعة لشروطها . والثاني : العلم الذى يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها ، والثالث : الرأى والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف »(١) .

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٢٤ — ٢٦ .

وهو إزاء حصر هذه الشروط وعدّها قد أغفل ذكر الجنس خلافا لما بيّن فى ذكر الشروط المعتبرة في أهل الإمامة كما ذكرناها آنفا . فهل تعد المرأة من أهل الاختيار ومن ثم هل لها ممارسة ما يعرف بالحقوق السياسية ؟

ليس هناك ما يمنع المرأة ، أو من يمنعها ممارسة هذا الحق . فهو حق قرّره الإسلام ، ومارسته المرأة المسلمة على نطاق واضح أيام الخلفاء الراشدين أى خلال الحقبة التي قام بها الصحابة بوضع تقاليد الحياة الإسلامية في الاجتماع والسياسة . وقد كانت أمهات المؤمنين يبدين آراءهن في سياسة الخلفاء ويطول بنا القول لو رحنا نحصي حالات أمهات المؤمنين ونسائهم فيما كان لهن من آراء وأثر في السياسة والمجتمع ..

فالإسلام حين قرر ما للمرأة من حق سياسى ، ما عني إلا المرأة الفاضلة التي تعتز بمثلها الروحية العليا ، وقد كانت المرأة المسلمة وهي تباشر هذا الحق تغشى أماكن العلم على شرطها ، وتلم بأندية المشاورة والتعاون على الصالح العام الذى ندبت إليه ، وليس البرلمان في صورته الإسلامية إلا أحد هذه الأندية .

هذا ماسقناه من حكم الإسلام وقد ارتضيناه تفسيرا لما جاءت به مقدمة مشروع الدستور المقترح ، وبه نقتنع من أن نص المادة ٧٨ تطبق على الرجل والمرأة سواء . « فلكل فرد الحق في الحياة وفي الحرية وفي المساواة أمام القانون وفي أن يعيش آمنا مطمئناً » .

يعضد ما ذهبنا إليه من تفسير ما كتبه الإخوان في جرائدهم من أن « الدين لم ينزل للرجال فقط ، وأن على المرأة واجب خدمة الإسلام ، والمساهمة بكل ما يعود بالخير على المجتمع وأن المساواة بين الجنسين قد نظّمها الإسلام في الحقوق والمعاملات المالية [1] وقد عاتبوا غيرهم من

(١) الإخوان المسلمون في ١٤ / ٩ / ١٩٤٦ .

الجماعات على معاملة المرأة من خلال تقاليد بالية تجعل من الرجل سجّانا للمرأة يحبسها في بيته للمتعة والتوالد ، لا تعرف من دنياها إلا هذين الغرضين العظيمين وتظل كذلك إلى أن تنتقل من ظلام حياتها إلى ظلام القبور ، ورأى الإخوان أن الدين لايقر ذلك ، وأن من الواجب أن نشفق على دين الله من أن تستبد به الآراء المتشائمة والأمزجة السوداوية (١) .

يثبت هذا التفسير أيضا ما سبق ذكره بما كتب حسن البنا في المنار عام ١٩٤٠ من اعتراف الإسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك وبحقوقها السياسية كاملة أيضا .

كما طالب بعلاج قضية المرأة علاجا يجمع بين الرقي بها والمحافظة عليها وفق تعاليم الإسلام حتى لا تترك هذه القضية التي هي أهم قضايا الاجتماع تحت رحمة الأقلام المغرضة والآراء الشاذة من المُفْرطين والمُفرطين (٢) .

وبعد التصريح لهم بمباشرة نشاطهم في عام ١٩٥٠ بدأت قضية المرأة تعالج برحابة . وقد صرحت رسالة المرأة بين البيت والمجتمع (٣) بأن حقوق المرأة السياسية يقرها الإسلام ويجب إعداد المجتمع الفاضل الذى تمارس فيه . وأن هذه الحقوق لا تقل شأنا عن تلك التي يتمتع بها الرجل ، وبذلك أخذت تحسم نظرة الإخوان المسلمين في هذا الشأن بما صرح به المرحوم الأستاذ حسن الهضيبي مرشدها العام بأن الإسلام لا ينكر حقوق المرأة السياسية وأن تطبيقها يتوقف على ظروف المجتمع العامة .

---

(١) الإخوان المسلمون في ٢٣ / ٨ / ١٩٤٥ .

(٢) حسن البنا : رسالة نحو النور ١٩٤٧ ص ٤٢ . وهي تجمع مقالات بعنوان « إلى الأمة الناهضة » كتبت في مجلة « الإخوان المسلمين عام ١٩٣٥ » .

(٣) من رسائل الإخوان المسلمين ، بقلم المرحوم الأستاذ البهي الخولي مارس ١٩٥٣ ص ١٣٧ .

تلك إثارة أردنا بها بيان عناية الإسلام بتصحيح مفاهيم المؤمنين به عن الحياة وتقويم موازينهم التي يزنون بها الناس والأشياء ، وتلك لاشك نجدها واضحة في كثير من نصوص كتاب الله وسنة رسوله . فلا غرابة إذن ولا إسراف في هذه العناية من الإسلام ، لأن صحة أعمال الإنسان واستقامة تصرفاته منوطة بصحة مفاهيمه واستقامة الموازين عنده . ومن المستحيل أن يكون ما يصدر عن الإنسان صحيحا مقبولا إذا كان وراءه مفهوم فاسد أو ميزان مختل . ومن عجب أن هذا هوالواقع المرير الذى نعيش فيه ، وهو إحدى العلل الكبار المسؤولة عما نجده لدينا من ضعف وهوان وخروج على مناهج الإسلام من قبل المحكومين والحكام على السواء ، وهي أعراض لاشك لعلل ابتلينا بها وصارت أوضاعنا الاجتماعية مختلطة تتنازعها بقية نفوذ الشريعة والتقاليد الموروثة وتقليد زاحف ، ووضع المرأة في كثير من بلاد الإسلام كمثل سائر أوضاعنا الاجتماعية ، ومن عجب أننا نغفل عن مكانها بعد أن حدثتنا الشريعة عنه وأظهرها علماء الإسلام الأقدمون بحسب ماأدركوا من النصوص ومن معانيها .

إن صورة الإسلام بهتت لدى الكثير من المسلمين لأنهم لا يعرفونه ، والصورة المرتسمة في الرؤوس هي صورة أعراف مختلطة ممسوخة في بلاد الإسلام فرضت على المرأة — كما فرضت على كثير من مظاهر حياتنا الاجتماعية — مالم يفرضه الله ، وحرّمت مالم يحرّمه الله ، وهو تطرّف يقابله جموح لدى بعض نسائنا . وهو جموح لاشك بدأ انحرافا لأسباب ، أولها بلا ريب ظلم اجتماعى عاشت المرأة خلاله حبيسة جاهلة لا إرادة لها فتمردت على هذا الظلم ثم انحرفت وجمحت : وإن هذا الظلم لا يزال إرثا في كثير من أوطان الإسلام التي تنظر إليها في بعضها نظرة المتاع أو نظرة العبد في سوق النخاسة لا رأى لها ولا إرادة . وفى آخر تحرّم عليها ما لم يحرمه الله وتفرض عليها ما لم تفرضه سنة رسول الله ﷺ ، وكأن مجاوزة حدود

الزى تثلم عرضها وتنتهك حرمتها ، فليست كل امرأة سافرة الوجه مثلومة العرض ، وليست كل امرأة متحجبة طويلة الذيل طاهرته .

إن الإسلام قد أزال عنها محنة الظلم والكساد ورفع شأنها وقرر لها مكانها الطبيعي في الحياة . وقد انتشل المرأة من الهوة المظلمة الدنسة وأقامها على وضح الحياة إلى جانب شقيقها الرجل على أساس من تعادل القدر ، وتماثل الخصائص والصفات وقد أعلن أنها والرجل في الإنسانية بمنزلة سواء ، لاتزيد عنه ولا تنقص . فعلينا إزاء وضعها أن نرعى كل ما أنزل الله من أمر ونهي حق رعايته في غير غلو يجاوز ما أراد الله من اليسر ، ولا ترخص يفسد همة المرء عن تعظيم حرمات الله (١) .

كذلك نستند في تفسيرنا على شمول المادة ٧٨ من مشروع الدستور المقترح ومساواة الرجل والمرأة في ظل نصه بما أوردته مقدمته من تفصيل نصوصه لأصلح ما في النظم الدستورية المعاصرة وقد سمّت بعض تلك النظم ؛ أولها نظام الولايات المتحدة الأمريكية والدستور النمساوى الصادر عام ١٩٢٠ والدستور التركي الصادر في عام ١٩٢٤ والدستور الفرنسى الصادر عام ١٩٤٦ مع مخالفة الأخير في النظم التي تحكم السلطات فيه . ففي الأول نجد مبدأ المساواة في حق التصويت للانتخاب وكذلك الترشيح بما تنص عليه المادة ١٩ المضافة إلى دستور الولايات المتحدة الأمريكية في ٢٦ أغسطس ١٩٢٠ « وهي تنص على أن حق التصويت والانتخاب لمواطني الولايات المتحدة لا يمكن تقييده بسبب الجنس » .

وفي ثانيهما دستور النمسا الصادر في عام ١٩٢٠ تذكر المادة السابعة

---

(١) من العجب الذى يصادفه المرء أن بعض بلاد المسلمين تشترط أن يكون الأساتذة فى معاهدها للفتيات عمي البصر . ويبدو أن ركاب الحضارة لم يلحق بعض أدمغة رجال الدين الرسميين ! فمفتي إحدى البلاد الكبرى في عالم الإسلام قد عصر فكره ليبين جواز قيادة المرأة للسيارة في بحثه المقدم إلى مؤتمر عقد بالجزائر في أغسطس ١٩٨٣ .

في فقرتها الأولى « أن جميع المواطنين سواء أمام القانون ولا يصدر امتياز قائم على الميلاد أو الجنس أو الطبقة أو الدين » « كما نصت المادة ٢٦ منه على أن البرلمان تنتخبه الأمة بالاقتراع العام المباشر يشترك فيه الرجال والنساء البالغون عشرين عاما » .

المراجع

١ ـــ صحيح البخاري
٢ ـــ صحيح مسلم بشرح النووي
٣ ـــ الإسلام على مفترق الطرق
٤ ـــ فتح القدير ـــ دار المعرفة
٥ ـــ الدعوة إلى الله للمؤلف
٦ ـــ الأشباه والنظائر لابن نجيح
٧ ـــ الأشباه والنظائر للسيوطي
٨ ـــ ابن هشام على الروض الأنف
٩ ـــ صفة الصفوة ـــ دار المعرفة
١٠ ـــ الاستيعاب على هامش الإصابة
١١ ـــ الإصابة لابن حجر
١٢ ـــ سيرة ابن كثير
١٣ ـــ سيرة ابن هشام
١٤ ـــ حلية الأولياء
١٥ ـــ مغازي الواقدي
١٦ ـــ الكامل لابن الأثير
١٧ ـــ البداية والنهاية لابن كثير
١٨ ـــ القرطبي
١٩ ـــ ابن كثير
٢٠ ـــ فتح القدير
٢١ ـــ حياة الصحابة
٢٢ ـــ الطبري
٢٣ ـــ كتاب الإعلام الإسلامي
٢٤ ـــ تهذيب التهذيب لابن حجر
٢٥ ـــ فتح القادر المعين للعراقي ـــ مخطوط
٢٦ ـــ أعلام النساء
٢٧ ـــ طبقات الشافعية للسبكي

تاريخ ابن خلكان

تاريخ ابن الأثير

٣٠ ــ الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ــ للمؤلف

٣١ ــ أيام من حياتي ــ زينب الغزالي

٣٢ ــ الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البهائية

٣٣ ــ البهائية لمحب الدين الخطيب

٣٤ ــ القاموس الإسلامي

٣٥ ــ فتوح الشام للواقدي

٣٦ ــ طبقات ابن سعد

٣٧ ــ الاستيعاب لابن عبد البر

٣٨ ــ فضائل الصحابة والسند

٣٩ ــ أسس التقدم ــ لفهمي جدعان

٤٠ ــ الحركة النسائية لإجلال خليفة

٤١ ــ آثار باحثة البادية

٤٢ ــ فتوح البلدان للبلاذري

٤٣ ــ مائة أوائل من النساء

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الباب الأول	
بدء الدعوة ومنزلتها ، وطريقة الأنبياء فى الدعوة ، والسنن العامة فى دعوة الرسول وخطته فى نشر الدعوة	
الفصل الأول	
بدء الدعوة ومعناها ومنزلتها	
المبحث الأول : بدء الدعوة	٩
المبحث الثانى : معنى الدعوة	٩
المبحث الثالث : منزلة الدعوة	١٥
الفصل الثانى	
طريق الأنبياء فى الدعوة ، والسنن العامة فى دعوة الرسل ، وخطة الرسول فى نشر الدعوة	
المبحث الأول : طريق الأنبياء فى الدعوة إلى الله	٢٥
المبحث الثانى : السنن العامة فى دعوة الرسل إلى الدين	٣١
المبحث الثالث : خطة الرسول ﷺ فى نشر الدعوة	٣٥

الموضوع | الصفحة

الباب الثانى

وجوب الدعوة ، وضرورة الداعيات وعملهن ، ووسائل نشرها والإقناع القولى بها

الفصل الأول

وجوب الدعوة ، وضرورة الداعيات ، ومجالات عملهن

المبحث الأول : وجوب الدعوة على من ؟ ٤١

المبحث الثانى : ضرورة الداعيات المسلمات ٥٢

المبحث الثالث : مجالات النساء فى الدعوة ٥٣

الفصل الثانى

وسائل نشر الدعوة بالقول والإقناع به

المبحث الأول : وسائل نشر الدعوة ٦٥

المبحث الثانى : نشر الدعوة بالقول ٦٥

الفصل الثالث

وسائل الإقناع وطرقه

المبحث الأول : وسائل الإقناع بالقول ١٠٣

المبحث الثانى : تنوع الخطاب الجماعى ١١٧

المبحث الثالث : طرق أخرى للإقناع والدعوة ١٢٢

الباب الثالث

الإقناع بالقدوة ، ومواهب النساء ، ودروس ونصائح للداعيات

الفصل الأول

الإقناع بالقدوة ١٣٣

الموضوع | الصفحة

الفصل الثانى

مواهب النساء وآثار تلك المواهب ١٤٣

الفصل الثالث

دروس للداعية على طريق الدعوة ، ونصائح عامة

المبحث الأول : دروس للداعية على طريق الدعوة ١٨٣

المبحث الثانى : نصائح عامة للداعيات ١٩٦

المبحث الثالث : آراء حول انطلاقة المرأة المعاصرة ١٩٧

المراجع ٢٢٧

الفهرس ٢٢٩

رقم الإيداع بدار الكتب ٧١٣٣ / ١٩٩٠

977 - 15 - 0015 - 5 I.S.B.N

هذا الكتاب

* تشارك المرأة الرجل حمل رسالة الإسلام وتبليغها ، وفى عالمنا المعاصر خطت الصحوة الإسلامية خطوات مباركة بين رجال الأمة ونسائها ، مما يجعل وجود المرأة المسلمة الداعية وقيامها بهذا العمل ـ وسط بنات جنسها ـ آكد ومطلوب .

* وهذا الدور للمرأة المسلمة الداعية يلزمه زاد ، يوضح معالم الطريق ويصل أوله بآخره ، حتى تكون الداعية على بينة من أمر دعوتها وحركتها بها ـ هذا الزاد إنما سبيله أخبار السلف من الصالحات المجاهدات الداعيات العاملات .

* وهذا الزاد إنما هو حبيس المراجع وأمهات الكتب ـ بالمكتبة الإسلامية ـ وغير واصل إلى الفتاة المسلمة والمرأة المؤمنة ـ لذا كان لابد من استخراجه ووضعه بين يدى العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية .

* ويأتى هذا الكتاب ـ كخطوة على الطريق ـ فى وقت لم يأخذ فيه دور المرأة المسلمة حقه المطلوب فى العصر الحاضر ، ولم يلق الالتفاتة المناسبة التى تستفيد من تلك المواهب التى حاول أصحابها إبرازها فى مجالات أخرى ، لعدم وضوح الطريق والقدرة على استغلال الطاقات وتوجيه المواهب للمرأة المسلمة .

* كما يضع الكتاب النقاط على الحروف فى هذا الميدان ، ويفتح ملف عصور الدعوة الإسلامية الزاهرة ، ويبرز لَبِنَات هذه الأدوار المهمة وبطلاتها حتى تفهم الفتاة المسلمة ، وتعلم المرأة العالمية أن المرأة المؤمنة كان لها دور فى التاريخ الحضارى الإسلامى لا يقل أهمية عن دور الرجل ، ولكن فى عفة وكرامة وتمايز للطبائع والأدوار .

* **ودار الوفاء** ، إذ تقدم هذا الكتاب لفتيات الصحوة الإسلامية وإلى كل امرأة ـ تسأل الله أن ينفع به ، والله من وراء القصد .

دار الوفاء

الوفاء للطباعة والنشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص . ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

تطلب جميع منشوراتنا من :

دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء

٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٦٠٦

19693 / 15 SR